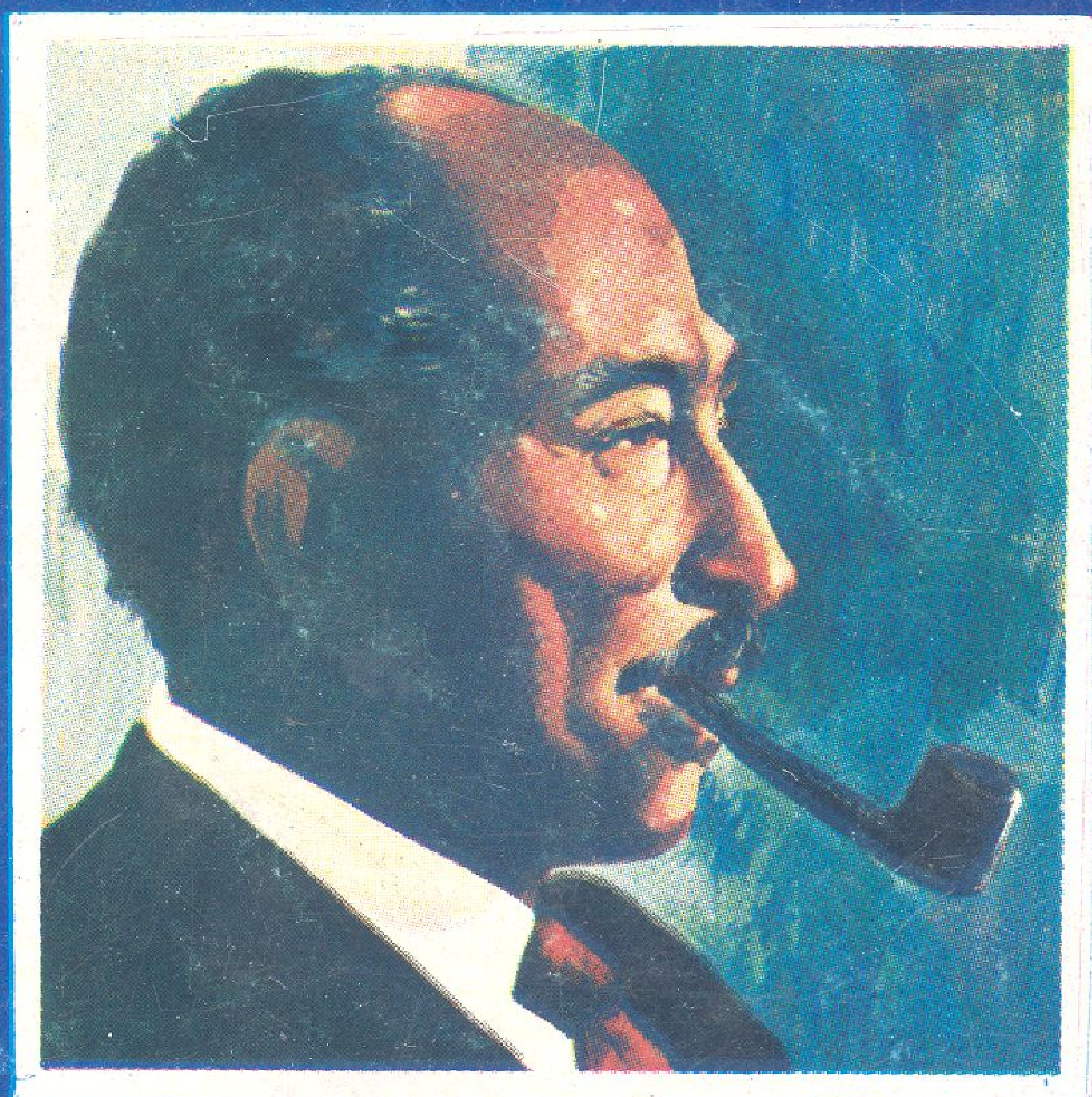
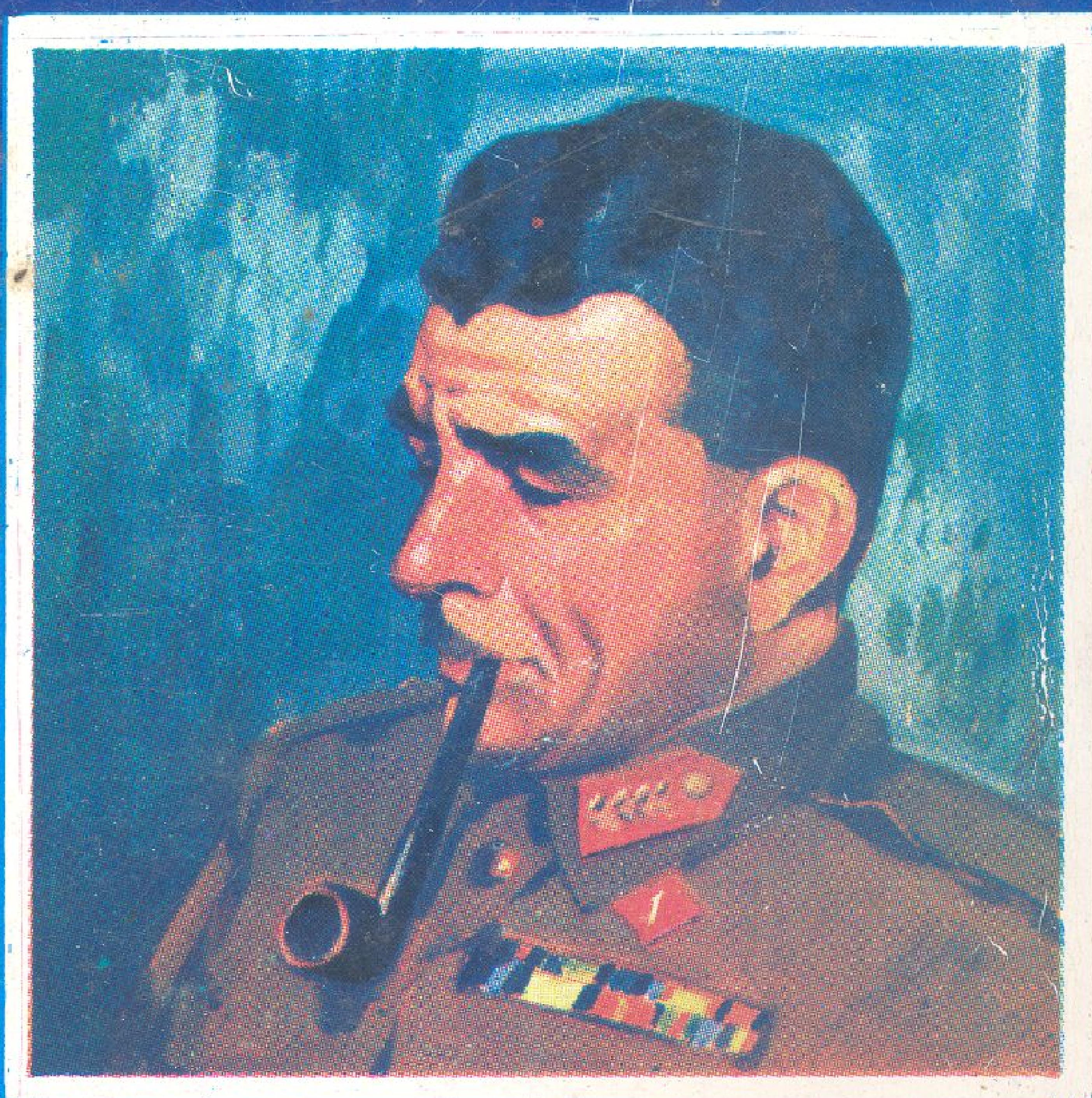
ثورة يوليو والصحافة



رشاد كامل

إهـــــــــــداء ٢٠٠٧

اسرة المرحوم الدكتور / السيد عبد الحليم الزيات

جمهورية مصر العربية

رشاد كامل

ثورة يوليو والصحافة

الطبعة الأولى

مارس ١٩٨٩

□ الغلاف للفنان الكبير : .... هبة عنايت
□ الاخراج الفنى والتنفيذ : .... مديحة فهمى

□ التصحيح اللغوى والمراجعة : .... احمد رجب
□ جمـع تصويـــرى : .... محمد عبد النبي
: .... محمد فتحي محمد
□ تصويـــــر : .... سيد احمد محمد
: .... إبراهيم عبد الحليم
: .... إبراهيم حامد

● الناشــر :
محمود الجداوي ☎ ٣٥٤٢٩٢٣

إلى ثورة ٢٣ يوليو

بكل ما فعلته لنا ..

وما فعلته بنا ..

رشاد كامل

مقدمة

ليس سراً ان « جمال عبد الناصر » كان على علاقة وثيقة بنجوم الصحافة المصرية قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وليس سراً ايضا ان عدداً كبيراً من اعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا يتصلون ويسعون إلى كبار الصحفيين ويمدونهم بالمعلومات والاخبار وأسرار الفساد المتفشى فى الجيش .. وانور السادات نفسه سعت إليه الصحافة قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ونشرت مذكراته فى السجن ، ثم ما لبث ان اشتغل فى روزاليوسف ودار الهلال لفترة من الوقت !

ولعبت الصحافة المصرية دوراً بارزاً وعظيماً فى التمهيد للثورة .. وكانت مقالات إحسان عبد القدوس فى روزاليوسف وحملته الشهيرة عن « الأسلحة الفاسدة » فى حرب فلسطين بمثابة المدفعية الثقيلة التى دكت جدران القصر الملكى !! .

ولا احد ينسى لجريدة « المصرى » ورئيس تحريرها « احمد ابو الفتح » إفساحها صفحات المصري قبل الثورة لتنشر المقالات النارية دفاعاً عن الديمقراطية والحرية وهجوماً على الفساد !

ولقد شهدت حديقة المصري .. عشرات الاجتماعات التى شارك فيها الضابط الشاب وقتها جمال عبد الناصر ورفاقه من الضباط الاحرار .. يستمعون لنجوم الفكر والصحافة .. و .. و .

وقامت الثورة صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ليتغير وجه مصر السياسى والاجتماعى والاقتصادى إلى الأبد !!

ولم ينكر أحد من الضباط الأحرار ذلك الدور العظيم الذى لعبته الصحافة فى دك قلاع الملك فاروق والفساد والمحسوبية !!

وبعد اسابيع قليلة من قيام الثورة .. فوجىء الناس برئيس تحرير آخر ساعة الأستاذ محمد حسنين هيكل يطالب بتطهير الصحافة .. وكانت كلمات المقال المنشور فى ١٣ اغسطس ١٩٥٢ بمثابة قنبلة موقوتة انفجرت فى شارع الصحافة .

قال هيكل فى مقاله بالحرف الواحد ما يلى :

صاحبة الجلالة الصحافة . وافراد بلاطها السعيد ، يقومون هذه الايام بدور غريب عجيب !

بعض افراد هذا البلاط السعيد ـ ! ـ استباحوا لانفسهم مقعد النائب العمومى وجلسوا يوجهون الاتهام ذات اليمين وذات اليسار ، ويحددون من الذى تعلق رقبته فى حبل المشنقة ، ومن الذى يكتفى بوضعه وراء القضبان !

إننى اعتقد ـ وانا واحد من افراد البلاط السعيد لصاحبة الجلالة ـ اننا نحن ـ افراد هذا البلاط جميعا ـ آخر من يحق لنا أن نصنع هذا ، آخر من يحق لهم أن يستبيحوا لانفسهم مقعد

النائب العمومى موزع الاتهام .
اخر من يحق لهم شيء من هذا لسبب واحد .. هو اننا نحن ايضا فى حاجة إلى تطهير !!
من سوء الحظ اننا - افراد بلاط صاحبة الجلالة - نملك قوة هائلة نحاسب بها الناس ، ولكن تمنع الناس من ان يحاسبونا .
ومن سوء الحظ اننا - افراد بلاط صاحبة الجلالة - نملك ان ننقد الاخرين ، ولكننا لا نسمح لأحد ان ينقدنا ، لاننا نحن الذين نسيطر على ما يجب ان ينشر وما ينبغى الا تراه عيون القراء !
إنى اقولها بصراحة - وانا اعتقد انها ستجلب لى متاعب الدنيا والآخرة :
إن علينا مسئولية كبرى فى كل هذا الذى صارت إليه الاحوال .
ولقد بدات مصر كلها تنادى بالتطهير وعلينا نحن ايضا ان ننادى مع مصر بالتطهير ، تطهير انفسنا قبل تطهير الآخرين !
□□
وبعد عدة اسابيع صدرت روزاليوسف وعلى صفحاتها رسالة هامة وخطيرة كتبتها السيدة فاطمة اليوسف إلى جمال عبد الناصر وكانت قد بدات تشعر بضيق الثورة ورجالها مما تنشره الصحف من مقالات ونقد .. و ...
كتبت السيدة روزاليوسف تقول لجمال عبد الناصر فى ١١ مايو ١٩٥٣ .
إنك باختصار - فى حاجة إلى الخلاف .. تماماً كحاجتك إلى الاتحاد إن كل مجتمع سليم يقوم على هذين العنصرين معاً ، ولا يستغنى باحدهما عن الآخر .. الاتحاد للغايات البعيدة والمعانى الكبيرة والخلاف للوسائل والتفاصيل .
وانت تؤمن بهذا كله لاشك فى ذلك وقد قرات لك غير بعيد حديثا تطالب فيه بالنقد ، وبالآراء الحرة النزيهة ولو خالفتك . ولكن .. اتعتقد ان الراى يمكن ان يكون حراً حقاً وعلى الفكر قيود ؟ وإذا فرض وترفقت الرقابة بالناس ، واستبدلت حديدها بحرير ، فكيف يتخلص صاحب الراى من تاثيرها المعنوى ؟ .. يكفى ان توجد القيود كمبدا ليتحسس كل واحد يديه .. يكفى ان يشم المفكر رائحة الرقابة .. وان يرى بعض الموضوعات مصونة لا تمس ، ليتكبل فكره ، وتتردد يده ، ويصبح اسيرا بلا قضبان .
ولا تصدق ما يقال من ان الحرية شيء يباح فى وقت ولا يباح فى وقت آخر . فإنها الرئة الوحيدة التى يتنفس بها المجتمع ويعيش . والإنسان لا يتنفس فى وقت دون آخر .. إنه يتنفس حين ياكل ، وحين ينام ، وحين يحارب ايضاً .
وقد قلت مرة إنك ترحب بان تتصل بك اية جريدة إذا احست الضيق . ولكن .. اليس فى هذا ظلم لك ، وللصحف ، وللقضايا الكبرى التى تسهر عليها ؟ .. الم اقل إنك لن تستطيع وحدك كل شيء ؟.
لقد اقدمت - وفى شبابك الباكر - على تجارب هائلة .. خضت بعضها وراسك على كفك لا تبالى مصيره . وليس كثيراً ان تجرب إطلاق الحريات .
وفى نفس العدد نشرت روزاليوسف رد جمال عبد الناصر على هذا الخطاب التاريخى ، وجاء فى رسالة عبد الناصر قوله :
وانا اكره بطبعى كل قيد على الحرية وامقت بإحساسى كل حد على الفكر على ان تكون الحرية

للبناء وليس للهدم وعلى أن يكون الفكر خالصا لله وللوطن .. ودعيني الجا إلى تجربتك كى تبقى الحرية للبناء ويبقى الفكر لله والوطن .. لا تخرج بهما شهوات واغراض ومطامع عن هذه المثل إلى انقلاب مدمر يصيب مصالح الوطن المقدسة بابلغ الاضرار .

لقد قلت انت بنفسك إنك تعلمين انى اخشى على موقف البلاد الصلب من إطلاق الحريات خشية ان يندس بين امواجها دعاة الهزيمة والتفكك .

لقد عبرت بهذا عن جزء مما اشعر .. واسمحى لى ان اضيف عليه شيئا آخر هو اننى لا اخشى من إطلاق الحريات وإنما اخشى ان تصبح هذه الحريات كما كانت قبل ٢٣ يوليو سلعا تباع وتشترى .

ونحن لا نريد ان يشترى الحرية غيرنا ومن يدرى فقد يكون بينهم اعداء للوطن يفرقون هذا الشعب الطيب الوديع الذى استغلت طيبته واستغلت وداعته واستغل قلبه المفتوح وغرر به دون ما اساس سليم يصونه من التضليل ـ بما لا يجب ان يفرق فيه فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بالوطن .

ومع ذلك فاين هى الحرية التى قيدناها ؟ انت تعلمين ان النقد مباح واننا نطلب التوجيه والإرشاد ونلح فى الطلب بل إننا نرحب بالهجوم حتى علينا إذا كان يقصد منه صالح الوطن وبناء مستقبله وليس الهدم والتخريب ومجرد الإثارة .

ذلك لاننى اعتقد انه ليس بيننا من هو فوق مستوى النقد او من هو منزه عن الخطأ .

□□

وتعود السيدة روزاليوسف لتكتب مدافعة عن الصحافة والصحفيين مقالا نادراً يفيض بالصدق والشجاعة على صفحات روزاليوسف فى ٢٧ أبريل ١٩٥٣ تقول فيه :

الكلام كثير هذه الأيام عن نفاق الصحافة المصرية .

الناس يتندرون بالنفاق الشفاف الذى تنشره الصحف فلا يخفى ما وراءه .. والصحفيون يتبادلون اتهامات النفاق والارتزاق ..

والمسئولون انفسهم لا يستطيعون فى بعض الأحيان إخفاء ضيقهم بالاقلام التى تكرس نفسها لمجاراة كل عهد ، والتطبيل لكل حاكم ، وحرق البخور بين يدى كل نجم لامع .

ان الصحافة الصادقة عامل تفاهم وتقريب بين الحاكمين والمحكومين تعطى كلاً من الطرفين صورة صادقة عن رغبات الطرف الآخر واتجاهاته وآرائه . فتتاح لهما بذلك فرصة النقد والإصلاح وتبادل التاثير ، والتفكير ، اما الصحافة المنافقة فهى تضلل الحاكم عن رغبات المحكومين كما تضلل المحكومين عن اتجاهات الحاكمين .

وقد اتاح لى اتصالى بالصحافة طيلة ربع قرن ان ارى الوزراء والحكام عن قرب : وعلى حقيقتهم وأن اخرج بنتيجة واحدة : هى ان الصحافة هى آخر من تسال عن هذا النفاق الذى طال به العهد حتى اصبح مرضاً مزمناً .

كنت ارى الرجل الكبير ـ خارج الحكم ـ لا يكف عن مهاجمة النفاق والمنافقين من اصحاب الصحف والصحفيين ولا يتحدث إلا متهكماً بالاقلام المرتزقة او الضعيفة التى تقوى على النفاق ولا تقوى على النقد .. ويتحدث بكلام كثير عن حاجتنا الشديدة إلى الأقلام النزيهة .. إلى النقد قبل المدح .. والمعارضة قبل التاييد ، ثم تدور الأيام ، ويصبح الرجل الكبير وزيراً او رئيساً للوزارة او صاحب منصب من اى نوع .. وإذا بى اراه يشرب من كاس النفاق ذاتها التى كان يحتسيها سلفه ، يجمع حوله نفس المنافقين ، ويقرب إليه ـ اول ما يقرب ـ نفس المطبلين ،

ويلهث وراء كلمات المدح والإعجاب بقدر ما ينفر من كلمات النقد والتقويم . وإذا بهذا الرجل الذى كان يتشدق بحاجتنا إلى النقد يعتبر - وهو حاكم - النقد عداوة ، والخلاف فى الرأى خصومة ، والصراحة تشهيراً .

فمن المسئول بعد ذلك عن هذا كله ؟!

هل هو الصحفى الذى ينافق ، أم الحاكم الذى يجعل للنفاق جائزة وللنقد اقسى العقوبات ؟

هل هو الصحفى الذي يسير فى طريق النفاق ، أم الحاكم الذى يجعل طريق النفاق مفروشا بالورد ، وطريق النقد محاطا بالاشواك ؟

هل هو الصحفى الذى يبيع النفاق ، أم الحاكم الذى يشتريه ، بل ويوصى بصنعه ؟

إن النفاق لن يختفى ابداً إلا إذا كسدت سوقه . وهو امر فى ايدى الحاكمين وحدهم . وقد عجز الحاكمون فى كل العهود الماضية عن الاستغناء عن النفاق إذ كان معظمهم لا يجد من حقائق اعماله ما يغنيه عنه ..

واليوم تلوح لنا فرصة جديدة . ففى الحكم مسئولون جدد هم رجال ثورة وتجديد فى كل شىء . ولديهم من اعمالهم ما يغنيهم عن النفاق ..

وهؤلاء المسئولون الجدد وحدهم هم القادرون على فض أسواق النفاق .

ويكتب صلاح سالم وزير الإرشاد القومى ابريل ١٩٥٣ عن النقص الخطير فى بلاط صاحبة الجلالة والمثير فى الامر أن ينشر المقال فى مجلة « التحرير » لسان حال الثورة ، قائلاً :

ومن منا لا يؤمن بالحرية الكاملة والتحرر وقد قامت حركة الجيش لتحمى الحرية التى سلبها الطغاة منا نحن الشعب .

إننا نطمع ونرجو ان نرى الصحافة فى بلادنا ممتلئة حيوية وإدراكاً عميقاً لأهداف الشعب لتنير السبيل له وللمسئولين .

نريد صحافة تنقد صباح مساء نقداً نزيهاً للبناء لا للهدم وخاصة فى هذه المرحلة التى نجتازها فى تاريخ بلادنا ، نريد صحافة تؤمن إيماناً عميقاً بمثل وبمبادىء وتدافع عنها دفاعاً مخلصاً وتقول : لقد اخطات ايها الوزير او يا فلان فى كذا وإنى أرى كذا وكذا .

ونؤكد أننا نرجو ونتمنى أن نرى الحال كما صورته طالما ان هدفنا جميعاً هو الوصول إلى حلول عملية سليمة ترفع من شان الشعب .

إننا لا نتصور ان الرقابة ستظل مفروضة على الصحافة إلى ما شاء الله لأنها منبر وبرلمان للشعب وركن هام من اركان بناء مجد كل أمة .

□□

وفوجىء احمد الصاوى محمد « رئيس تحرير الإهرام بعموده المنشور يوم ١٢ يوليو ١٩٥٣ » وقد حذف الرقيب اكثر من نصفه . وفى اليوم التالى كتب فى بابه « ما قل ودل » يقول :

اريد ان اسال الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد عن رايه فى الرقيب المذعور الذى حذف امس نصف مقال « ما قل ودل » !! اريد ان اساله وهو الذى دعا من اليوم الأول إلى التعاون بين الحكومة والصحافة فى ظل الحرية ، ماذا يقول فى رقيبه الذى ارتعدت فرائصه من كلمة تقرر مبادىء الصحافة فى العالم كله وعلى مرور الأيام ولا يمكن ان يخشاها او يجزع منها عهد قوى شريف نظيف .. لقد قال لى البكباشى « جمال عبد الناصر » انتقدونا نحن نريد نقداً ولا نريد مدحاً !

ثم يختتم مقاله قائلا : هذا هو الموضوع الذى عرض امس على الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومي ، فرحب بالنقد واذن بالنشر ، وعلق عليه بخط يده بهذه العبارة بجندي شجاع مثله « أسف لتاجيل النشر امس ، وياليت الانتقاد البرىء البناء ، يكثر ويملأ يومياً صفحات الجرائد .. » .

□

ومرت الايام والاسابيع والشهور ، وبدأت العلاقة تتوتر بين الثورة الشابة وبين صاحبة الجلالة ونجومها !!

وسرعان ما ضاقت مساحة الحرية .. وضاق رجال الثورة بكتابات وآراء الصحفيين ورجال الفكر ، وجرى اعتقال البعض ، وفوجىء الناس بكشوف للمصاريف السرية يعلنها وزير الإرشاد القومي صلاح سالم ، ويتهم بموجبها عشرات الأسماء اللامعة بانهم كانوا يتقاضون مصاريف سرية من حكومات ما قبل الثورة !!

وجاءت ازمة مارس ١٩٥٤ وجرى ما جرى بعدها .. و .. وغابت اسماء وتوارت شخصيات .. ولمعت اسماء .

ومنذ انضمامي إلى اسرة تحرير مجلة « صباح الخير » وانا مهموم بتلك العلاقة بين الصحافة والثورة !! عدت للأرشيف ، وقلبت الآف الصفحات لصحف ومجلات تلك الفترة ، ثم اتاح لى الصديق الكبير الأستاذ « لويس جريس » رئيس تحرير « صباح الخير » ان تتحول اسئلتي واستفساراتي إلى حوارات ومسلسلات صحفية نشرتها لى « صباح الخير » طوال ثمانية اعوام ..

ورغم بعض المشاكل التي سببتها هذه الحلقات ، فلم يحدث أن ابدى لويس جريس « ملحوظة واحدة افهم منها التوقف عن النشر » . وهكذا وجدت كل الشخصيات التي حاورتها منشورة على صفحات المجلة ، تنتظر الوقت المناسب لتصدر فى كتاب مستقل !!

وقد شجعني على قبول مغامرة إصدار هذا الكتاب تلك الحفاوة التى قوبل بها كتاب « لغز السادات » والأقلام التى تناولته : احمد هاشم الشريف . مفيد فوزى . علاء الديب . عبد الستار الطويلة . محمد بغدادى . محمد الرفاعي . موسى صبرى .. الخ .

وسعد « الناشر الشاب محمود الجداوى » بالنجاح الذى حققه بنفاذ الطبعة الأولى من كتاب « لغز السادات » ، وطلب أن يكون كتابه الثانى هو « ثورة يوليو والصحافة » بالتحديد ، ومما يسعد اى كاتب ان يتعامل مع ناشر طموح ، مثقف ، ذكى يعرف معنى الكلمة الجادة ويقدرها وكان محمود الجداوى هو كل هؤلاء فى نفس الوقت !

وهذا الكتاب ليس محاكمة لزعماء مصر ، ولكنه محاكمة للصحافة المصرية نفسها ومحاكمة يشارك فيها بالشهادة والوثيقة نجوم صاحبة الجلالة ، ويكشفون ما الذى جرى لصحافة مصر ؟! وكيف جرى .. ولماذا جرى ؟!

الشهادات يقدمها : محمد حسنين هيكل . مصطفى امين . احمد بهاء الدين . فتحي غانم . احمد حمروش . موسى صبرى . د . يوسف إدريس . د . محسن عبد الخالق .. وحلمى سلام ..

ولا يسعني سوى شكر القارىء الصديق الذى طوق سطور كتابى بكل هذا الحب .

رشاد كامل



١ مصطفى أمين

٧٢ ساعة في زنزانة الثورة!

بعد ٣٦ ساعة بالضبط من قيام ثورة ٢٣ يوليو وقع أول صدام بين الثورة والصحافة !!

كان الصدام حاداً وعنيفاً وله دوى داخل وخارج مصر !! إذ فجأة صدر الأمر باعتقال الأخوين مصطفى وعلى امين فجر يوم الجمعة ٢٥ يوليو ١٩٥٢ .

كانت التهمة الموجهة للتوءم هى الاتصال يوم ٢٣ يوليو تليفونياً بلندن وانهما تحدثا مع وكيل وزارة الخارجية البريطانية وطلبا إليه أن يتدخل الجيش البريطاني ضد الثورة !

قبلها بيوم واحد صدرت جريدة الأخبار والمانشيت الرئيسى لها يقول : اللواء محمد نجيب يقوم بحركة تطهير !

ثم عنوان آخر يقول : على ماهر يؤلف الوزارة اليوم !

وتتوالى باقى المانشيتات على النحو التالى :

على ماهر يقابل الملك فى الأسكندرية .

اعتقال عدد من كبار الضباط !

وأسفل هذين العنوانين نشرت الأخبار صورتين كبيرتين (بعرض ستة أعمدة) الأولى لمحمد نجيب وحده جالساً على مكتبه ، والثانية لنجيب مع على ماهر .. أما فى أسفل الصفحة فقد نشرت صورة أخرى يبدو فيها نجيب وعدد كبير من أعضاء اللجنة التأسيسية ، ولم تذكر أسماءهم .. بعكس جريدة المصرى التى نشرت الأسماء كاملة .

وقبل ذلك بأربع وعشرين ساعة (صباح ٢٣ يوليو) أجتمع فى أخبار اليوم محمد التابعى ومصطفى وعلى أمين وكامل الشناوى وقرروا أن تقف أخبار اليوم بجميع صحفها (الأخبار وأخبار اليوم .. والجيل) ، بجوار الحركة وأن يطالبوها بأن تسارع بعزل الملك ، واتفقوا على أن يقوم التابعى ومصطفى أمين بإبلاغ ذلك للقيادة (!!!)

ولكن « هيكل » يقول : كنا قد اتفقنا ـ الاستاذان مصطفى وعلى أمين وأنا ـ على اجتماع منظم فى أخبار اليوم نبحث فيه الأوضاع الجديدة ، ونقرر فيه خطوط سياسة صحف ومجلات الدار (بين الصحافة والسياسة ص ٥٨) .

وقبل عام تقريباً كتبت أخبار اليوم مقالاً عنوانه « أعياد الملك .. أعياد الشعب » ، تقول فيه : إن احتفال الأمة بأعياد الملك دليل الولاء للتاج الذى تتمثل فيه عزة الوطن ومقدساته : الحرية والطمأنينة والعدالة والمساواة التى لا يتخوف منها ظالم ولا يجور عليها باغ ، والأمة إذ يشملها الفرح وتجرى فيها المواكب هاتفة داعية فى مناسبة عيد الجلوس والقران الملكيين ، إنما تتمثل فى خواطرها هذه المعانى .

وأخيراً تقول أخبار اليوم : وهذا التجاوب بين الشعب والملك هو الذى يجعل للتاج

مهابته وروعته ويجعل للشعب كرامته وعزته !!(٥ / ٥ / ١٩٥١) .

ولم يكن ما كتبته أخبار اليوم وقتئذ يعكس مشاعر وأحاسيس أعضاء الضباط الأحرار ويشير كمال رفعت (أحد الضباط الأحرار) إلى صدور منشور فى مايو ١٩٥١ ، أصدره الضباط الأحرار بمناسبة زفاف الملك تحت عنوان « المناسبة السعيدة » ، وجاء فى هذا المنشور : لقد تفتق ذهن القادة عن إقامة عرض الجيش احتفالاً بالمناسبة السعيدة متقربين بذلك إلى أولى الأمر والله أعلم بما انطوت عليه نفوسهم من رياء ونفاق .. إن كل ضابط غيور لابد أن يكون ساخطاً على هذه الأوضاع الغريبه رحمة منه بجيشه على موارد بلاده .. (مذكرات كمال رفعت ص ٦٧) .

وتروى لنا الأستاذة « مى شاهين » الكاتبة الصحفية فى الأخبار لحظات اعتقال مصطفى وعلى أمين فى كتابها « شارع الصحافة » فتقول :

ـــ فى الساعة الرابعة من صباح يوم الجمعة ٢٥ يوليو دخل ثمانية من الضباط غرفة نوم على أمين بمنزله بالروضة وأحاطوا بفراشه ، وقد صوبوا مدافعهم الرشاشة نحوه ، وأبلغوه أن الثورة أمرت بالقبض عليه ، ثم صحبوه إلى منزل مصطفى أمين بالزمالك وأيقظوه من النوم ، وقبضوا عليه وتبادر لعلى ومصطفى أمين فى هذه اللحظة أن الجيش قرر خلع الملك ، وأن الغرض من القبض عليهما هو الا تنشر « أخبار اليوم » نبأ الخلع فى العدد الصادر فى صباح اليوم التالى « السبت » كعادتها فى سبق الأخبار ، ولكن لم يدر بخلدهما أن الثورة قبضت عليهما لأنهما من أعداء الثورة .

ووضع الحراس كلاً منهما فى زنزانة مستقلة بالكلية الحربية ، وكانت الثورة قد حولت الكلية الحربية إلى معتقل .. « ص ٥٤٩ » .

وكانت الأمور تجرى بسرعة .. وكان إيقاع الأحداث سريعاً بشكل لافت للنظر ، وفى نفس الوقت فقد أذاعت القيادة العامة للقوات المسلحة فى الساعة الثالثة من مساء أمس (٧/٢٥) البيان التالى :

نما إلى القيادة العامة للقوات المسلحة من مصادر مختلفة أن الأستاذين مصطفى وعلى أمين على اتصال بأفراد يهدفون إلى هدم حركتنا الوطنية المباركة ، ولم يسعنا فى هذه الظروف الدقيقة التى تجتازها البلاد سوى اعتقالهما ، وقد تم ذلك اليوم ، وغنى عن البيان أن أمر اعتقالهما كفردين تحوم حولهما الشكوك وليس له أدنى علاقة بأسرة الصحافة ، وسوف يطلق سراحهما فوراً بمجرد عودة الأمور إلى مجاريها الطبيعية .

انتهت كلمات البيان الذى وقع باسم اللواء أركان حرب محمد نجيب قائد القوات المسلحة ونشرته جريدة المصرى فى صفحتها الخامسة يوم ٥٢/٧/٢٦ .

والغريب فى الأمر أن جريدة المصرى كانت فى نفس العدد وعلى الصفحة الرابعة قد

نشرت خبراً بعنوان « لا اتصال مع لندن » ، وتقول سطور الخبر :

نشرنا أمس خبراً عن اتصال أحد أصحاب المجلات بلندن ، ويسر « المصرى » أن تسجل أن هذا الاتصال لم يتم بالمرة ويأسف لنشر هذا الخبر الذى دس عليه ..

أما الخبر الذى نشرته « المصرى » يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ ، وعلى صفحتها الرابعة فقد كان عنوانه « اتصال بلندن » ويقول الخبر : « اتصل أحد أصحاب دور الصحف المصرية التى تصدر مجلات أسبوعية بلندن أمس الأول وتحدث مع بعض المسئولين البريطانيين وزودهم بمجريات الأمور فى مصر على إثر الحوادث الأخيرة » .

وفى وقت لاحق فإن الأستاذ مصطفى أمين سيتهم الأستاذ أحمد أبو الفتح (رئيس تحرير المصرى وقتها والكاتب بجريدة الوفد الآن) ، فإنه صاحب البلاغ الذى أدى لاعتقاله مع توءمه الأستاذ على أمين .

وبعد اعتقال مصطفى أمين عام ١٩٦٥ بتهمة التجسس وفى السطور الأخيرة من اعترافه الخطى الموجه لجمال عبدالناصر كتب مصطفى أمين هذه السطور الموجهة لجمال عبدالناصر :

وأنا الذى أخبرت سيادتكم بنبأ المؤامرة التى يقوم بها الملك « سعود » مع « أحمد أبوالفتح » و« سعيد رمضان » .



وصدرت مجلة « آخرساعة » فى ١٣ أغسطس ١٩٥٢ ، ونقرأ فيها مقالاً هاماً كتبه الأستاذ الكبير « محمد التابعى » كان عنوانه « مع اللواء محمد نجيب فى صباح الجمعة ٢٥ يوليو ١٩٥٢ » . احتل المقال صفحتين (الرابعة والخامسة) وفيه يروى لنا التابعى ماذا جرى بالضبط بشأن اعتقال رجال الثورة لمصطفى وعلى أمين قبل مقابلته للواء نجيب بساعات .

قال محمد التابعى فى مقاله : غادرت دار « أخبار اليوم » إلى موعد لى مع بعض الأصدقاء فى نادى رمسيس وجلست بين الأصدقاء أتحدث بما كنت أتحدث فيه فى دار الأخبار وأقول بصوت يسمعه الجالسون حول الموائد القريبة . إن أنصاف الحلول لا تجدى بل قد تؤذى .. ثم قلت : وددت لو أستطيع مقابلة اللواء نجيب بك كى أقول له إن أنصاف الحلول لا تجدى وأن الشعب ينتظر منه ومن إخوانه أن يخلصوه مما هو فيه .. ولن يكون ذلك إلا بخلع الملك فاروق .. وقال الأستاذ مدحت أباظة وكان من بين الحاضرين : هل تريد حقيقة أن تقابل اللواء نجيب بك ؟!

قلت : بكل تأكيد . قال : أعتقد أننى أستطيع تدبير هذه المقابلة [والملفت للنظر هنا أن التابعى الاسم الكبير وقتها فى عالم الصحافة والسياسة يعترف أنه يود لو قابل

اللواء نجيب . ولم يقل لنا التابعى من هو « مدحت أباظة » هذا الذى يستطيع تدبير مقابلة له مع نجيب وماذا كان يعمل وقتها وما علاقته بنجيب ، ولماذا لم يتم تدبير المقابلة بواسطة مصطفى أو على أمين أو هيكل وكلهم اعترفوا فيما بعد بالطبع بمتانة علاقتهم بهؤلاء الثوار الجدد وعلى رأسهم نجيب !!]

على أى حال نعود لنكمل معاً قراءة باقى مقال التابعى الذى يقول بالنص :

« وكان هذا كما قلت فى أول يوم من بدء الحركة المباركة .. الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبعد ظهر اليوم التالى الخميس كلمنى الأستاذ « مدحت اباظة »(!!) بالتليفون ليبلغنى أن اللواء نجيب بك مستعد لمقابلتى فى صباح يوم الجمعة فى مكتبه بالقيادة العامة وأن رقم تليفونه هو (٦٠٠٠٥) وأنه يطلب منى أن اتفق معه أولاً بالتليفون على الساعة التى يستقبلنى فيها .

وفى ساعة مبكرة من صباح يوم الجمعة ابلغنى صديقي كامل الشناوى من مستشفى الدكتور الكاتب بالتليفون أن مصطفى وعلى أمين .. قد اعتقلا بأمر من القيادة العامة ، وعقدنا اجتماعاً فى حجرة كامل الشناوى فى المستشفى وقلت للزملاء - المحررين ورؤساء التحرير - إننى على موعد لمقابلة اللواء نجيب بك هذا الصباح ، وسوف أسأله عن سبب اعتقال الصديقين الزميلين .. (التابعى هو الذى سيسأل نجيب ولا أحد آخر سواه سيسأل) ، ومن مستشفى الدكتور الكاتب تحدثت بالتليفون مع اللواء نجيب بك وسألته عن الساعة التى أحضر فيها فقال : أنا خارج الآن للمرور .. وسوف أعود بعد نصف ساعة . فهل توافقك الساعة التاسعة والنصف ؟! قلت نعم : وسألنى : عندك عربة ؟ قلت : نعم وشكراً .

ومضيت فى سيارة الصديق الزميل « حسنين هيكل » الذى يفخر - وبحق - أنه صديق الجيش من قديم .. مضينا إلى مقر القيادة العامة » .

والتساؤل الذى يقفز الآن إلى ذهنى .. هل كان ذهاب هيكل مع التابعى لمقابلة نجيب سببه امتلاك هيكل لسيارة !! ويبدو أن هذا هو السبب الوحيد فعلاً ، فلم يذكر لنا التابعى سبباً آخر أو حتى مساحة لاستنتاج أى سبب !! ونكمل معاً باقى رواية التابعى بكل الدقة والتركيز فيقول :

وهنا أقف قليلاً كى ألفت نظر القارىء إلى التفاصيل التى حرصت على سردها ومنها يدرك القارىء أن مقابلتى للواء أركان حرب محمد نجيب فى يوم الجمعة ٢٥ يوليو لم تكن بشأن اعتقال مصطفى أمين وعلى امين كما ذكرت بعض الصحف وأن المقابلة كان متفقاً عليها من قبل اعتقال الزميلين بثمان وأربعين ساعة !!

واستقبلنا اللواء محمد نجيب فى غرفة مكتبه .. وكانت هذه أول مرة أرى فيها

الرجل الذى حقق المعجزة ورفع رأس مصر .. ولقد أحسست بعد دقائق أن محمد نجيب أذكى بكثير مما يبدو ، وأنه مع صراحته يستطيع أن يكون واسع الحيلة كبير الدهاء ! وهذه صفات تولد - ولا تكتسب - تولد مع القائد الممتاز أو الزعيم المختار بإرادة الله .]

●

ونحن نعلم الآن بعد خلاف محمد نجيب مع جمال عبدالناصر الشهير بأزمة مارس ١٩٥٤ ، وقفت كل أخبار اليوم بمدفعيتها الثقيلة مع عبدالناصر فى مواجهة نجيب ، ولحست أخبار اليوم كل ماكانت قد أسبغته على نجيب من صفات ..

والآن نصل إلى موضوع اعتقال مصطفى وعلى أمين وكيفية مناقشته مع نجيب طبقاً لما رواه محمد التابعى فى « آخرساعة » وكان على النحو التالى :

بدأت حديثى عن اعتقال الزميلين مصطفى وعلى أمين .. ولم يطل هذا الحديث أكثر من دقائق (لاحظ مايقوله التابعى بدقة من فضلك) بعد أن أطمأنيت إلى أن قادة الحركة حريصون على تحقيق العدالة وأنهم لن يظلموا أحداً ولن يؤخذوا بدسيسة أى حقود خسيس ..

ويمضى باقى المقال (صفحة ونصف تقريباً) التابعى يسأل ويستفسر واللواء نجيب يجاوب ويشرح ويوضح .. ولم يشر التابعى أو يكتب لنا ماذا قال هيكل فى تلك الجلسة !! وكان للمقال بقية ستنشر فى عدد « آخرساعة » التالى .

وكان عنوان مقال التابعى فى « آخر ساعة » (٢٠ أغسطس ١٩٥٢) هو من أسرار ليلة الانقلاب .

يقول محمد التابعى : وغادرت دار القيادة العامة (وكان هيكل معه) وأنا أشعر بخيبة أمل شديدة وأشد منها خوف على هؤلاء الضباط البواسل أن يخدعهم فاروق (الملك) وينحنى أمامهم اليوم كى يبطش وينكل بهم بعد حين ! وكان هذا كما قلنا فى صباح يوم الجمعة (٢٥يوليو) وفى يوم السبت .. ومنذ الصباح الباكر توالت الحوادث سريعة مفاجئة متلاحقة - واعجب معى لسرعة انتشار الخبر - كانت البلاد قد عرفت أن الجيش يحاصر منذ فجر اليوم قصرى رأس التين والمنتزة بالأسكندرية وعابدين والقبة بالقاهرة . وعند الظهر عرف الشعب أن نبأ هاما سوف يذاع بعد ساعات !! ولم يشك أحد لحظة واحدة فى أن النبأ هو خلع الطاغية ، فاروق عدو الشعب رقم واحد .

ويضيف التابعى وأرجو أن ننتبه جيداً للسطور القادمة :

وفى مساء اليوم التالى الأحد (٢٧ يوليو) أفرجت القيادة عن مصطفى وعلى أمين بعد أن تأكدت من كذب الدسيسة الخسيسة .. وأصدرت بلاغاً رسمياً مشرفاً



للصديقين . ورأيت من واجبى أن أذهب فى صباح يوم الاثنين (٢٨ يوليو) لأقدم شكر الأخبار وشكرى إلى القائد العام لأنه وفى بوعده لى وهو سرعة التحقيق فى التهمة والبت فى أمر الزميلين .. وذهبنا ـ هيكل وأنا ـ (بالطبع ذهب التابعى بسيارة هيكل) إلى دار القيادة العامة .. وأقمنا ننتظر نحو ساعة وسيل كبار الزائرين المهنئين لا ينقطع . وأخيراً رأيت (الكلام للتابعى) أن أكتفى بترك رسالة شفوية أشكر فيها القائد العام (اللواء نجيب) ولقد أفضيت بها إلى ضابط صديق من أعضاء هيئة مكتب القائد العام ، ولكننا لم نمض ساعة الانتظار ساكتين فقد تحدثنا ـ زميلى هيكل وأنا ـ مع أكثر من واحد من حضرات الضباط الذين كانوا ممسكين بخطوط الحركة .

واخذ التابعى يصف ويروى ماسمعه من الضباط البواسل عن أسرار وتفاصيل ما جرى إلى أن يضيف قرب نهاية المقال ما يلى :

ويقول زميلى هيكل .. إن قلم المخابرات البريطانية فى مصر اعترف بأن له سبعين سنة فى مصر وأن هذه الحركة هى أول حادث فوجىء به تماماً قلم المخابرات المذكور (آخر ساعة ٥٢/٨/٣٠ ص ٤ ، ٥) .

ولكن لقصة اعتقال مصطفى وعلى أمين وجهاً آخر يرويه الأستاذ محمد حسنين هيكل .. ورواية هيكل سجلها ضمن كتابه « بين الصحافة والسياسة » الذى صدر عام ١٩٨٤ ، أى بعد مرور ٣٢ عاماً بالضبط على قصة الاعتقال وغياب الكثير من الأسماء . لقد روى هيكل قصة الاعتقال والإفراج على النحو التالى :

« وفجأة إذا بالسلطة الثورية الجديدة فى مصر تعتقل الأخوين مصطفى وعلى أمين ضمن من اعتقلتهم من حاشية القصر ورجال الملك ! وذهبت إلى لقاء جمال عبدالناصر فى مبنى رئاسة أركان حرب الجيش المصرى بكوبرى القبة ، وكان قد أصبح مقراً لمجلس القيادة كما عرف وقتها . والحقيقة أننى ذهبت محتجاً (هيكل هو الذى احتج) قلت له : إن القبض على صاحبى أخبار اليوم فى هذا الظرف حكم عليهما ما لم يكن هناك دليل لا أعرفه ثم إن الحرج يمتد منهما إلى الدار نفسها وكل من فيها . وكان رد جمال عبدالناصر : إنه ليس لى الحق أن أنظر إلى المسائل من زاوية شخصية على هذا النحو ثم أضاف : إن الناس كلهم يعلمون بالشكوك والظنون المحيطة بمواقفهما وارتباطاتهما ، وعلى أية حال فإن اعتقالهما إجراء وقائى بعد معلومات تفيد أن الأستاذ مصطفى أمين أجرى اتصالات يوم الثورة مع جهة أجنبية خارج مصر ، وبما أن الظرف لا يحتمل أية مناورات فإنه أصدر أمر الاعتقال .. »

إن هيكل يتعمد هنا إغفال اسم محمد التابعى تماماً ، بل إنه ينفى أن الحوار تم مع اللواء نجيب بل كان مع جمال عبدالناصر .

يضيف هيكل : وعدت فى المساء ومعى الأستاذ التابعى نرجو ونلح ! ومعنى السطر السابق أنه فى المساء قد اصطحب هيكل الأستاذ التابعى ، وهذا ما لم يخبرنا به التابعى نفسه فى مقالته المنشورة يوم ١٣ أغسطس ١٩٥٢ .

ويعود هيكل ليقول : ثم عدت صباح اليوم التالى أشرح الضغوط التى أحسست بها فى دار أخبار اليوم بالأمس ، ثم دخلت أمام جمال عبدالناصر وآخرين من أعضاء مجلس قيادة الثورة فى شرح مفصل لعلاقة الصحافة فى مصر بالسياسة ، ومن ثم علاقتها بالسلطة واحتمالات التجاوز فى ظل الظروف الموضوعية السائدة (كان هيكل وقتها عمره ٢٩ سنة وكان عمر عبدالناصر ٣٤ سنة) .

وأخيراً تقرر الإفراج عن الأستاذين مصطفى وعلى أمين وأخذتهما معى ومعنا الأستاذ محمد التابعى والأستاذ كامل الشناوى وذهبنا إلى مجلس قيادة الثورة ، وهناك قدمتهما لجمال عبدالناصر وآخرين من أعضاء مجلس الثورة ، وكان لقاء يستحق المتابعة الدقيقة ، فقد استجمع الأستاذ مصطفى أمين كل مواهبه ليدافع عن نفسه أمام السلطة الجديدة ويشرح مواقفه ، ثم رحنا جميعاً نلح فى كلمة تصدر عن

اتصال بلندن

اتصل احد اصحاب دور الصحف المصرية التى تصدر مجلات اسبوعية بلندن امس الاول وتحدث مع بعض المسئولين البريطانيين وزودهم بماجريات الامور فى مصر على اثر الحوادث الاخ

لا اتصال مع لندن

نشرنا امس خبرا عن اتصال احد اصحاب المجلات بلندن ويسر « المصرى » ان يسجل ان هذا الاتصال لم يتم بالمرة ويأسف لنشر هذا الخبر الذى نسب

الخبر الذى نشرته المصرى يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢

المجلس تبرىء أصحاب أخبار اليوم أو ترد إليهم شرفهم « على حد التعبير الذى استعمله الأستاذ مصطفى أمين ص ٥٩ » .

أما الكاتب الفلسطيني « ناصر النشاشيبي » وكان واحداً من ألمع محررى آخر ساعة منذ أواخر الأربعينيات وحتى بعد تولى هيكل رئاسة تحريرها فى يونيو ١٩٥٢ ، كما عينه عبدالناصر كأحد رؤساء تحرير جريدة الجمهورية فى أوائل الستينيات فيروى القصة على النحو التالى :

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو صدر الأمر بإلقاء القبض على مصطفى وعلى أمين ، ووضعهما فى السجن ، ويومذاك قال أنور السادات لأعضاء مجلس الثورة فى معرض مناقشة هذا التوءم : مفيش فايدة إن الحل الوحيد فى نظرى هو إعدام هذين المتهمين علشان يكونان عبرة .

ولكن جمال عبدالناصر ـ والرواية سمعتها شخصياً عام ١٩٥٣ من محمد حسنين هيكل ـ رفض أن يوافق على كلام أنور السادات ؛ بل إنه أمر بالإفراج عنهما بعد أقل من ٧٢ ساعة .. « ص ٢٢١ كتاب قصتى مع الصحافة » .

ولكن كيف كانت الصورة بالضبط داخل مجلس قيادة الثورة ؟! وماذا كان رد فعل الضباط الأحرار لاعتقال مصطفى وعلى أمين ثم الإفراج عنهما .

يقول الأستاذ « محمود الجيار » وهو من الضباط الأحرار والذى اقترب من عبدالناصر طويلاً وسجل ذكرياته على صفحات روزاليوسف ٧٦/٢/١٦)

يقول الجيار : « إن أول معارضة واجهها جمال عبدالناصر من زملائه بعد الثورة بأيام كان موضوعها مصطفى وعلى أمين ، كنا قد اعتقلناهما ليلة الثورة [الصحيح بعد ٣٦ ساعة] مع الذين اعتقلناهم من قادة الجيش ، وقد عرفت هذا عندما ذهبت أسلم قائد اللواء السابع إلى المعتقل ، فاستقبلنى قائد المعتقل الصاغ عبدالحليم عبدالعال وأخبرنى بأن لديه فى الداخل مصطفى وعلى أمين ، ودعانى إلى أن أراهما بنفسى ، وكنا نحن رجال الصف الثانى فى عنفوان الشباب والتطرف ، وكانت نظرتنا

إلى مصطفى وعلى أمين أنهما من رجال الملك . أى أنهما جزء من النظام الذى ثرنا عليه ، ولهذا اعتبرنا اعتقالهما أمراً طبيعياً جداً ، إن لم يكن واجباً وطنياً (!!!) ولكن ما كاد يتم إخراج الملك من البلاد فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ حتى فوجئنا بالكاتبين يستردان حريتهما ويعودان إلى أخبار اليوم » .

لاحظ أن الجيار لم يشر إلى السبب المباشر للاعتقال ولا السبب المباشر أيضاً للإفراج عنهما ، ولكنه يعود فيقول :

« وانتشرت حالة من الاحتجاج بين صفوف الضباط الأحرار ، وحدث نوع من البلبلة عندما عرفنا أن الذى أمر بإطلاق سراح الكاتبين كان جمال عبدالناصر نفسه ولأن جمال عبدالناصر كان قائد الضباط الأحرار وموضع ثقتهم ، فإن الاحتجاج لم يلبث أن هدأ بين صفوفنا ، ولكنه لم يهدأ داخل مجلس الثورة الذى يضم قادتنا ، زملاء جمال ، فقد أثير الموضوع داخل المجلس وكان أول مناسبة يفاجأ فيها عبد الناصر بأن الأغلبية ضده ، وفى المقدمة كمال الدين حسين وحسن إبراهيم وفى مقدمة المقدمة عبداللطيف البغدادى . ولكن قرار عبدالناصر كان قد نفذ وانتهى الأمر وكان مقتنعاً به : فهو بالإفراج عن مصطفى وعلى أمين قد أعفى نفسه من مشكلات ، ثم انه كسب كثيراً بالإفراج عنهما . فقد جند مصطفى أمين أخبار اليوم لتأييد الثورة بعد أن كانت تؤيد الملك (!!) والواقع أن تأييد مصطفى أمين ظل يتصاعد بعدها بلا تحفظ » .

ويروى الجيار واقعة لها دلالتها البالغة جرت فى عام ١٩٥٩ عندما ذهب عبدالناصر لزيارة سوريا فيقول :

« نزلت فى فندق كان فيه مصطفى أمين والمرحوم كامل الشناوى وغيرهما من نجوم الصحافة . وبعد يومين جاءت الأنباء بأن عبدالناصر سيصل مساء الغد إلى دمشق وإذا بمصطفى أمين يبحث عنى ليقول لى : أرجوك أن أطلب من الرئيس أن يؤجل وصوله إلى صباح الغد !! فدهشت وسألته : ليه ؟ قال : كى تكون هناك فرصة لاستقباله كما يجب ، وسأقول لك سراً ، لقد أبرقت فعلاً إلى أخبار اليوم بأن تكتب على رأس الصفحة الأولى فى برواز « حكمة اليوم » بيت الشاعر أحمد شوقى :

دخول الظافرين يكون صباحا ... ولا تزجى مواكبهم مساء !

كان كلاماً مقنعاً جعلنى فعلاً أتصل بموكب الرئيس وأقترح تأجيل ميعاد وصوله إلى الصباح (ثم يقول الجيار معلقاً) ولكن ما هزنى كان هذا الحماس الذى بدأه مصطفى أمين وقد فسرته وقتها بأنه عرفان بجميل عبدالناصر الذى أطلق سراحه فى مواجهة المعارضة الحادة من جانب البغدادى وكمال حسين وغيرهما (روز اليوسف)

وأصل بكم إلى شهادة لها دلالتها الهامة . فصاحبها هو « إبراهيم طلعت المحامى » ، فقد كان من ألمع شباب الطليعة الوفدية ومن أصدق أنصار الثورة فى وقت واحد ، وكان يتمتع بثقة عبدالناصر وثقة النحاس باشا بنفس الدرجة ، وكان إبراهيم طلعت صديقاً قديماً لعبدالناصر منذ تعرف عليه فى حزب مصر الفتاة فى الثلاثينيات ثم زامله فى كلية الحقوق عام ١٩٣٧ ، كان أول مدنى يطلبه عبدالناصر صباح ٢٣ يوليو .. وعندما نشر إبراهيم طلعت مذكراته السياسية فى الزميلة « روزاليوسف » بعنوان « أيام الوفد الأخيرة » كانت هذه المذكرات أخطر وأهم ما نشر عام ١٩٧٦ .

يقول إبراهيم طلعت فى شهادته تحت عنوان « عندما انتصر مصطفى أمين على جمال عبد الناصر » ما يلى :

« كانت جريدة « أخبار اليوم » من أهم العناصر التى ساعدت على توسيع الفجوة بين الوفد والحركة (الثورة) فقد كان عداء أخبار اليوم للوفد تقليديا قديما ، كما أن المنافسة الصحفية كانت واضحة بين أخبار اليوم والمصرى ، وبالرغم من أن مصطفى أمين كان قد اعتقل بعد قيام الحركة بيومين لموقفه منها عند بدئها ثم أمر جمال عبد الناصر بالإفراج عنه كطلب أحمد أبوالفتح » وإلحاحه (عكس شهادة هيكل تماما) إلا أن مصطفى أمين بلباقته وشخصيته وذكائه استطاع أن يستحوذ على قلوب بعض ضباط القيادة ، وقد تزايد نفوذ مصطفى أمين بعد ذلك إلى درجة أنه توجه إلى فؤاد سراج الدين بعد ذلك فى المعتقل يساومه باسم مجلس القيادة للإفراج عنه إذا تنازل عن القضية التى رفعها فى مجلس الدولة تظلماً من أمر الاعتقال » .

ويرى إبراهيم طلعت قصة اجتماع جرى بين عبد الناصر وصحبه وفؤاد سراج الدين ، وبعدها زاره الأستاذ كامل الشناوى زيارة مفاجئة ودار بينهما حديث طويل حول ما جرى فى الاجتماع الذى تم بين فؤاد سراج الدين وعبد الناصر وزملائه . ثم يقول إبراهيم طلعت بالنص :

« فوجئت بجريدة أخبار اليوم تنشر تحقيقا كبيرا وبعناوين مثيرة عن هذا الاجتماع وما دار فيه ، وكان هذا التحقيق بقلم « كامل الشناوى » وفوجئت بأنه ينطوى على أشياء غير صحيحة تخالف ما جرى وبعضها عكس الذى سمعه منى تماماً ، ومن شأنه إفساد النتائج التى يمكن أن تتحقق لهذا الاجتماع الذى اتفقت فيه آراء الوفد وحركة الجيش (بشأن إعادة الحكم الدستورى) ، وبعد ذلك بأيام صدرت مجلة آخر ساعة وكان يرأس تحريرها « محمد حسنين هيكل » وفى الملحق الذى يوزع معها باسم « آخر لحظة » نبذة صغيرة عن هذا الاجتماع تقول : إن فؤاد سراج الدين .. صرح بأنه قد وضع ضباط القيادة فى جيبه .. وانفجر هذا النبأ الكاذب كالقنبلة داخل

مجلس القيادة واتصلت بعبد الناصر تليفونياً فى ذلك اليوم وأكدت له عدم صحة ما نشر ، ولكنه أجابنى بأن هذا الأمر لا يقدم ولا يؤخر فيما اتفقنا عليه ، وقال : أنا عارف إنهم كدابين !!

ولكننى أحسست من نبرات صوته أنه متأثر جداً مما نشر وأنه فى قرارة نفسه يعانى شيئاً كالهزيمة .

ويروى أحمد حمروش فى مقال « آخر معارك النحاس مع الجيش وضده » أنه بعد نشر الخبر السابق فى « آخر لحظة » أن فؤاد سراج الدين فوجىء بالخبر ، ويؤكد عدم صحته ، وعدم صدور مثل هذه الكلمات منه ، وتأكد ـ سراج الدين ـ أن فى الأمر دسيسة لابد أن يتأثر منها قادة الحركة . (ويؤكد حمروش) وهكذا لعبت صحافة الإثارة دورها التقليدي لشق الصفوف مقدماً ، ومنع التلاحم بين الجيش والوفد !! (روز اليوسف ١/٩/١٩٧٥) .

ويروى أحمد جمروش واقعة ذهاب « مصطفى أمين » إلى فؤاد سراج الدين فى المعتقل حاملاً رسالة من أعضاء مجلس القيادة تقول .. إنهم على استعداد للإفراج عنه إذا تنازل عن القضية ، ويعلق حمروش قائلاً : وكان غريباً أن يتحول مصطفى أمين إلى مندوب لرجال القيادة وهو الذى اعتقل فى الأيام الأولى للحركة !! (ص ٢٧٤ قصة ثورة ٢٣ يوليو) .

ويلفت النظر فيما بعد أن « أنتونى ناتنج » وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية والذى شارك فى مفاوضات الجلاء عام ١٩٥٤ ، يروى فى كتابه « ناصر » وكانت المناسبة حديثه عن أزمة مارس ١٩٥٤ ، وأحداثها .

كتب ناتنج يقول : ونشر مصطفى وعلى أمين بتحريض من عبد الناصر تسجيلات لمحادثات تليفونية بين محمد نجيب ومصطفى النحاس توحى بأن اللواء محمد نجيب يعمل بنشاط على عودة الوفد إلى السلطة ، ولما كانت صحيفة الأخبار ذات النفوذ تؤيد عبدالناصر والثورة فإن الصحف الأخرى سارت على منوالها « ص ٥٤ » .

وقبل ذلك فإن ناتنج يشير إلى واقعة بالغة الدلالة جرت بعد أن اجتمع مجلس القيادة ولم يكن أمام عبدالناصر لحظتها سوى التسليم بانتصار محمد نجيب عليه ، ويقول ناتنج : لكن فى خلال ساعات قليلة حدث تغير مثير ، فلسبب ما أعلنت صحيفة الأخبار وهى إحدى صحف القاهرة الرئيسية فى مقال افتتاحى لها أن عبدالناصر كان وسيظل الزعيم الحقيقي للثورة بالرغم من أن عبد الناصر نفسه قد أبلغ رئيسى تحريرها الأخوين مصطفى وعلى أمين أنه قد خسر المعركة أمام نجيب ومن ثم فإنه ليس ثمة ما يلزمهما أو حتى من مصلحتهما تأييده ..



○ اللواء نجيب يصافح مصطفى امين

وروى لى الكاتب الكبير « موسى صبرى » ضمن حوار طويل معه ما يلى :

كان ما حدث لمصطفى وعلى أمين صدمة خطيرة لنا ، ووضعنا ذلك فى مأزق ، ثم اتضح لنا أن محرر الحوادث فى جريدة المصرى أبلغ قيادة الثورة أن مصطفى وعلى أمين اتصلا تليفونياً بلندن وتحدثا مع وكيل وزارة الخارجية البريطانية ، وطلبا إليه أن يتدخل الجيش البريطاني ضد الثورة ، وأن حديثهما التليفوني هذا المسجل على أسطوانة موجودة فى مصلحة التليفونات .. ونشرت الصحف هذا الاتهام .. وفى ذلك الوقت كنت موجوداً فى الأسكندرية بمكتب الأخبار ، واتصل بى المرحوم الأستاذ محمد التابعى من القاهرة وقال لى : انا أعلم أنك تعرف أنور السادات كويس ، أرجوك أن تتصل به وتبلغه على لسانى ألا يظلم الضباط أحداً وأن مصطفى وعلى أبرياء ، وقلت للتابعى : إننى فعلاً سأتصل بأنور السادات من أجل هذا الغرض ، وبحثت عن السادات الذى كان موجوداً فى الأسكندرية فى ثكنات مصطفى باشا ، وحصلت على رقم تليفونه وطلبته ، وقلت له : ياحاج أنور ـ إننا منذ كنا معتقلين سوياً فى المعتقل ونحن نناديه ياحاج ، والحقيقة انا لا أدرى حتى الآن السبب فى هذه التسمية ، المهم اننى بمجرد أن قلت له : يا حاج ـ قال لى : أهلاً ياموسى ، وشرحت له الموضوع كله فقال لى : تأكد يا موسى أن هذا الموضوع سيتم البت فيه على وجه السرعة الليلة أو بكرة بالكتير ، ولا يمكن للثورة أن تظلم صحفياً واحداً ! وفعلاً اتضح بعد التحقيق انها كذبة وتم الإفراج عن مصطفى أمين وعلى أمين !!

وأخيراً يروى لنا مصطفى أمين قصة الاعتقال والإفراج بالشكل التالى :

« قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وفوجئت بأنهم قبضوا علىَّ أنا وأخى على أمين ودهشت ، اعتقدت أنهم يتحفظون علينا لحرصهم على ألا ننشر خبر عزل الملك فاروق فى « أخبار اليوم » التى كانت تصدر صباح السبت ، وكانت لدينا معلومات تؤكد أن رجال الثورة فى نيتهم عزل فاروق ، بعد ثلاثة أيام فوجئنا بأنور السادات يزورنا فى الزنزانة وقال لنا إن أحد الأشخاص ذهب إليهم وقال : إنكما طلبتما من وكيل وزارة الخارجيةالبريطانية التدخل ضد الثورة ، وهناك شريط مسجل عليه الحديث ، وقال (أى السادات) أنه كان من رأى بعض الضباط الأحرار أن تضربا بالرصاص ، ولكن تم الاتفاق فى النهاية على سجنكما ، وبعد أن تم ابعاد الملك ذهبنا إلى مصلحة التليفونات وطلبنا الشريط المسجل عليه المكالمة ، ولكنهم فى مصلحة التليفونات قالوا : إن أخبار اليوم لم تطلب لندن على الإطلاق لا يوم ٢٣ يوليو ولا ٢٤ ولا ٢٢ ، وأن على ومصطفى أمين لم يتحدثا إلى لندن تليفونياً أبداً طوال شهر يوليو !! ويطرح السؤال نفسه : من كان وراء هذه الوشاية ؟!

كان الواشى محرراً فى جريدة منافسة على صلة قوية بثروت عكاشة ، وتشاء الظروف أن يحكم عليه بعد سنتين بعشر سنوات سجن فى تهمة تخابر مع بريطانيا .

ذهبنا إلى مجلس قيادة الثورة فور الإفراج عنا ، وهناك التقينا باللواء محمد نجيب وجمال عبدالناصر والبغدادى وكمال الدين حسين وصلاح سالم . قال محمد نجيب : نحن آسفون جداً لهذا الخطأ ، لقد بحثنا الموضوع فلم نجد له أى أساس من الصحة . وهنا قال عبدالناصر : أظن أنه من حقكما أن نصدر بياناً نوضح فيه حقيقة ما جرى ، ونقول فيه إننا آسفون جداً وأنه تبين لنا أنكما بريئان ، بالفعل أعد البيان وأذيع فى الإذاعة أربع مرات فى يوم واحد » (ص ٩ و١٠ كتاب مصطفى أمين يتذكر من إعداد جمال الغيطانى) .

وتقول الأستاذة مى شاهين فى كتابها شارع الصحافة : إن الأستاذ الأكبر الشيخ « عبدالمجيد سليم » شيخ الجامع الأزهر أرسل بالرسالة التالية إلى مصطفى وعلى أمين عقب الإفراج عنهما :

« إن الله يدافع عن الذين آمنوا » ، إن أصحاب الحق يتولى الله حفظهم دائماً ماداموا مخلصين مؤمنين بالوطن عاملين من أجله . ولقد دعوت الله أن يحفظكما دائماً » « ص ٥٥٣ » .

●

وبعد ١٣ سنة عادت الثورة لتقبض على « مصطفى أمين » بتهمة التخابر مع أمريكا !!



٢ محمد حسنين هيكل

أنا وعبد الناصر صداقة الحظ والشرف!

اعفانى الكاتب الصحفى الكبير المرحوم « على امين » توءم مصطفى امين من البحث عن سطور تصلح كمقدمة ومدخل للتعريف بالأستاذ « محمد حسنين هيكل » الذى تجاوز بقلمه ومقالاته حدود مصر ليصل إلى القارىء العربى والعالمى !

سطور « على امين » التى كتبها فى ١٨ يونيو ١٩٥٢ وجعلها افتتاحية مجلة آخر ساعة كانت بمثابة خطاب وداع للقارىء بمناسبة استقالته من رئاسة تحرير آخر ساعة وتعيين الصحفى الشاب محمد حسنين هيكل رئيسا للتحرير بدلا منه قبل قيام الثورة باسابيع !

يقول على أمين : اليوم ازيح الغبار عن خطاب الوداع وأعرضه عليك كما كتبته منذ عام . إن زحمة العمل فى دار أخبار اليوم تضطرنى إلى الإستقالة من رئاسة تحرير آخر ساعة ، وقد كنت منذ أكثر من عام أتوقع هذه الاستقالة ، ولذلك بحثت عن شاب يعمل بجانبى كما كنت أعمل منذ ١٨ عاماً بجانب الأستاذ التابعى ، يتحمل أعصاب رئيس التحرير ويجمع أطرافها المبعثرة ويبحث عما فقد منها بين الأدراج والمكاتب وسلال المهملات . ثم يتعلم وظيفة رئيس التحرير ! واخترت عدداً من الشبان الأكفاء .. ولكن بعضهم سقط فى منتصف الطريق .. وبعضهم كنت أمضى الساعات باحثا له عن أعصابه المتناثرة بين الأدراج والمكاتب وسلال المهملات ! وكان آخر هؤلاء الشبان هو « محمد حسنين هيكل » .

وأحب أن اعترف لك بأنه كان آخر من فكرت فيهم ! لأننى كنت أصر على أن يبقى فى العمل الذى نبغ فيه وهو « الباحث عن المتاعب » فقد كانت أخبار اليوم ترسله بالطائرة وراء كل انقلاب ! فيقيم الدنيا ويقعدها بتحقيقاته الصحفية .. وكنت فى نفس الوقت أخشى عليه من التجربة ، كما يخشى الأب على ابنه إذا ركب طائرة أو دخل مغامرة ، فإننى أشعر بأن « هيكل » ابنى ..اكتشفته ودفعته إلى الأمام .. فإذا به يصبح نجما من نجوم الصحافة وهو فى سن الرابعة والعشرين ! ولذلك كنت أخاف عليه .. وأخاف على اكتشافى من أن يدخل فى امتحان جديد ! ولكنه دخل التجربة ونجح وعمل فى العامين الماضيين كمساعد لرئيس تحرير آخر ساعة ثم كرئيس تحرير فعلى ، فلمع فى الدار وإن لم يخرج نوره إلى الشارع !

وأخيرا أقدم لكم استقالتى لأعود محررا عاديا فى آخر ساعة . وأقدم لكم مع الاستقالة رئيس تحرير آخر ساعة الجديد .. محمد حسنين هيكل .

انتهت سطور على أمين التى قدم بها « هيكل » للقراء !

ولكن فى كتاب ملفات السويس يقول هيكل : سنة ١٩٥٠ زارنى « جمال عبدالناصر » فى مكتبى فى آخر ساعة وكنت رئيساً لتحريرها وراح يناقش معى ما يجرى فى سوريا !! «ص ١٩٧ » .

منذ خمس سنوات صدر في لندن كتاب هام عنوانه « سلطات الصحافة » للصحفي والكاتب البريطاني « مارتن والكر » الذي عمل لفترة في صحيفة « الجارديان » البريطانية ، وتنشر مقالاته وتحليلاته في عدد من صحف العالم ومنها « النيويورك تايمز » و« الواشنطن بوست » .

في الفصل الخاص بجريدة الأهرام يعرض الكاتب لتاريخ الأهرام ونشأتها ، ودورها في الحياة المصرية إلى أن تعرض أسرة « تقلا » صاحبة الأهرام على الصحفي الشاب هيكل أن يتولى رئاسة تحريرها . وهنا يقول الكاتب البريطاني « والكر » :

« لاشك أن جزءاً من نجاح هيكل في صحيفة الأهرام يعود إلى علاقته الوثيقة بجمال عبد الناصر وقد بدأت تلك العلاقة خلال عام ١٩٤٨ إثر النكسة التي تعرضت لها الجيوش العربية في حربها مع إسرائيل ، فقد كتب هيكل في تلك الفترة سلسلة مقالات عن « الصمود البطولي » للجيش المصري في موقع الفالوجة ، وكان قائد ذلك الموقع يومئذ ضابطا شابا جرح أثناء المعارك اسمه جمال عبد الناصر .. في ذلك الموقع بالذات ـ يقول المؤلف ـ ولدت الصداقة العميقة التي ربطت الرجلين حتى آخر أيام الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر » .

يضيف المؤلف : « ولكن تلك الصداقة لم تكن سوى الإطار الذي سمح لهيكل بإظهار موهبته في ميدان الصحافة .. إذ سبق له أن نال جائزة الملك فاروق للصحافة مدة ثلاث سنوات متعاقبة ، وسمحت له قدرته الكتابية المميزة بالحصول على تخويل من وزارة الخارجية الأمريكية لزيارة الولايات المتحدة والتوقف في كوريا خلال رحلته .

وقد استطاع هيكل بفضل تجواله ورحلاته الصحفية تعميق خبرته ، وتوسيع معارفه وشبكة علاقاته .. وهذا بالذات ما دفع بجمال عبد الناصر إلى استشارته قبيل الانقلاب العسكري الذي أوصله إلى السلطة حول ردود الفعل البريطانية المنتظرة ، وبعد نجاح الانقلاب « التعبير للمؤلف » في ٢٣ يوليو كان هيكل الرجل الوحيد الذي بإمكانه الكتابة عن شخصية قائده وأهدافه .

ورغم الصداقة التي جمعت هيكل بالقائد المصري الجديد رفض الصحفي الشاب اعتماد المديح والثناء في كتاباته ، بل حاول التعرض وبعمق للمشاكل التي برزت أمام مصر وتحليلها بعقل ناقد ومنفتح ، وبسبب قرب هيكل من الرئيس المصري ، انكب الرسميون المصريون والصحفيون الأجانب ، والهيئات الدبلوماسية المعتمدة في مصر على قراءة كل كلمة في مقالاته بتمعن كبير ، محاولين دراستها وتحليلها ، بغية اكتشاف مضمونها الحقيقي وأبعادها ، والتعرف من خلالها على النوايا والطموحات الحقيقية لقائد أقوى دولة عربية . ولكن هذه العلاقة الوطيدة مع عبد الناصر ليست كافية وحدها لتفسير الشهرة العالمية التي حظى بها هيكل في عالم الصحافة ؛ فهناك عوامل عدة ساهمت في بروزه ، ربما كان أهمها قدرته الفذة على الكتابة والتحليل ، بالإضافة

إلى حيويته التى لا تنضب . ويجب هنا بالطبع عدم إغفال أهمية الدور الريادى الذى لعبته مصر داخل منطقة الشرق الأوسط فى تلك الحقبة الهامة من تاريخها . هذه الظروف والعوامل المتداخلة سمحت لهيكل بمضاعفة حجم توزيع الأهرام خلال عام ١٩٥٨ فوصل إلى ١٢٠ الف نسخة يوميا ، وكان نجاح الأهرام بمثابة كارثة حقيقية بالنسبة إلى صحيفة « الجمهورية » الرسمية التى تدنت مبيعاتها من ١٦٠ ألفا خلال عام ١٩٥٧ إلى ٤٠ ألف نسخة خلال عام ١٩٥٨ .

يكمل المؤلف البريطانى : استطاع هيكل بفضل المكانة البارزة التى انتزعها لنفسه داخل عالم الصحافة بالإضافة إلى علاقته المميزة بعبد الناصر التأثير على قرارات القيادة المصرية والتدخل لديها مباشرة من أجل صرف النظر عن بعض القوانين التى كان يعتبرها مجحفة فى حق الصحفيين والصحافة المصرية عامة ، وسمح له قربه من عبد الناصر بمناقشة القضايا الحساسة بشكل مباشر مع رئيس الدولة ، وكان من عادة الرجلين الاتصال يوميا ببعضهما البعض الساعة الثامنة صباحا عبر الهاتف بغية استعراض الأوضاع الدولية والوقوف على آخر الأخبار . وأبلغ عبد الناصر حرسه الخاص فتح المجال أمام هيكل للاطلاع على كافة الملفات التابعة للقصر الجمهورى ساعة ما يشاء .

لقد كانت علاقة الرجلين فى الواقع فريدة ومميزة . إذ رغم الخلافات العميقة التى كانت تبرز بينهما حول بعض القضايا الحساسة لم تنقطع أواصر المودة بينهما ، أو عرى التفاهم ، حتى إذا ما تباينت وجهات نظرهما دون إمكانية التوفيق فيما بينها ، اتفق الرجلان على عدم مناقشتها !!

وقد اعتمد عبد الناصر على الصداقة التى كانت تربطه بهيكل من أجل بدء الاتصال السرى بالسفارة الأمريكية فى القاهرة خلال فترة الخمسينيات ، مما دفع البعض إلى اتهام هيكل بالعمالة للولايات المتحدة ، كما لعب هيكل دور أداة الاتصال فى البداية بين الرئيس المصرى ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وحاول بذل جهود جدية بغية إقناع بريجنيف خلال عام ١٩٧٠ بتزويد مصر بصواريخ مضادة للطائرات .

وسعى هيكل دائما إلى الاحتفاظ باستقلاليته الفكرية رافضا الرضوخ أو التأثر بالآراء الغوغائية غير المنطقية أو الواقعية ، وعلى هذا الأساس رفض إلقاء اللوم بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ على ضباط الجيش المصرى ، مشيرا إلى ضرورة إعادة النظر وبشكل شامل فى تركيبة المجتمع المصرى كله » .

انتهى أبرز ما كتبه الصحفى البريطانى مارتن والكر ، وتبقى ملاحظة .. أن كتابه « سلطات الصحافة » كانت قد قامت بعرض وتلخيص له مجلة « المجلة » السعودية فى يناير ١٩٨٣ ، ثم عادت بعد ذلك ـ نفس المجلة ـ لتوقف نشر حلقات كتاب هيكل « خريف الغضب » وتقود حملة التشهير به والهجوم عليه بعدها بأربعة شهور.

المهندس « سيد مرعى » واحد من ألمع الوجوه السياسية فى مصر قبل الثورة وبعدها فقد بدأ حياته السياسية عضواً فى مجلس النواب عام ١٩٤٤ ، وبعد قيام الثورة اختاره جمال عبد الناصر لتطبيق أول قانون للإصلاح الزراعى ثم وزيرا للزراعة ونائباً لرئيس الوزراء للزراعة لسنوات عديدة ، وفى سنوات حكم السادات شغل أكثر من منصب هام : أمين عام الاتحاد الاشتراكى ، رئيس مجلس الشعب ، كان آخر منصب يشغله فى حياة السادات هو مساعد رئيس الجمهورية .

« أوراق سياسية » عنوان مذكرات المهندس سيد مرعى التى أصدرها عام ١٩٧٧ شهادة المهندس سيد مرعى فى حق هيكل تجىء أهميتها لكونها صدرت وهو القريب من السادات (بحكم المنصب وعلاقة المصاهرة) مع علمه بخلاف السادات ـ هيكل .

فى الجزء الثانى من المذكرات (من أزمة مارس إلى النكسة) يروى سيد مرعى ما جرى بعد صدور قوانين يوليو الاشتراكية ١٩٦١ ثم الانفصال عن سوريا وإعفائه من الوزارة ، وبداية حملة تشهير به واتهامه بأنه المسئول عن كارثة القطن .. ثم محاولة الطعن فى نزاهته (ص ٤٤١) .

يقول سيد مرعى : « وفى هذه الحالة من التقزز والاكتئاب والمرارة قررت أن ألجأ إلى محمد حسنين هيكل .. إن صداقتى بهيكل تمتد خلفا إلى سنة ١٩٥٢ ، وإذا كان البعض له مصلحة أكيدة فى تدمير سمعة سيد مرعى فإن هيكل ليست له هذه المصلحة » . (ص ٤٤٢) وزرت « هيكل » فى مكتبه فى جريدة الأهرام ورويت له الأبعاد الكاملة لحملة التشهير ضدى .

وهنا قال محمد حسنين هيكل : لا .. لا .. عند هذا الحد لابد أن تتوقف الأمور .. أرجوك اكتب لى بيانا بهذه الوقائع ، وسوف أنشره لك فى الأهرام مهما حدث » .

ويروى سيد مرعى كيف عاد إلى البيت وبدأ فى إعداد بيان بالحقائق مجردة عندما دق جرس التليفون والمتحدث هو هيكل الذى قال له : إننى اتصلت بالرئيس جمال عبد الناصر ورويت له القصة كاملة وقد تأثر جداً ، وأمر بنشر البيان فى كل الصحف فارسله لى بسرعة « ونشر البيان فى الأهرام صباح ٩ يناير ١٩٦٢ » (ص ٤٤٣) .

انتهى ما كتبه المهندس سيد مرعى . ويبقى السؤال .. هل كان هيكل فى عصر عبد الناصر فوق مستوى النقد ، ومستوى المساءلة ؟ هل كان الآخرون يخشون نقده ليقينهم بعمق ما بينه وبين عبد الناصر ؟! هل كانت صداقته لعبد الناصر حاجزا لاستحالة توجيه كلمة إليه ؟! الإجابة أجدها عبر صفحات الجزء الثالث من مذكرات سيد مرعى ، وكانت المناسبة خبرا نشرته الأهرام صباح ٩ فبراير ١٩٦٩ ، كان الخبر بعنوان « إقرار المالك بالخلو تحت الضغط لا يعتد به » وبعد ثلاثة أيام بالضبط كان هناك اجتماع للجنة المركزية وحضره عبد الناصر نفسه .

وقال أحد أعضاء اللجنة المركزية : لحساب من ينشر هذا الكلام فى الأهرام ؟ وهل

المقصود بهذا الكلام ضرب المحافظين الثوريين الذين عملوا على استرداد خلو الرجل ، أم الاتحاد الاشتراكى وهو التنظيم السياسي الذى وقف وراء هذا العمل وأيده وباركه ؟! ارجو ياسيادة الرئيس خصوصا بعد أن سمعت من سيادتك أنك متصل بصحيفة الأهرام أن توجه نظر هذه الصحيفة حتى تكون عند حسن الظن ، وأطالبك بإجراء تحقيق حول هذا الموضوع حتى نضع الأهرام فى مكانها الصحيح ملكا للشعب وتحت إدارته . وتعمل لصالح الشعب ؟ .

وهنا رد الرئيس جمال عبد الناصر على العضو بقوله : والله أنا تقريبا الكلام اللى انت قلته ده .. أنا قلته لحسنين هيكل بالكامل وأنا برضه بأعتقد أن فيه رجعيين فى الأهرام ولكن أنا معاك .. الأخ ضياء الدين داود بيحقق فى هذا الموضوع بالنسبة للأهرام !! وبعدين مش عاوز تجيبوا سيرة علاقتى بالأهرام وإلا اقطعها : وأنا بأعتبر يمكن الأهرام هى من أحسن الجرايد اللى عملت وطورت ناس وشغلت ناس وأنا متابع هذا ، ويمكن أنا مش عايز أدى الكلمة لرئيس تحرير الأهرام ، واسيبه يتعامل مع الأستاذ ضياء داود . ويختم سيد مرعى الرواية قائلا « ص ٥٨٩ » :

- وهكذا إذن تقرر التحقيق مع محمد حسنين هيكل .

●

محمد أحمد فرغلى « باشا » ملك القطن قبل ثورة يوليو وأحد مليونيرات ذلك العصر ، والاسم الرنان فى عالم المال والاقتصاد ، وستون عاما فى كواليس ودهاليز السياسة والاقتصاد فى مصر ، عرف فيها مئات الأسماء التى شاركت كل بقدر فى صياغة تاريخ مصر من سعد زغلول إلى أنور السادات مرورا بالنحاس باشا وعبد الناصر من طلعت حرب إلى عزيز صدقى ومن مكرم عبيد إلى سيد مرعى .

أصدر ملك القطن مذكراته التى جعل عنوانها « عشت حياتى بين هؤلاء » والتى كانت مثار تعليقات واهتمامات العديد من كل الاتجاهات . فى هذا الكتاب يخصص فصلا بكامله (١٠ صفحات) عن هيكل . ويروى كيف وقف معه فى أحلك اللحظات بعد قرارات التأميم والحراسة التى لحقت به .

يقول فرغلى باشا : من الأشياء التى تؤخذ على الأستاذ هيكل قول البعض انه شارك فى معظم السياسات الخاطئة التى حدثت فى عهد الرئيس عبد الناصر .. وأنى أعتقد مخلصا أن العكس هو الصحيح ، فأنا أعتقد أنه شارك بقدر كبير فى تصحيح مسار سياسات خاطئة ، بل إنه كان عاملا مخففا للإجراءات الاستثنائية التى حدثت فى تلك الفترة ، وأنى لعلى علم كامل بوقوفه بجانب الكثيرين ممن أضيروا بالثورة ، وساعدهم بإخلاص واقتناع ودون انتظار حتى لكلمة شكر ! وأنى لأذكر جيدا كيف وقف بجوارى فى محنتى دون سابق معرفة بيننا ، كما أعرف أنه ساعد « احمد عبود باشا » فى محنته ليسافر إلى الخارج للعلاج ، ولم تكن مساعدته هذه مخالفة للقانون ،

بل على العكس كانت محاولة منه لأن يسود قانون الرحمة والعدل .

كان من الطبيعى أن يكون فى الصحافة وفى السلطة من يضمرون له الكراهية أو حتى الشر له ، وهذا أمر إنسانى ، وطبيعى ساعد على وجوده صعوده وتجاحه ، وقربه من الرئيس عبد الناصر وثقة الرئيس فيه .

ومن المعروف أنه كان يوجد تليفون مباشر يربط مكتب الأستاذ هيكل بالرئيس عبد الناصر ، وكثيرا ما كان الرئيس يطلبه أثناء وجودى فى زيارته ، عندما كنت أهم بالخروج أتركه على حريته ، لكنه كان يومىء برأسه مشيرا لى كى أبقى ، وأحيانا كانت تطول المكالمة لتصل إلى ساعة !

ثم يروى فرغلى باشا حكاية لها دلالتها فيقول : من الأحداث التى ضايقتنى وذهبت اقصها على الأستاذ هيكل ، أن أحد الأصدقاء كان حاضرا فى اجتماع مع أحد الوزراء فى ذلك الوقت وهو د . لبيب شقير .. واقترح هذا الصديق على الوزير اقتراحا جاء فيه : لماذا لا نستفيد بعلم وخبرة فرغلى فى مجال القطن عن طريق إعطائه وظيفة مناسبة وبذلك نحقق هدفين : نستفيد بخبرته ، ونعمل على إخراجه من ضائقته المالية التى نجمت عن التأمين والحراسة . فما كان من د . لبيب شقير إلا أن رد عليه بقوله :

ـ ياسيدى يبيع نجفة من بيته ، ويعيش بها لمدة سنة ! وعندما استمع الأستاذ هيكل لهذه الحكاية بدا على ملامحه أنها لم تعجبه ، وبعد تفكير قال لى :

ـ وهل تعتقد أن وزراءنا لا ينطقون بسخافات فى بعض الأحيان ؟ !

●

حافظ محمود شيخ الصحفيين ، وعجوز الصحافة الدائم الشباب والذاكرة القوية التى لا تشيخ ونقيب الصحفيين لثلاث دورات ، عبر حوار طويل (٨ ساعات) ، روى لى واقعة محددة وكان يشغل وقتها منصب نقيب الصحفيين .

قال الأستاذ حافظ محمود : فى أواخر عهدى بنقابة الصحفيين فى فبراير ١٩٦٧ دعوت لإقامة مؤتمر للصحفيين العرب فى القاهرة يناقش موضوع « استخدام البترول فى المعركة » ـ وأبلغت من جانبى مسئولى الاتحاد الاشتراكى بهذا الموضوع ، ويبدو أنهم استنكروا ذلك ، وإذا بى أفاجأ قبل موعد انعقاد المؤتمر بحوالى ٢٤ ساعة بأن هناك تعليمات صادرة بإغفال أية إشارة عن هذا المؤتمر فى وسائل الإعلام والصحافة .

كانت كل الوفود الصحفية العربية قد وصلت ، وانا فى حيرة من أمرى تماما ولا أدرى ماذا أفعل وماذا أقول لهؤلاء الناس ، وضاقت الدنيا فى وجهى وأخذت أسير فى الشارع دون هدف .. وفجأة وجدتنى أمام مبنى الأهرام .. صعدت حيث مكتب الأستاذ هيكل رئيس التحرير ، ولصلته بجمال عبد الناصر .. حكيت له كل ما حدث

وفوجئت بهيكل يقول لى : يقال إن دعوة نقابة الصحفيين لهذا المؤتمر لم ينظر إليها نظرة جدية وأن أحداً من الوفود الصحفية العربية لم يلب هذه الدعوة !

وقلت لهيكل : إذا لم تكن واثقا فيما قلته لك يمكنك الاتصال بالفندق الذى يقيم فيه أعضاء الوفود لتتأكد إذا كانوا قد وصلوا بالفعل أم لا ؟!

المهم أن هيكل تأكد من صدق كلامى وقام بإبلاغ جمال عبد الناصر بكذب وعدم صحة المعلومات التى وصلته عن المؤتمر .. وأبلغنى هيكل أن الرئيس عبد الناصر قرر شفويا أن يقوم التليفزيون العربى بإذاعة جلسة افتتاح المؤتمر على الهواء مباشرة ليراها الرئيس بنفسه .. وإذا وجد جدية فى هذا المؤتمر فسوف يحضر بنفسه الجلسة الختامية للمؤتمر .

وجاءت جلسة الافتتاح بمثابة مظاهرة صحفية ضخمة .. وشىء لم يسبق له مثيل .. وفى مساء نفس اليوم قابلنى هيكل وأبلغنى أن عبد الناصر أمر بإلغاء الحظر الإعلامى المفروض على المؤتمر ، وقرر أن تكون الجلسة الختامية للمؤتمر بمقر اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، وسيذيعها التليفزيون على الهواء وسيحضرها عبد الناصر

وحضر عبد الناصر وعارف وقمت بتقديم الوفود الصحفية له ، وشكرنا جميعا . وطلب منى بوصفى نقيبا للصحفيين الحرص على عقد مثل هذه المؤتمرات بصفة مستمرة .. وقال لى أمام عارف وكان هيكل يتوسطنا : هذا أعظم تجمع صحفى شاهدته فى حياتى يا حافظ .

●

أعود إلى كتاب « عبد المجيد فريد » من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية ٦٧ ـ ١٩٧٠ الذى صدر عام ١٩٧٩ . والمعروف أن المؤلف كان يشغل منصب أمين عام رئاسة الجمهورية منذ عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٧٠ ، واعتقل ضمن مجموعة (١٥ مايو) ومكث فى السجن ٤٢ شهرا .

فى فصل عنوانه « مصالحة مع فيصل » يروى الكاتب « نص » ما دار بين عبد الناصر والوفد السعودى بشأن هيكل (ص ١٩٢) ، قال الملك فيصل : موضوع آخر أحب أن أصارحكم به وهو ما تنشره أحيانا بعض أجهزة الإعلام عندكم وخاصة جريدة الأهرام ورئيس تحريرها هيكل ، ويقال عنه إنه الناطق الرسمى باسمكم ، وهذا ليس تقديرى الشخصى ، ولكن هذا ما تردده الإذاعات والصحف العالمية ، وأيضا ما يردده بعض رؤساء الدول والوزراء .

● عبد الناصر : الأهرام إحدى صحف مصر ولا تمثل رأيى شخصيا بل كثيرا ما يكتب فيها فى صفحة القسم العربى آراء المسئول عن هذا القسم « زكريا نيل » وهى تختلف كثيرا عن رأيى الشخصى .

ورداً عن سؤال من الأمير نواف بن عبد العزيز قال عبد الناصر بوضوح شديد : الحقيقة أن الجريدة التى تمثل الحكومة عندنا هى « الجمهورية » ولكن الأهرام جريدة واحدة ورئيس تحريرها (هيكل) أنشط صحفى فى مصر ويبذل جهدا كبيرا فى عمله ، ويبقى يوميا فى مكتبه ١٢ ساعة .

أين الحقيقة بالضبط فى علاقة الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل بالرئيس جمال عبد الناصر ؟

إن « هيكل » كتب مرة يصف هذه العلاقة بقوله : صداقة الحظ والشرف !

وفى كل كتابات هيكل يؤكد المرة بعد المرة أن علاقته بعبد الناصر تعود إلى أيام حرب فلسطين ١٩٤٨ .. وحتى قبل قيام الثورة كان قد التقى به مرات وتحدثنا معاً وتناقشنا فى كل الأمور .. و .. و ..

ولكن كتابات هيكل نفسها تزيد الأمور غموضاً وتغلفها بالحيرة .. لقد تحدث هيكل بإسهاب شديد عن واقعتين قابل فيهما عبد الناصر : يوم حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢ ويوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ فى بيت محمد نجيب !!

فأين الحقيقة فيما كتب هيكل ؟!

سئل الأستاذ محمد حسنين هيكل صيف عام ١٩٧١ : هل كان فى استطاعتك تحقيق هذا النجاح لو لم يكن لك ذلك المركز الممتاز عند الرئيس عبد الناصر ؟!

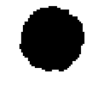
كان صاحب السؤال هو الصحفي الراحل « سليم اللوزى » رئيس تحرير مجلة « الحوادث » والذى جاء وقتها ليكتب عدة تقارير صحفية من القاهرة بمناسبة إجراء انتخابات نقابة الصحفيين المصريين بعد شهر من أحداث مايو ٧١ وكان عنوان ما نشره سليم اللوزى وقتها [أزمة الصحافة فى مصر] وكان الأستاذ هيكل أحد الأسماء البارزة التى تحدثت فى هذا الموضوع ، وقال رداً عن السؤال السابق مايلى بالحرف :

من الذى صنع لى مركزى عند عبد الناصر ؟! شىء واحد هو قدرتى على خدمة الهدف العام الذى كان يسعى إلى تحقيقه ، ليس هناك أى سبب آخر ، قبل الثورة لم نكن أصدقاء (لاحظ دقة الألفاظ ودلالتهاالتى يستخدمها الأستاذ هيكل) لم أكن أعرفه إلا قبل ٣ أو ٤ أيام من قيام ثورة ٢٣ يوليو . لم أكن أقرب الناس إليه . كان هناك غيرى أقرب ، كان هناك أحمد أبو الفتح ، وكان هناك إحسان عبد القدوس . وكان هناك حلمى سلام . كذلك لم أكن واحداً من الضباط الأحرار .. وأى حيز أخذته من تقديره مرجعه شىء واحد هو قدرتى على خدمة الهدف الذى يسعى إليه . « الحوادث ٢٥ يونيو ١٩٨٢ » .

ولا تحتاج كلمات الأستاذ هيكل إلى إيضاح أو تفسير ؛ فاعترافه يعنى على الفور أنه لم يكن يعرف عبد الناصر إلا قبل قيام الثورة بثلاثة أو أربعة أيام لا أكثر ولا أقل .. والمؤكد طبقاً لكلماته أيضاً : قبل الثورة لم نكن أصدقاء !! « أى عبد الناصر وهيكل » .

وأذكر أننى سألت الأستاذ حلمى سلام صيف عام ١٩٨٥ عندما كنت أعد ذكرياته للنشر بمجلة « صباح الخير » الرأى فى إجابة هيكل السابقة .. أنه قال لى : لقد بدأت علاقتى بعبد الناصر عام ١٩٤٩ عن طريق الضابط « معروف الحضرى »

وفى صباح الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبعد أن استمعت إلى بيان الثورة الأول بصوت أنور السادات ، نزلت إلى كوبرى القبة ودخلت مركز القيادة . ولكن ما لفت نظرى بالفعل أننى بعد ثلاثة أيام تقريباً قابلت على الرصيف « بجوار مقر القيادة » الأستاذ هيكل وسألني على فين ؟! فقلت : على القيادة ! فقال لى جملة لن أنساها : أنا كنت لسه هناك بس أنا مش مستريح ؟! سألته : ليه ؟! قال يبدو أن هناك أكثر من رأس .. وقالها بالإنجليزية Too Many Heads ولو كان هيكل وقتها يعرف بالتحديد أن جمال عبد الناصر هو الرأس الكبير لما قال لى الجملة السابقة ، وإذا كان الأستاذ هيكل كما يردد دائماً أنه كان يعرف جمال عبد الناصر قبل ٢٣ يوليو ـ وقد كنت أعرفه جيداً ـ لما احتاج الأمر أن يحتار ويقول : فيه أكثر من رأس !!



٢٦ يناير ١٩٥٢ يوم لن تنساه ذاكرة مصر ! ففى ذلك اليوم احترقت القاهرة وبات واضحا أن النظام وقتها أصبح عاجزاً عن حماية نفسه وحماية شعبه . وبالتالى فقد شرعيته ومشروعية بقائه !

فى ذلك اليوم أيضاً يروى هيكل أنه التقى مع عبد الناصر !! وسارا وتحدثا معاً .

روى هيكل هذه الواقعة مرتين بأسلوبين مختلفين وملابسات أكثر اختلافاً !!

فى المرة الأولى ـ وكان يجيب عن سؤال للصحفى صلاح عيسى يسأله متى بدأت علاقتكما تحديداً ـ قال هيكل : وكانت المرة الرابعة يوم حريق القاهرة فى ٢٦ يناير وقد التقيت به فى الطريق مصادفة وسرنا معا فى شارع فؤاد . ٢٦ يوليو الآن (مجلة الموقف العربى ٧/١٠/٨٤ قبرص) .

وإذا كانت هذه هى المرة الرابعة ـ كما يقول هيكل ـ التى يقابل فيها عبد الناصر ، فإنه لم يقل لنا من كانوا شهود ذلك اللقاء ؟! أو على الأقل ماذا جرى فيه ؟!

والحقيقة أن المرة الوحيدة التى ذكر فيها جمال عبد الناصر أين كان يوم ٢٦ يناير وماذا فعل يومها .. ؟ كان فى خطاب له يوم ٣ ديسمبر ١٩٦١ وكان يرد فيه على أحد أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية حيث قال بالنص :

«... يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ نزلت بالليل (لاحظ التوقيت) فى عربة ومررت على وحدات الجيش هنا فى القاهرة . وكانت النار مندلعة وكان التجوال ممنوعاً . وكان معى فى العربة صلاح سالم . كان عندنا اجتماع يومئذ . اجتماع لما سمى بعد ذلك بمجلس الثورة . وبعد الاجتماع نزلنا لنتصل بأكبر عدد من الضباط لنقول لهم . على قدر الإمكان لا تضربوا فى الشعب »

ونفهم من كلمات جمال عبد الناصر أنه طوال النهار لم يغادر المكان الذى كان متواجداً به « وربما كان البيت » وأنه لم ينزل إلى الشارع إلا فى الليل !!

وعلى أية حال إن الأستاذ هيكل يعود فى كتابه « بين الصحافة والسياسة » ليروى

واقعة لقائه بعبد الناصر على النحو التالى «ص ٤٢ و ٤٣»

« .. وصباح يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ اتصل بى الأستاذ أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكي ـ مصر الفتاة سابقاً ـ يسألنى ماذا أفعل فى مكتبى والشارع المصرى يفور ويغلى ؟! ونزلت ، فإذا الظروف تتيح لى متابعة حريق القاهرة من اللهب إلى الرماد . وإذا بين من القاهم وسط الدخان البكباشي جمال عبد الناصر الذى كنت قد التقيت به لأول مرة فى عراق المنشية أيام حرب فلسطين .. ويوم حريق القاهرة كان قد نزل (يقصد عبد الناصر) مع غيره من الضباط إلى شوارع العاصمة المشتعلة بالنار بعد أن عجز البوليس عن السيطرة على الموقف . ومن ثم اقتضت الأمور نزول الجيش . »

فى هذه الرواية لم يقل لنا هيكل أنه سار مع عبد الناصر . كما قال فى المرة الأولى ، ويبدو من رواية هيكل أن الأستاذ أحمد حسين هو الذى نبهه إلى احتراق القاهرة فى ذلك اليوم قائلاً له : ماذا تفعل فى مكتبك والشارع المصرى يفور ويغلى ؟!!

وأنتقل بكم إلى شهادة « أحمد حسين » [اتهمته النيابة بحرق القاهرة فى القضية رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا] ولكن ماذا فعل بالضبط فى ذلك اليوم ؟! ومن الذى اتصل بهم أو اتصلوا به ؟.. وهل كان هيكل أحد الذين اتصل بهم ؟!

يقول أحمد حسين : فى ذلك اليوم كانت حرارتى مرتفعة وملازما الفراش .. وحضر إلى منزلى « إسماعيل عامر » مدير الجريدة الذى تولى إحضار العلاج .. وزارنى بعض الأهالى من الذين لا علاقة لهم بالسياسة مثل الشيخ الجوهرى والسيدة زوجته اللذين بقيا معى حتى آخر اليوم . كما اتصل بى أصدقاء كثيرون لما قرأوا فى الصحف إنى معتكف كالشيخ على الغاياتى والأستاذ حافظ محمود وآخرين .. المهم بدأت التليفونات ترن .. فسمعت عن مظاهرة بلوكات النظام .. وعندما علمت بهذه المظاهرة قلت : عساكر !! دى تبقى ثورة ! .

أحسست أن فى الجو رائحة خطر .. فاتصلت بعلى ماهر « اختارته الثورة رئيساً للوزراء بعد قيامها بـ ٢٤ ساعة » فى منزله وقلت له : البلد فى حالة خطيرة إلحق ياباشا قابل الملك لازم الوزارة الوفدية « كان مصطفى النحاس رئيسها وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية » وأنت تؤلف الوزارة الجديدة كى تهدأ البلد .. ورويت له ما سمعته . لأنه لم يكن يعلم بما يحدث « تماما مثل الأستاذ هيكل » بعد نصف ساعة اتصل بى على ماهر وقال لى : إنه لم يجد حافظ عفيفى « رئيس الديوان الملكى وقتها » وسألنى عن أخبار جديدة ، فرويت له ماكان قد تجمع لدى من معلومات . أدركت أن الموقف يزداد خطورة فاتصلت بإبراهيم شكرى « رئيس حزب العمل المعارض الآن » فى شربين وطلبت منه الحضور إلى القاهرة ليتصرف لأننى مريض وكنت قد اتصلت قبل ذلك بإدجار جلاد صاحب جريدة « الزمان » ومصطفى أمين صاحب أخبار اليوم وقلت لهما ما قلته لعلى ماهر . وفى الساعة الرابعة كان قد أصبح واضحا أن الخطر

شديد جداً واحسست بالخطر يقترب منى ، فقررت الخروج من البيت والاختفاء » ص ٧٣٠ و ٧٣١ من كتاب الأستاذ جمال الشرقاوى واسمه حريق القاهرة قرار اتهام جديد طبعة ١٩٧٦ » .

والعودة إلى مذكرات أحمد حسين التى صدرت فى فبراير ١٩٥٣ بعنوان « فى ظلال المشنقة » لا نجد فيها ما يزيد على التفاصيل والأسماء السابقة . ولا نعثر على اسم « محمد حسنين هيكل » فى كل الأسماء التى ذكرها أحمد حسين !!

على أية حال إن « هيكل » فى حوار صلاح منتصر معه عاد ليقول فى سطر واحد ما يلى : قابلته مرة أخرى ـ أى عبد الناصر ـ يوم حريق القاهرة فى الشارع !! ص ٣٨ « مجلة أكتوبر ٥ يونيو ١٩٨٨ » .

ورغم أن « هيكل » كان قد أدلى بحوار طويل إلى فؤاد مطر « رئيس تحرير مجلة التضامن الآن » وصدر فى كتاب عنوانه « بصراحة » عن عبد الناصر : حوار مع محمد حسنين هيكل « ٢٣٠ صفحة » وفى الفصل الأول من الكتاب (١٨ صفحة) وعنوانه « من اللقاء الأول إلى ليلة الثورة » وروى فيه قصة تعرفه على عبد الناصر ابتداء من حرب فلسطين ، لم يشر على الإطلاق إلى واقعة لقاء عبد الناصر يوم حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

عندما كتب أنور السادات « قصة الثورة كاملة » وصدرت فى كتاب عام ١٩٥٦ جاء ذكر اسم الأستاذ هيكل مرة واحدة !! وعندما أصدر السادات « البحث عن الذات » عام ١٩٧٨ لم يذكر السادات اسم هيكل ولا مرة !!

ولكن ما المناسبة التى أملت على السادات أن يشير إلى هيكل عندما نشر قصة الثورة وكانت قبل طبعها فى كتاب قد نشرت مسلسلة فى جريدة الجمهورية ؟

يقول السادات : فى ٢٠ يوليو أى قبل الثورة بثلاثة أيام ، توجه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر إلى بيت محمد نجيب لإبلاغه بأنه الزعيم والقائد ومحرر البلاد الذى سيقلب نظام الحكم .. وطرق العملاق « يقصد عبد الناصر » باب البيت . وكان عند نجيب البكباشى جلال ندا (المحرر العسكرى بأخبار اليوم وقتها) والصحفى محمد حسنين هيكل . وكانت الأنظار قد اتجهت إلى نجيب فى ذلك الوقت بعد أزمة مجلس إدارة نادى الضباط . وربما ظن أن الاثنين جاءا لمواساته بعد حل مجلس إدارة النادى ولتشجيعه كالعادة .. وتظاهر جمال وعبد الحكيم أنهما جاءا للاستفسار عن صحة اللواء .. وبدأ الحديث فى موضوع آخر غير موضوع « الثورة » فلا أحد فى الحجرة كان يعلم ماذا فى رأس جمال وعبد الحكيم ، ولا أحد فى الحجرة ـ حتى نجيب ـ كان يتخيل أنهما جاءا ليقولا لنجيب أيها القائد : أنت زعيم الشعب : ص ٧٧ .

ويضيف السادات : والحديث الذى دار كان حول موضوع نادى الضباط .. حول

التصرف الذي يمكن أن يحدث بعد حل مجلس إدارة النادى .. وقال جمال

- إحنا عاوزين نرفع قضية أمام مجلس الدولة ومحتارين مين اللى يرفعها ؟!

وقال جلال ندا : إنه مستعد أن يرفع القضية باعتباره ضابطا على المعاش وعضواً فى النادى !

ومضى جمال حتى نهاية الشوط فأخرج ستة جنيهات وأعطاها لجلال ندا كمصاريف للقضية ولم يتمكن جمال وعبد الحكيم من الانفراد بنجيب وكان عليهما أن يتظاهرا أمام (ندا وهيكل) بأنهما ما جاءا إلا للاستفسار عن صحة نجيب .. وظلا جالسين فترة طويلة .. والحديث يدور حول نفس الموضوع . وحول القضية التى سيرفعها جلال ندا أمام مجلس الدولة .. واخيراً لم يجد جمال وعبد الحكيم بُدّاً من الانصراف .. دون أن يفاتحا « نجيب » فى مسألة الثورة .. وهو كان لا يدرى ماذا فى رأسيهما !! « ص ٧٨ » .

وفيما بعد سيكتب السادات « البحث عن الذات » ولن يذكر شيئا عن هذه الواقعة ولا وقائع أخرى أكثر خطورة وأهمية !!

ولكن ماذا تقول رواية اللواء محمد نجيب حول هذه الواقعة بالتحديد .. وما الحوار الذى جرى فى بيته . وكان أطرافه عبد الناصر وعامر ، وشهوده هيكل وندا .. وما أوجه الاختلاف والاتفاق فى روايته والرواية التى حكاها السادات ؟!

فى البداية يروى نجيب ماذا جرى يوم ١٨ يوليو .. وكيف ذهب لمقابلة « محمد هاشم باشا » وزير الداخلية وزوج بنت حسين سرى ، وكيف اقترح عليه محمد هاشم أن يقبل التعيين فى منصب وزير الحربية لإزالة أسباب التذمر بين الضباط ورفض نجيب العرض !

وفى الصباح - ١٩ يوليو - يروى لنا نجيب ما جرى وقتها على النحو التالى :

قبل أن أخرج من المنزل حضر الصاغ جلال ندا « الضابط السابق الذى كان يعمل محرراً عسكرياً بدار « أخبار اليوم » ومعه محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة (وقتئذ) لسؤالى عما تم فى مقابلتى مع محمد هاشم وزير الداخلية واستبدت بى الدهشة عن سر معرفة المقابلة (على أن هذا يعنى أن مصطفى أمين كان يعرف هذا الخبر ، بل إننى اشك أن المقابلة التى تمت بينى وبين محمد هاشم لم تتم فى بيته وإنما فى بيت مصطفى أمين) وكنت أعرف محمد حسنين هيكل ، فقد كان مراسلاً حربيا أثناء معركة فلسطين (١٩٤٨) حضر لتغطية الموقف عقب معركة « أسدود » كما أنى عرفته بالمحامى « عبد الحميد صادق الذى كان يصرف من جيبه الخاص على كتائب الفدائيين فى معركة الكفاح المسلح ضد الانجليز بالقناة عام ١٩٥١ وذلك ليعمل تحقيقاً صحفياً عن الفدائيين » .

وأثناء جلستنا فوجئت بحضور البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم

عامر على غير موعد ولما وضح من حركتهما أنهما يريدان أن يسرا إليّ بشيء ما ، أخذتهما من الصالون إلى غرفة الطعام المجاورة ولكن بعد أن طلب هيكل أن أقدمه لهما . وكان لقاؤه الأول لهما . « ص ٣٨ » .

وأصل بكم إلى الشهادة الثالثة وهى لجلال ندا « نفسه » والشهادة جاءت ضمن حوار صحفى نشر فى مجلة « النصر » فى ذكرى مرور عامين على رحيل جمال عبد الناصر .

يقول جلال ندا : فى ١٨ يوليو عام ١٩٥٢ بالتحديد .. وكنت وقتها أعمل محرراً عسكرياً بأخبار اليوم ، كلفت أن أذهب أنا والأستاذ « هيكل » لمقابلة اللواء محمد نجيب لمعرفة موقفه من عرض الوزير محمد باشا هاشم له بمنصب وزير الحربية (نلاحظ أن جلال ندا استخدم لفظ « كلفت » بصيغة المبنى للمجهول ولم يقل لنا من الذى كلفه ؟! وهل كان مصطفى أمين كما قال محمد نجيب . وهل كان ذكر اسم مصطفى أمين وقتها ـ ١٩٧٢ ـ ممنوعا حيث كان مسجوناً بتهمة التجسس ؟) .

ويضيف جلال ندا : ولما وصلنا (هو وهيكل) إلى منزل اللواء محمد نجيب فى هذا اليوم كان عنده اليوزباشى حسن فهمى حافظ (لم يذكر لنا السادات أو نجيب هذا الاسم فى شهادتيهما) وبعد وصولنا بلحظات وصل البكباشى جمال عبد الناصر وبعض الضباط الأحرار « هل كان اسم عبد الحكيم عامر ممنوعاً هو الآخر من كتابته ؟ » وقلت للواء محمد نجيب : أنا النهاردة رفعت القضية ! وسألنى جمال عبد الناصر على الفور : قضية إيه ؟ فقلت له : قضية أمام مجلس الدولة بخصوص حل مجلس إدارة النادى . فقال لى : اتكلفت كام ؟! فقلت له : أنا دفعت كل حاجة ! فقال : لا .. إحنا بنجمع فلوس علشان الحاجة دى !! فقلت له : ستة جنيهات !

فما كان منه إلا أن أعطانى المبلغ حتى استمر فى متابعة الدعوى .. بعد هذه المقابلة بأيام قامت الثورة .. وأعاد لى المحامى مبلغ خمسة جنيهات لأن القضية لم تتكلف غير جنيه واحد قيمة الإنذار .. « مجلة النصر ص ٣٥ » .

من القراءة الدقيقة والمتأنية للشهادات الثلاث السابقة يتأكد لنا :

١ ـ طبقا لرواية السادات فإن هيكل لم يتحدث أو يشارك فى الحوار الذى دار بين جمال عبد الناصر وجلال ندا .

٢ ـ طبقا لرواية نجيب فإن هيكل طلب منه أن يعرفه بعبد الناصر حيث كانت المرة الأولى التى يراه فيها !

٣ ـ طبقاً لرواية جلال ندا فإن هيكل لم تسمع منه شيئاً ، وأن الحوار كله كان بين عبد الناصر وجلال بشأن أتعاب القضية !!

والآن اقترب بهدوء شديد من شهادة الأستاذ محمد حسنين هيكل حول واقعة لقائه بعبد الناصر فى بيت اللواء محمد نجيب ! فماذا سيقول لنا هيكل ؟!

فى أول كتاب صدر له بعد وفاة عبد الناصر وكان اسم الكتاب « عبد الناصر والعالم » « دار النهار ١٩٧٢ » لا نجد ذكرا لهذه الواقعة على الإطلاق . ولكنه فى سطر واحد يقول : « فى الفترة ما بين يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ إلى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ هى فترة كان لى فيها الحظ والشرف بملازمة جمال عبد الناصر والحياة بالقرب منه ومتابعته على المسرح ووراء كواليسه بغير انقطاع » « ص ٨ » .

ولكن هيكل يعود فيؤكد إن هذا اللقاء كان هو المرة الخامسة منذ التقى بعبد الناصر لأول مرة فى أغسطس ١٩٤٨ فى عراق المنشية أثناء الحرب العربية الإسرائيلية الأولى « حوار هيكل مع صلاح عيسى » .

وأتساءل ـ ولعلكم تسألون معى ـ كيف يكون هذا هو اللقاء الخامس بين هيكل وعبد الناصر ولم يتبادل الاثنان كلمة واحدة .. جملة واحدة ، ونعود لرواية هيكل كما سجلها فؤاد مطر فى كتابه السابق الإشارة إليه : واستغرقت ثلاث صفحات كاملة (٧٨ سطراً بالضبط) « وأرجو من القارىء الصديق أن يلاحظ أن كل ما سوف يرد بين أقواس هو تعليقات وهوامش وايضاحات وملاحظات وجدتنى مضطراً لإثباتها ولم ترد ضمن شهادة هيكل » .

تقول شهادة الأستاذ هيكل عن واقعة لقائه بعبد الناصر فى بيت محمد نجيب

عندما وصلت إلى منزل محمد نجيب وكان جالساً معه « يوسف منصور صديق » سألته ، وكنت من المتضايقين لأسلوب حل النادى : ما الذى ستفعلونه ؟! أجابنى محمد نجيب : سنرفع دعوى أمام مجلس الدولة !! « لم يذكر هيكل أنه ذهب وبصحبته جلال ندا المحرر العسكرى بأخبار اليوم . كما أكدت كل الروايات السابقة ، ثم إنه يشير إلى وجود يوسف منصور صديق . ولم تؤكد رواية واحدة تواجده فى ذلك اليوم » .

يضيف هيكل : فى هذا الوقت دخل منزل محمد نجيب شخصان الأول كان جمال عبد الناصر ومعه شاب يرتدى قميصاً أبيض وبنطلوناً رماديا عرفت فى حينه أنه عبد الحكيم عامر الذى لم أكن قد تعرفت إليه . وتردد عبد الناصر فى الدخول » ولما كان لايريد التحدث مع محمد نجيب أمام أحد « طبقا لكلام هيكل فلا أحد غريب سوى هيكل نفسه لأن يوسف منصور صديق كان يعرف عبد الناصر منذ أكتوبر ١٩٥١ » فإنه أشار على نجيب وغادرا المكان معاً يرافقهما عبد الحكيم عامر وبعد نحو ربع ساعة عادوا .. ودارت مناقشة بينى وبين جمال عبد الناصر قلت مستفزاً : إذا كان الجيش لم يتمكن من الدفاع بالقدر الكافى عن البلد فعليه على الأقل أن يدافع عن نفسه وعن كرامته (!!!) ورد عبد الناصر : ما الذى يمكن أن يفعله الجيش ؟

أجبته : لا أدرى .. وإنما من المهم بعد الذى فعله الملك (المقصود حل نادى الضباط) أن يدافع الضباط عن أنفسهم وكرامتهم ؟!

ويمضى هيكل فى روايته ويشرح كيف أن عبد الناصر سأله هل يقوم الجيش بانقلاب ؟! ورد هيكل إنه ليس مع فكرة القيام بانقلاب .. فعاد عبد الناصر يسأله : ما الذى نفعله إذن ؟!

يقول هيكل : أتذكر أننى عرضت فكرة ساذجة قلت له ما الذى يمنع من أن يتوجه « ألف » ضابط إلى السراى ويكتبوا فى سجل الزيارات أن الموقف تردى وأنه لابد من معالجة هذا الموقف !! ص ١٩ « فى حديث هيكل لصلاح عيسى قال بالنص : اقترحت أن يذهب ٢٠٠ ضابط إلى قصر عابدين ويكتبوا أسماءهم فى سجل التشريفات مطالبين بتغيير فى أوضاع البلاد » .

وأتذكر أن عبد الناصر رد على هذه الفكرة بقوله : هذا سيعتبر عصياناً وكأننا بهذه الفكرة نقول علانية إننا نحن ضباط الجيش سنقوم بانقلاب . وعدت أقول : أنا شخصيا ضد الانقلاب ولكن لابد من حدوث شىء !! وأجابنى : أنت تكتب فى السياسة ، هل لك أن تحدد لى ما الذى يمكن أن يفعله الجيش ، وكان عبد الحكيم عامر يسمع المناقشة دون أن يشارك فيها ، أما محمد نجيب فقال : إنه فى صدد إعداد مذكرة تمهيداً لرفع دعوى لدى مجلس الدولة وأن رفع الدعوى سيكلف ثمانية جنيهات !! وأتذكر أنه مد يده إلى جيبه فوجد فيه ستة جنيهات أعطاها لمحمد نجيب « ص ١٩ » « بشهادة السادات فإن عبد الناصر هو الذى اقترح فكرة رفع الدعوى ووافق عليها جلال ندا فأعطاه عبد الناصر ستة جنيهات كمصاريف.. وطبقا لشهادة جلال ندا فإنه رفع القضية بالفعل . وعندما أخبر محمد نجيب بذلك تساءل عبد الناصر بدهشة : قضية إيه ؟! فلما عرف موضوع القضية دفع لجلال ندا الستة الجنيهات » .

يضيف هيكل : تحدثنا عشر دقائق بعد ذلك وغادرت منزل نجيب لأركب سيارتى « أوبل كابينتان لونها أسود » وأعود إلى مكتبى ، وعلى زاوية الشارع لمحت جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر واقفين . كما لو أنهما فى انتظار أحد أو فى انتظار سيارة تاكسى ، وقلت لهما : هل تريدان أن أوصلكما ؟ وسألنى عبد الناصر : إلى أين أنت ذاهب ؟! قلت : إلى وسط البلد ! وركب الاثنان سيارتى !! « ص ١٩ » .

ولكن « هيكل » كان قد روى هذه الواقعة بشكل مختلف تماماً لمجلة الدستور الأردنية عام ١٩٧٣ فى حوار طويل استغرق ٧ صفحات مع الصحفى اللبنانى « على بلوط » وكانت سطور رواية هيكل كما يلى : تركت منزل محمد نجيب بعد خروج عبد الناصر وعامر منه بعشر دقائق ووجدتهما فى الخارج يحاولان إدارة محرك سيارة عبد الناصر « الأوستن » الصغيرة والعتيقة .. وقتها كنت أملك سيارة « أوبل » سوداء اللون .. سرت قبلهما باتجاه القاهرة وسارا خلفى وعند محطة بنزين القبة وقفت لأتزود بالبنزين فوقفت بدورها السيارة الأوستن ، نزل منها عبد الناصر ثم اتجه



○ عبد الناصر وهيكل : صداقة الحظ والشرف

نحوى وقال لى : لماذا لا تعطونا اقتراحات سليمة ؟! لو حصل أى شىء فإن الإنجليز سيتدخلون . قلت له : لا أعتقد أن الإنجليز فى وضع يسمح لهم بالتدخل . قال متسائلاً : على أى شىء تبنى اعتقادك هذا ؟! ورحت أشرح له باختصار أن وضع الإنجليز فى القناة بالإضافة إلى الأمور الداخلية فى مصر لا يسمح لهم بالتدخل .. ولأول مرة لاحظت لمعانا فى عينى عبد الناصر وسرعان ما قال لى دون أن يبدى رأياً فيما ذكرته : أنت رايح فين ؟! أخبار اليوم .. ثم سألنى أين أسكن ؟ وما عنوانى ؟ وما رقم التليفون ؟ فأعطيته كل ما طلب ! « انظر مقال جمال حماد مجلة أكتوبر ١٩٨٨/٧/٢٤ » .

ونعود لشهادة هيكل لفؤاد مطر « ص ٢٠ » حيث يقول :

كان ذلك يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ وفى اليوم التالى اتصل عبد الناصر هاتفياً وقال : أنا الذى التقيت بك أمس هل تذكر ؟! وتقابلنا يوم ١٩ يوليو جاءنى عبد الناصر وبدأ الحديث فى قضايا عادية جداً . حدثنى مثلا عن الصحافة وعن المجلة التى كانوا يصدرونها فى "الفالوجة وعن فلسطين وعما جرى فى الفالوجة . تحدث لمدة نصف ساعة ثم وجه سؤالا شعرت أنه الغرض الأساسى من زيارته لى .

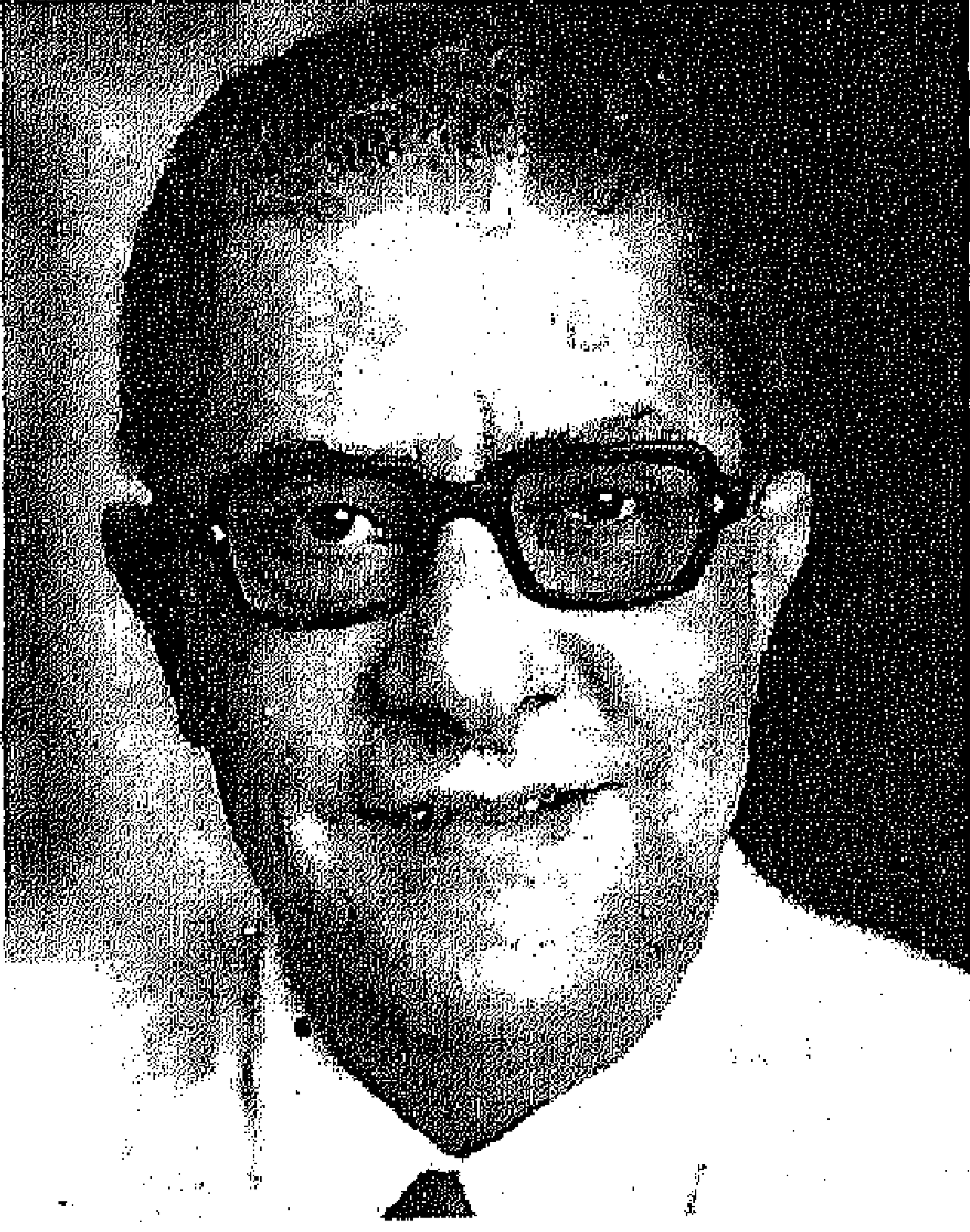
والمعنى الواضح من السطور السابقة أنه جرى لقاء ثان بين هيكل وعبد الناصر فى بيت الأول عقب اللقاء الذى تم يوم ١٨ يوليو ! وهذه الواقعة لا نجدها أبداً فى كل ما ذكره هيكل بعد ذلك !

إن هيكل يعود فيقول مؤخراً لصلاح منتصر ما يلى بالنص : أول مرة قابلته فيها بطريقة دقيقة كان يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ قبل الثورة بأربعة أيام فى بيت محمد نجيب ، « لاحظ أن « هيكل » يتعمد تماماً نسيان اسم جلال ندا » وبعد خروجنا من عند محمد نجيب صحبته فى سيارتى إلى محطة مصر « كان هيكل قبل ذلك يقول إن عبد الناصر جلس بجواره وجلس عبد الحكيم عامر فى المقعد الخلفى » ويومها كنت أتكلم وشرحت كيف أن الإنجليز لن يتدخلوا إذا قامت ثورة أو حركة « ص ٣٨ مجلة أكتوبر ١٩٨٨/٦/٥ » .

وبعد أربعة أسابيع بالضبط ، وفى حوار صلاح منتصر مع عبد اللطيف البغدادى نقرأ تفاصيل أكثر حول الواقعة السابقة : فى عدد أكتوبر ٣ يوليو الذى أعرفه تمام المعرفة وسجلته فى مذكراتى الخاصة فى ذلك الوقت ، إننا بدأنا التحرك يوم ١٧ يوليو باجتماع ناقشنا فيه ما يجب عمله بعد أن صدر قرار حل مجلس إدارة نادى ضباط الجيش وإغلاقه يوم ١٦ يوليو ، وبعد ما تبين لنا أن فاروق وجهاز أمن الدولة قد تعرفا على بعض أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار .

ولهذا بدأنا فى إعداد أنفسنا لعمل انقلاب عسكرى رغم تقدير أن نسبة النجاح لا تمثل أكثر من ٢٠٪ ولكننا قبلنا المجازفة ، ولتحقيق ذلك استقر رأينا على معرفة مدى استعداد محمد نجيب لتولى قيادة الحركة . « ولنقرأ بهدوء شديد السطور التالية » فذهب إليه جمال وعبد الحكيم يوم ١٩ يوليو ـ وليس ١٨ يوليو كما ذكر الأستاذ هيكل (هذه ملاحظة البغدادى) ولكنهما عادا إلينا وأبلغانا أنهما وجدا عنده الصحفى محمد حسنين هيكل والضابط جلال ندا ، وأنهما ـ عبد الناصر وعبد الحكيم ـ لم يتمكنا من مفاتحة نجيب فى الأمر « نفس ماروواه لنا السادات فى كتابه » وروى لنا عبد الناصر أن « هيكل » سألهما عن رد فعل الجيش بعد إغلاق النادى وحل مجلس إدارته فأجابه عبد الناصر وعبد الحكيم بأنهما لا يهتمان بمثل هذه الأمور وأنهما ذاهبان إلى السينما وغادرا منزل محمد نجيب وركبا سيارة جمال الأوستن وعادا إلينا وقاما بإبلاغنا بالذى حدث لأننا كنا فى انتظار إجابة نجيب ، والذى حدث أنه لم يتم الاتصال بمحمد نجيب بعد ذلك إلا ليلة قيام الثورة فى الساعة الثالثة صباحاً يوم ٢٣ يوليو وطلبنا إليه الحضور وتولى القيادة !! « ص ٤٦ » .

والسؤال الآن : كيف يمكن للكاتب الصحفى أن يروى الواقعة الواحدة بأكثر من طريقة وأكثر من شكل ؟! ويضيف وقائع ويحذف وقائع ؟! وينسى أسماء .. ويخترع مواقف وأحداثا ..



٣ موسى صبرى

السادات . المعارضة .. الغضب !!

لا يحتاج « موسى صبرى » إلى تعريف أو تقديم !

منذ سنوات طويلة وموسى صبرى يشغل دنيا الصحافة والسياسة بمقالاته ومعاركه التى لا تنتهى !!

فى عصر عبد الناصر أصبح موسى صبرى رئيسا للتحرير وحدث نفس الشىء فى عصر السادات !

وفى الوقت الذى تفرق فيه الأصدقاء والمنتفعون من حول السادات بعد رحيله ظل موسى صبرى على نفس الدرجة من الحب الشديد والدفاع الاشد عن السادات : الرجل والمواقف !

سألت موسى صبرى : ما حكايتك مع أخبار اليوم وأنت القائل : إن عرشى هو مكتبى فى دار « أخبار اليوم » وإذا ابتعدت عنه ، فإننى لن أعوضه بعرش ملك . فالصحفى لا يصلح لأى عمل آخر غير الصحافة .

قال : حكايتى مع أخبار اليوم بدأت فى أول يناير ١٩٥٠ ، ولكن قبل ذلك ومنذ عام ١٩٤٧ كنت أعمل سكرتيرا لتحرير جريدة الزمان المسائية التى كان يرأس تحريرها الأستاذ « جلال الحمامصى » وكان الحمامصى قبلها قد قدم استقالته من جريدة « الأساس » .. وفى الزمان تعرفت على الفنان حسن فؤاد الذى كان يتابع بريشته تفاصيل محاكمة اغتيال أمين عثمان المتهم فيها السادات وآخرون .

وكان اتفاق الحمامصى مع صاحب الجريدة « ادجار جلاد » المعروف بصلته الوثيقة بالقصر أن الجريدة مستقلة فى سياستها ، ولكن فى انتخابات عام ١٩٥٠ ، والتى أتى فيها الوفد للحكم ظهر لنا أن الزمان ستؤيد الوفد فى هذه الانتخابات .. وقال لنا ادجار جلاد ذلك بوضوح شديد !! واستقلت .. والحقيقة أنها كانت استقالة جماعية على رأسها الأستاذ جلال الحمامصى رئيس التحرير . كنا حوالى سبعة او ثمانية محررين ، وذهبنا إلى الأهرام ونشرنا جميعا نبأ استقالتنا من الزمان .

فى نفس هذه الليلة كان المرحوم كامل الشناوى يقوم بعمل رئيس التحرير فى الأهرام ، وطلب منى العمل فى الأهرام ، واختار لى مكتبا بالفعل وحدد لى المرتب الذى أريده ! وكانت هذه أول مرة أراه فيها !

صباح اليوم التالى اتصل بى الأستاذ الحمامصى وسألنى ماذا فعلت : فقلت اتفقت مع الأهرام ! فقال لى : لا .. سوف تعمل فى أخبار اليوم ومصطفى بك أمين ينتظرك الساعة ١٢ ظهر اليوم ! فقلت له وأنا مندهش : ووعدى للأستاذ كامل الشناوى.قال ببساطه : أنت تعرفه ؟! قلت : لا ! فقال : أنا ها اعتذر له بالنيابة عنك ، وسوف يقدر هذه الظروف !

وأذكر أننى كتبت خطاب اعتذار لكامل الشناوى.وذهبت فى موعدى لمقابلة الأستاذ مصطفى أمين : وقال لى بسرعة : أنا مش ها أقدر أعينك فى أخبار اليوم بأكثر من

« ٤٥ جنيه فقط » ، لأن أحسن محرر عندى وهو « هيكل » مرتبه « ٤٥ جنيه فقط » فسأعينك بنفس المرتب ! وقلت له : المرتب لا يهم !

وقال لى : ستشتغل « محرر برلمانى » لأخبار اليوم وآخر ساعة ! فقلت له : موافق على أخبار اليوم إنما غير موافق على آخر ساعة ! سألنى : ليه ؟ قلت : ماأحبش أشتغل مع هيكل ! سألنى بخبث : هل تعرف هيكل ؟ فقلت : لاأعرفه ؟ قال : ما سبب رفضك العمل معاه ؟! فقلت له : إن عبد الرحمن الشرقاوى زارنى فى بيتى وقال لى إن « هيكل » قال لهم فى الجرنان إن موسى صبرى لن يدخل أخبار اليوم ..

وابتسم مصطفى أمين.فعدت أقول له : طب أشتغل مع واحد زى ده إزاى ؟! فقال : معلهش يمكن لما تكون محرر أساسى فى أخبار اليوم وييجى واحد من برة يبقى من حقك تعترض عليه ! فقلت له : ولكن هذا شعور عدائى .

فرد قائلا : ولكنك لا تشتغل لحساب شخص ، انت تشتغل لحساب أخبار اليوم .. وهكذا دخلت أخبار اليوم ..

● وجدت نفسى فى حيرة ، عندما وجدت فى مجلة آخر ساعة مسلسلا صحفيا عنوانه « قصة ملك و ٤ وزارات » بقلم موسى صبرى ، كان تاريخ نشر الحلقة الأولى ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ . وكان رئيس تحرير آخر ساعة الأستاذ « محمد حسنين هيكل » ، وسبق أن قال لى موسى صبرى عنه : هيكل كرئيس تحرير أنانى جداً ، كيف يكون الأستاذ هيكل بهذه الأنانية الصحفية وينشر لك تلك الحلقات فى آخر ساعة ؟!

ضحك الأستاذ موسى صبرى وقال لى : دى حكاية طريفة قوى ، فى ذلك الوقت كان هيكل قد سافر إلى أمريكا فى رحلة صحفية ، وكان المرحوم كامل الشناوى متوليا لرئاسة تحرير آخر ساعة بدلًا منه . وأذكر أنه استدعانى إلى مكتبه ذات يوم وقال : أنت لديك ذخيرة سياسية تبددها !

ولم أفهم مغزى كلماته إلا بعد أن قال لى : لقد عايشت يا موسى المسرح السياسى المصرى كاملا فى الشهور الستة الأخيرة قبل ثورة ٢٣ يوليو ، وتابعت أزمات تلك الفترة يوما بيوم وساعة بساعة ، ضحك كامل الشناوى بكل جسمه ، وقال لى وهو يحرضنى على الكتابة : ما رأيك فى أن تكتبها الآن وأنشرها لك مسلسلة فى آخر ساعة ؟!

ووافقت ، وأذكر أننى كتبت حوالى عشر حلقات.كان عنوان هذه الحلقات هو « قصة ملك و ٤ وزارات » أسرار حكم مصر من حريق القاهرة .. حتى قيام الثورة .. وكانت المفاجأة أن كامل الشناوى قرر أن يكتب اسمى على الحلقات تسبقه كلمة « بقلم » .. وأن تنشر الحلقات فى صفحات الدوبل باج من آخر ساعة .أى أهم الصفحات فى المجلة .. وعندما عاد هيكل من رحلته .. وكان قد بقى حوالى حلقتين أو ثلاث نشرها فى الصفحات الأخيرة المهملة من المجلة .. وصدرت هذه التحقيقات فى كتاب طبع أكثر من طبعة !

● قلت : لدى طبعة ١٩٧٣ من الكتاب التى تقول فى إهدائها:أهديها إلى أساتذتى .. أهديها بكل الحب للغائب حتى يعود وللحاضر نشاركه الرحلة الشاقة .. فمن كنت تقصد بهذا الإهداء ؟!

قال : كنت أقصد مصطفى وعلى أمين .. لأن وقت صدور هذه الطبعة .. أكتوبر ١٩٧٣ ، كان مصطفى أمين مسجونا ، وعلى أمين منفيا فى لندن . والحقيقة أن مدير الرقابة وقتها اتصل بى وقال : أنا احترمت هذا الإهداء جدا ، رغم أنى فهمت مَن المقصود به ! لكنى احترمت إهدءك وتركته . !! وإلى كامل الشناوى يعود الفضل الأول فى كتابة هذه الحلقات التى تحولت إلى كتاب !

● قلت : أين كنت صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟!

قال : فى تلك الأيام كانت هناك أشياء متوقع حدوثها بين لحظة وأخرى : أنا فى ذلك الوقت كنت فى الأسكندرية وكان حسين سرى باشا قد بدأ مشاوراته لتشكيل الوزارة . وكنت مقيما عنده بصفة دائمة وخبأنى فى إحدى غرف منزله وحضرت تشكيل الوزارة الذى استمر أربعة أيام . كان حسين سرى فى خلاف شديد مع الملك فاروق حول أسلوب تعامله مع الجيش ! كان من رأى الملك عدم الاستعانة باللواء محمد نجيب بينما كان حسين سرى رافضا ذلك بل اقترح على الملك تعيينه وزيرا للحربية . فى نفس الوقت فإن رئيس حرس الوزارات واسمه « محمد وصفى» قدم للدكتور محمد هاشم وزير الداخلية فى وزارة حسين سرى كشفا بأسماء حوالى عشرة ضباط وقال له : إن هؤلاء الضباط سيقومون بعمل انقلاب فإذا قبضنا عليهم ستنتهى الأزمة .. وللتاريخ فقد رفض وزير الداخلية هذا الاقتراح وكنت حاضرا تلك المقابلة ، فلو أن حسين سرى كان قد اقتنع بفكرة القبض على هؤلاء الضباط ـ وهم الضباط الأحرار ـ كان ممكن جدا أن الثورة لم تقم فى ذلك الوقت .

وبعد ذلك عندما قامت الثورة بعمل تحقيق مع بعض السياسيين القدامى ، كان أنور السادات مكلفا بالتحقيق مع د . محمد هاشم ، فروى للسادات هذه الواقعة واستشهد بى !

● قلت : عندما قامت الثورة فإن كل الصحف أيدتها بغير حدود . ورغم ذلك أصدرت الثورة بعد فترة قليلة صحفها الخاصة . كانت البداية مجلة التحرير .. ثم الجمهورية .. ثم المساء ..

قال : عندما قامت الثورة كنت وقتها أشغل منصب نائب رئيس تحرير « الأخبار » التى صدرت قبل الثورة بأسابيع فقط . ورغم أن جميع الصحف أيدت الثورة ووقفت بجوارها باستثناء « المصرى » التى اختلفت مع الثورة أثناء أزمة مارس ١٩٥٤ فأغلقتها محكمة الثورة ، إلا أن جمال عبد الناصر كان مهتما بالصحافة اهتماماً كبيراً .. وكان يريد بجانب هذه الصحف صحافة خاصة بالثورة بتاعته . صحافة

ملكه . فأنشأ عدداً من الصحف والمجلات . ولهذا أيضاً اختار هيكل من بين كل الصحفيين الذين كانوا قريبين منه ليكون الصحفى الأوحد ، فحتى ٢٣ يوليو كان هيكل صحفياً شاباً جديداً وغير مرتبط برواسب قديمة .

● قلت : كيف ذلك وقد كان رئيس تحرير آخر ساعة ابتداء من يونيو ١٩٥٢ ؟!

قال : ده صحيح ، ولكن « هيكل » قبل ١٩٥٢ ، مكانش صحفى سياسى بالمعنى السياسى ، عمره ما كان « صحفى سياسى » أو لعب دوراً فى المسرح السياسى الداخلى ، بعكس مصطفى أمين مثلا الذى كان كما قلت لك نجم المسرح السياسى فى الصحافة المصرية ، أما هيكل فقد امتاز بتحقيقاته الصحفية الخارجية مثل حرب فلسطين ، إيران ، الكوليرا .. الخ ..

وفى بداية الثورة كان عدد كبير من الصحفيين يتصل بعبد الناصر ، كان هناك مصطفى أمين ، على أمين ، إحسان عبد القدوس ، أحمد أبو الفتح ، حسين فهمى ، وحلمى سلام !!

بل إننى أقول إن مصطفى أمين خاض كل معارك عبد الناصر بتكليف من عبد الناصر نفسه !! وبعد الثورة بأسابيع قليلة فإن جمال عبد الناصر هو الذى أملى أسماء مجلس قيادة الثورة على مصطفى أمين لينشرها فى تحقيق اسمه « سر الضباط التسعة » وده كان أول إعلان لأسمائهم يعرفه الرأى العام .. وفى أحيان كثيرة كان عبد الناصر يتصل بمصطفى تليفونيا ويختار معه المانشيت الذى ينفرد به فى أخبار اليوم أو الأخبار .. وكان عبد الناصر معجبا بمقال كتبه مصطفى أمين قبل الثورة بعام وكان اسمه « البحث عن قائد » فى أخبار اليوم ، وأنه تأثر بهذا المقال تأثراً كبيراً ، إنما تطور الأمر بعد ذلك فصار هيكل وحده هو الذى يتصل وهو الذى يعلم وهو الذى ينفرد بالأخبار !

● ببساطة أسأل : هل طلبت مقابلة عبد الناصر ورفض الرجل ذلك ؟ هل حاولت مجرد المحاولة يا أستاذ موسى ؟!

- قال الحقيقة أنا عمرى ما طلبت مقابلة جمال عبد الناصر - هذا أولا - ولم أطلب لأنى كنت أعرف أنه لا يقابل أحداً . ولعلك قرأت أخيراً حديث الأستاذ أحمد بهاء الدين الذى قال فيه إنه لم يقابل عبد الناصر طوال عمره !! والمرة الوحيدة التى رأيت فيها عبد الناصر عن قرب فى اللقاء الذى عقده مع رؤساء مجالس إدارات الصحف ورؤساء التحرير عقب صدور قرار تأميم الصحافة فى مايو ١٩٦٠ وكنت أحد رؤساء تحرير « الجمهورية » وأذكر فى ذلك اللقاء أن عبد الناصر امتدح إحسان عبد القدوس ، فدخل إحسان فى مناقشة معه . فأثار غضب عبد الناصر ولم تفلح نكتة أو دعابة أطلقها المرحوم فكرى أباظة فى تلطيف الجو ، ورغم أن عبد الناصر تكلم بعصبية حول ضرورة المحافظة على شرف الأسرة وسمعة المرأة بألا تنشر الصحف

الجرائم الجنسية ، وألا ننشر إعلانات لأثرياء البترول ، إلا أن كل ما أغضبه من الصحافة لم ينفذ حرف واحد منه ، مما يدلك على أن الهدف أولا وأخيرا كان أن تتبع الصحافة الدولة ، أما كل ما قيل فلم يكن سوى تمهيد فقط ، وهيكل أحد الذين شجعوا عبد الناصر على تأميم الصحافة ! وبكل أسف فقد ماتت الصحافة بعد تأميمها !

● قلت : وكنت رئيسا لتحرير الجيل ؟! فكيف ؟

قال : مكثت عامين أشغل منصب نائب رئيس تحرير الأخبار منذ صدرت الأخبار فى عام ١٩٥٢ إلى أن أصدر مصطفى وعلى أمين مجلة الجيل عام ١٩٥٤ ، وكان يرأس تحريرها إسماعيل الحبروك . ولا أدرى سبب خروجه منها ، إنما كان توزيع المجلة تعبان جداً ، وذات يوم جاءنى مصطفى أمين وقال لى : أنا اخترتك رئيسا لتحرير الجيل والحقيقة أن هذا الاختيار كان بناء على اقتراح من المرحوم هنرى توفيق بحرى سكرتير تحرير آخر ساعة ، وللتاريخ فهو أيضاً الذى اقترح على مصطفى أمين تعيين هيكل رئيسا لتحرير آخر ساعة .

كانت الجيل مجلة للشباب ، وكان منطق المجلة أكبر مجموعة من الأخبار فى أقل عدد من الكلمات ، أما هدفها فهو إلقاء الضوء على نوابغ الشباب فى مجالات الأدب والفن والرياضة . وأذكر أننى طلبت من مصطفى أمين ألا يكتب اسمى كرئيس تحرير للمجلة إلا بعد فترة ، وبعد ثلاثة شهور وضع اسمى رئيسا للتحرير ، والحقيقة أن المجلة نجحت نجاحاً كبيراً وزاد توزيعها على توزيع آخر ساعة !

أذكر مرة كتبت فى الجيل مقالا خفيفاً « لايت يعنى » وقلت فى ثلاثة سطور بالضبط إن المذيعة التى قامت بإذاعة وصف استقبال شعب الجزائر لجمال عبد الناصر كان صوتها مخنثا ، ولم أذكر اسم المذيعة ، وصدرت المجلة وبعد عدة أيام طلبنى مصطفى أمين وسألنى : هل كتبت عن مذيعة أن صوتها مخنث ؟! فقلت له : اه .. ده من كذا يوم.إنما فيه إيه ؟! فقال : أصل عبد الناصر قرأ المقال النهارده بس ، اتصل بى تليفونيا وقرر وقفك عن العمل !! وسألته مندهشا : أتوقف عن العمل علشان ثلاثة سطور ولم أذكر فيها حتى اسم المذيعة ؟!

كان موجودا كامل الشناوى عند مصطفى أمين.فكتبت استقالة من عملى لأن ما حدث فيه مساس بكرامتى كصحفى قبل أن أكون رئيس تحرير ، وهدأنى كامل الشناوى قائلا : ماتبقاش مجنون يا موسى ! ولكنى صممت على موقفى ، وأشهد أن مصطفى أمين بذل جهدا خرافيا لتسوية المشكلة مع « همت مصطفى » التى عنيتها فى سطورى ، وفشلت مساعيه . وحاول ترضيتها ، فكتب عنها خبراً كبيراً فى أخبار الناس قال فيه:إن همت مصطفى مذيعة ذات مستوى عالمى ، وأن الإذاعات العربية تقبل بشغف على ما تذيعه ... و .. ونشر لها صورة كبيرة مع الخبر ، ومع ذلك أصر

عبد الناصر على قراره .

وانتشر خبر وقفى عن العمل فى الوسط الصحفى ، وحدث أن عبد الناصر كان يتصل تليفونيا بمصطفى امين ، فأبلغه مصطفى أن قرار إيقاف موسى أحدث رد فعل سيئا فى أوساط الصحفيين .. وأذكر انه قال لعبد الناصر فى التليفون وكنا معه فى مكتبه   هل إذا نشرت البرافدا خبراً عن راقصة باليه فى البولشوى ولم يعجبها يفصل رئيس تحرير البرافدا .. وكان رد عبد الناصر الذى أبلغه لنا مصطفى بعد إنتهاء المكالمة : هذه مسألة أخلاقية ، ولا عدول عنها !!

وأمام موقف مصطفى أمين المشرف سحبت استقالتى ، ولزمت بيتى عدة شهور حتى أعادنى عبد الناصر للصحافة مرة أخرى بكلمة فى التليفون !

فى تلك الفترة كان عبد الناصر يجتمع بالبعثيين فى القاهرة ، وكتب مصطفى أمين مقالا فى الموقف السياسى فى أخبار اليوم ، واتصل به عبد الناصر ليشكره ويهنئه على مقالته الممتعة وقال له : كأنك يا مصطفى كنت حاضرا الاجتماع معنا ، لأنك عبرت عن وجهة نظرى تماما التى قلتها فى الاجتماع !

وفاجأ مصطفى أمين الرئيس عبد الناصر بقوله : أنا تعبان قوى يا ريس ! لأنى باشتغل لوحدى من فترة .. وسأله عبد الناصر ولماذا تعمل وحدك ؟ فقال له : سيادتك عارف ان موسى صبرى موقوف عن الشغل وقاعد فى البيت فيها حاجة لو يرجع يشتغل طالما بيقبض مرتبه !!

وسأله عبد الناصر مندهشا : بتقول بيقبض مرتبه .. أمال إزاى موقوف عن العمل يا مصطفى ؟! فقال له ! أصل الصحافة غير الحكومة يا ريس ! احنا عندنا الوقف مع المرتب !!

وتحولت نكتة مصطفى أمين إلى قرار من عبد الناصر بعودتى إلى العمل .. وهكذا أوقفنى عبد الناصر عن العمل بكلمة فى التليفون ، وأعادنى بكلمة أيضا فى التليفون !!

● قلت : المعروف ان صحيفة « الجمهورية » كانت لسان حال الثورة ، وكان عبد الناصر صاحب امتيازها والسادات مديرها العام .. فكيف أصبحت رئيسا لتحرير جريدة عبد الناصر الذى اكتفى واقعيا من الصحافة بالأهرام ومن الصحفيين بهيكل ؟!

قال : كان عبد الناصر قد غضب طويلا على المرحوم صلاح سالم ، وعندما رضى عنه أوكل إليه مهمة رئاسة دار التحرير ، ولما سأله وماذا أفعل فى الجمهورية وخسائرها المستمرة قال له : هات موسى صبرى !!

والحقيقة أننى كنت أعرف رأى عبد الناصر عنى من خلال شقيقه المرحوم عز العرب عبد الناصر وكان مدير مكتب جريدة الجمهورية فى الاسكندرية ، وقد نقل لى رأى عبد الناصر وهو أننى صحفى كويس ، مهنى من الدرجة الأولى ، ماليش فى

المؤامرات ولا أشترك فى الدسائس ، ولكن أشطح فى الكلام !!

وفعلا اتصل بى المرحوم صلاح سالم وكنت أعرف عنه عصبيته ونرفزته الشديدة ، وأنه كان يجرى وراء الصحفيين فى مبنى مجلس الثورة ويشتمهم .. واعتذرت له .. وجلسنا معا جلسات طويلة وتناقشنا فيها وقلت له : أنا كرامتى هى كل ما أملك ، ولا أستطيع التعامل معك للأسلوب الذى تتبعه فى علاقتك بالصحفيين ! وقال لى : جربنى واشتغل معايا وشوف هل هذا حقيقى أم لا !! وفعلا استقلت من أخبار اليوم ، وعملت رئيسا لتحرير الجمهورية حوالى عامين وأشهد أننى وجدت صلاح سالم من أحسن من تعاملت معهم فى حياتى الصحفية رغم فكرتى المسبقة عنه ، وللأمانة فقد أعطانى الرجل « كارت بلانش » وثقة كاملة تماما .. مما جعلنى أتفانى فى العمل معه ، وأنا أعتبر هذه الفترة من أصعب أيام حياتى واسعدها أيضاً .

فى تلك الفترة وكانت الوحدة مع سوريا مازالت قائمة أذكر أننى ركبت الطائرة المتجهة إلى دمشق .. وكان السفر بالبطاقة الشخصية ولا ضرورة لجواز السفر .. وعندما جلست فى مقعدى فى الطائرة .. فوجئت بواحد من ضباط مباحث أمن الدولة يصعد إلى الطائرة ويتوجه ناحيتى ويبلغنى أننى ممنوع من السفر ! وجُننت ، وذهبت فى الحال إلى صلاح سالم ورويت له الحكاية ، وللحق فقد ثار الرجل وغضب واتصل بسامى شرف وعنفه على هذا المنع . وتحدث سامى شرف مع عبد الناصر ، وأبرق عبد الناصر من دمشق بموافقته على سفرى !!

● فجأة صار هيكل مسئولا عن أخبار اليوم بجانب الأهرام . ماذا كان موقفك وكيف تعاملت فى تلك الفترة ؟

قال الأستاذ موسى صبرى : أصدر جمال عبد الناصر قرارا بأن يتولى خالد محيى الدين رئاسة مجلس إدارة أخبار اليوم ، وتحولت أخبار اليوم فى عهده إلى مؤسسة شيوعية ، وقام خالد بتعيين عدد كبير من الشيوعيين فى أخبار اليوم فأنشأوا مكتباً سياسياً للجريدة يصدر القرارات ويتابع تنفيذها ، وكان خالد محيى الدين مقتنعاً ومتأكداً أنه لن يخرج من أخبار اليوم . وفجأة علم مصطفى أمين بأن عبد الناصر سيقيل خالد محيى الدين ، وفى أحد الاجتماعات التحريرية قال مصطفى أمين : إن خالد محيى الدين لن يبقى فى أخبار اليوم !! فى نفس الوقت كتب خالد بيانا وزعه الماركسيون فى أخبار اليوم وعلقوه فى كل الأدوار وفى الأسانسير وعلى الجدران : أن خالد محيى الدين باق فى منصبه بأخبار اليوم وكل ما يقال لا يعدو أن يكون شائعات كاذبة ومعرضة .

رغم أن عبد الناصر قرر إخراج خالد فعلا من أخبار اليوم وكنت أتناوب رئاسة تحرير الأخبار مع حسين فهمى ـ عضو التجمع الآن ـ يتولى حسين رئاسة التحرير ثلاثة أيام ، وأتولاها أنا ثلاثة أيام ، وكنا نعقد معا اجتماعات مجلس التحرير فى

الصباح يوميا ، وذات يوم وبينما كنت أنا وحسين نرأس اجتماع مجلس التحرير وكانت الساعة حوالى التاسعة والنصف صباحا ، دخل سكرتير خالد محيى الدين مهرولا إلى صالة الاجتماع وقال الأستاذ خالد يطلبكم للحضور فوراً إلى مكتبه

وأذكر أننى طلبت من حسين فهمى أن يذهب أولا للقاء خالد محيى الدين على أن أذهب أنا بعد الانتهاء من الاجتماع . فقال لى السكرتير : الأستاذ خالد عاوزكم أنتم الاثنين مع بعض !!

أنهينا الاجتماع وصعدنا إلى غرفة خالد محيى الدين . وجدنا عنده « هيكل » .. صافحت هيكل ببرود شديد للغاية . كان التعب باديا على ملامح وجه خالد . وفجأة قال هيكل لنا : الأستاذ خالد رأى أن يستقيل من أخبار اليوم !

فوجئت بكلام هيكل ثم أكمل هيكل بسرعة : والريس جمال عبد الناصر كلفنى برئاسة مجلس إدارة أخبار اليوم ..

والحقيقة أن حسين فهمى على سبيل الذوق رحب بهيكل وقال له أهلا وسهلا .. ، أما أنا فلم أنطق بحرف واحد وبان على وجهى ملامح القرف الشديد !

وقال هيكل بسرعة : أنا شايف أن موسى مش مرحب بما قلت الآن ؟ فأجبت قائلا : الحقيقة آه .. يعنى عايزنى أكدب عليك .. بقى ده معقول طب نشتغل ازاى ؟!

ثم قال هيكل لخالد : تسمح لى أقعد شوية مع موسى وحسين. ثم دخلنا فى غرفة مجاورة لمكتب خالد محيى الدين . وأخذ خالد محيى الدين يطيب خاطرى قائلا : ولا يهمك يا موسى : انت راجل بتشتغل بكفاءتك الصحفية . ولا يهمك !!

ولما جلسنا قلت لهيكل : ببساطة أنا مش ها أقدر أشتغل معاك ! سألنى : ليه يا موسى ؟ قلت : مش معقول .. طيب تيجى ازاى يعنى .. ازاى تبقى أنت رئيس تحرير الأهرام ورئيس الأخبار .. والأهرام والأخبار « جريدتين متنافستين » .. واحنا توزيعنا أكثر من الأهرام ، ثم أن مش معقول أن الخبر يمنع نشره فى الأخبار كى ينشر عندك فى الأهرام .. ده منطق غير قابل للفهم .. وأنا مش مستريح فعلا .. فلا داعى لأن أتحمل أى مسئولية صحفية فى الأخبار وأنت على رأس مؤسسة أخبار اليوم !! وبهدوء شديد انهى هيكل الحوار بسطر واحد .. إحنا لازم نقعد قعدة تانية مع بعض .

وفعلا ذهبت إلى مكتب هيكل وكان فى مبنى الأهرام القديم . قال لى هيكل فى اجتماعه بى : احنا ما جربناش صداقة العمل .. هه ! يمكن حصل بيننا سوء تفاهم ! هه ! اسمع .. جرب صداقتى فى العمل .. هه .. ما رأيك ؟ ولن أتدخل فى الأخبار .. وليس لى أى علاقة بما تنشره الأخبار !! وأتعهد لك أن أى خبر تنفرد الأخبار بنشره سأجعل الرقابة توافق عليه .. وإذا كان لى ملاحظات على ما نشر ، سأقولها لك بعد صدور الجريدة فعلا .

دام الاجتماع مع هيكل ساعتين . ووافقت على ما قاله .. والتزم هيكل بكل ما قاله لى لفترة ، ثم بدأت المتاعب . كان أخطر هذه المتاعب مثلا عندما انتحر المشير عبد الحكيم عامر بعد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، بأسابيع قليلة .. كان المشير قد انتحر فى سبتمبر ١٩٦٧ . وبالصدفة عرفت قصة هذا الانتحار وتفصيل ما جرى فى بيت المشير ، أقول عرفت هذه المعلومات من شقيق جمال عبد الناصر المرحوم عز العرب عبد الناصر وهو رجل فاضل جدا ، وكان صديقى جدا.وكتبت كل ما حصلت عليه من معلومات فى تحقيق صحفى لينشر فى الأخبار .. وكانت هناك تعليمات من الرقابة بألا يُنشَر شيء عن هذا الموضوع ، فلم يُنشَر الموضوع الذى كتبته .

فى اليوم التالى كانت المفاجأة .. صدرت الأهرام وبها التفاصيل الكاملة لانتحار عبد الحكيم عامر ، وصدرت الأخبار والجمهورية ليس بهما سطر واحد عما حدث ! بالطبع كانت القصة والتفاصيل التى نشرتها الأهرام أوفَى بكثير مما كتبته فى موضوعى ، المهم حصل هياج وثورة بين المحررين فى الأخبار ، وأحسوا بأن كلام هيكل لنا عن عدم التدخل فيما تنشره الأخبار غير صحيح ! وأصر المحررون على الاجتماع بهيكل ليبلغوه استياءهم الشديد .. فى البداية رفض هيكل أن يجتمع بالمحررين ، ثم قال لى : أنا موافق أجتمع بالمحررين بس أنت ما تحضرش ! ثم عاد هيكل فقال : احضر الاجتماع معنا بس ماتتكلمش !

كانت فكرة هيكل أنه يستطيع فى اجتماعه بالمحررين أن يأكلهم بمنطقه فى الحوار والمناقشة ، ولكن ما حدث أن المحررين احتجوا عليه بشدة فى لقائه بهم ، وقال لهم هيكل : إذا كنت صحفيا لدى وسيلة الاتصال برئيس الجمهورية فهذه ميزة !! فرد عليه الصحفيون : ولكن ليس معنى هذا أن تحجب الأخبار عن الجرائد الأخرى .

كانت هذه الواقعة هى بداية الخلاف الأساسى فى التعامل مع هيكل .

وبعد ذلك عندما أصدر النائب العام وقتها محمد عبد السلام قراره فى التحقيق فى انتحار المشير عامر وكان قد كتبه فى حوالى ٤١ صفحة بعنوان « قرار فى حادث وفاة السيد المشير عبد الحكيم عامر » فإن هذا التقرير الذى نشرته الصحف وقتها « الأهرام ، والأخبار ، والجمهورية » لم ينشر كاملا على القراء . فالذى حدث أن السيد « محمد فائق » وزير الإعلام فى ذلك الوقت استدعى المسئولين فى هذه الصحف وأخرج من درج مكتبه ثلاثة أقلام سوداء وسلم كل واحد قلما منها ، كى يشطبوا الفقرات غير المسموح بنشرها على الناس ، وجرى الشطب أمامه حتى لا تفلت كلمة واحدة إلى الصحافة .

وتردد وقتها أن جمال عبد الناصر أمر بعرض تقرير النائب العام على محمد حسنين هيكل ، وهو الذى حدد الفقرات التى يجب حذفها ، وتولى وزير الإعلام تنفيذها مع مسئولى الصحف الثلاث .

: بعد ذلك بفترة كانت محكمة الثورة قد بدأت النظر فى قضية المؤامرة ، وكان من بين المتهمين الرئيسيين فيها شمس بدران وزير الحربية السابق ، وصلاح نصر مدير المخابرات ، وعباس رضوان .

وكان السيد حسين الشافعى رئيس المحكمة التى حققت فى قضية المؤامرة ، وقد تابعت كل تفصيلاتها وجلساتها .. كان ما سمعته داخل المحكمة يفوق الخيال ، قال شمس بدران وقتها إنه استنتج أن عبد الناصر وعبد الحكيم اتفقا على التنحى معا ، وأن زكريا محيى الدين هو الذى سيصبح رئيسا للجمهورية . وقال شمس بدران إن عبد الناصر رشحه شخصيا لرئاسة الجمهورية ولكنه قال : لسه صغير بينما زكريا عنده خبرة .

المهم إننى كتبت مقالا كان عنوانه « الفصل الحزين » أودعته كل ما سمعته ورأيته وكتبت فى نهايته :«يا للهول .. يا لبشاعة المأساة .. أية حقائق سوداء تعرض أمامنا من بطون الأيام السوداء إننى لا ازال أكرر ، قلبى حزين .. حزين » ..

وكان حسين الشافعى رئيس المحكمة يقول : من حق الشعب أن يعرف الحقائق ، ويؤكد أن الصحافة حرة تنشر ما تشاء ، وأنه لا رقابة على الصحف ! فى نفس الوقت اتبعت الرقابة أسلوبا لا مثيل له كان هناك ثلاثة رقباء يتابعون ويراقبون كل ما يكتب عن هذه القضية ، وكان يرسل نسخة من كل مقال أو موضوع إلى كل رقيب على حدة ، فيقرأها ويشطب منها ما يشطبه ، ثم يجتمع الثلاثة معا يتناقشون ويتفقون على المشطوب ، فى نفس الوقت كان يوجد مندوب من المخابرات الحربية يقيم فى غرفة مجاورة لقاعة المحكمة ، يسمع كل همسة ويسجل كل حرف ثم بعدها يحدد مع النائب العام ماذا ينشر وماذا يحذف .

ونشر المقال .. أما سبب إجازته من الرقابة فهو أنه تضمن تعليقا على الجلسة ولم يكن تسجيلا لكل ما دار بها .. المهم بعد ذلك بأيام قليلة كان عبد الناصر قد التقى بوفد الصحفيين العرب الذى كان فى زيارة للقاهرة وألقى خطابا أكد فيه أنه مع كل قرار اتخذه الصحفيون العرب بشأن حرية الصحافة وحماية الصحفى من الفصل ولكن حرية الصحافة لا تعنى أبداً أن تحول احدى الصحف الصباحية قضية المؤامرة إلى قضية فساد سياسى أو فساد حكم .

بمجرد سماعى لخطاب عبد الناصر توقعت قرار فصلى بين لحظة وأخرى .. فى ذلك الوقت كان هيكل مازال على رأس مؤسسة أخبار اليوم .. وصدر القرار بإبعادى عن الصحافة . وأذكر أننى تحدثت مع هيكل بشأن هذا القرار فنفى لى الحكاية كلها وقال : غير صحيح أنك فُصلت : بل الصحيح أن الذى سيترك أخبار اليوم هو أنا وسيتولاها بدلا منى محمود أمين العالم !..

وفيما بعد علمت من الأستاذ جلال الحمامصى أن هيكل ابلغه أن قرار الفصل تم

تأجيله فقط ولكن سيصدر بعد أن يترك هيكل أخبار اليوم ويجيء محمود أمين العالم ! وعندما سألت هيكل مَن صاحب اقتراح فصلى.أجابنى : على صبرى ، ولما سألت على صبرى فاجأنى ترحيبه الشديد بى وأيضاً إجابته عن سؤالى عندما قال لى : كل ما يجرى فى الصحافة مسئول عنه هيكل ، وكيف أفصلك وأنا الذى طلبت من شعراوى جمعة أن يبلغ محمود أمين العالم ألا يغير أحدا فى قيادات أخبار اليوم ، وأوكد لك أن محمود العالم لن يتخذ ضدك أى إجراء .. وبعد عدة أسابيع صدر القرار بتوقيع على صبرى بنقلى إلى الجمهورية . وأبلغنى محمود أمين العالم بهذا القرار .. ولم يوضح القرار طبيعة عملى الجديد فى الجمهورية-ساعى ، بواب .. مش عارف بالضبط .

فى ذلك الوقت كان الصديق فتحى غانم هو رئيس مجلس إدارة دار التحرير ورئيس تحرير الجمهورية ، وكان موقفه تجاهى أخلاقيا جدا ومشرفا جدا وسمح لى بالكتابة يوميا بدون توقيع عن الأزياء والموضة والتجميل . وأوقع بإمضاء ! « آدم ، وحواء » رسائل بين زوج وزوجته عن السعادة الزوجية .. وطلبت من فتحى غانم أن أسافر فى رحلة صحفية خارج مصر ، ووافق ببساطة على ذلك ، ثم تبقت موافقة وزير الداخلية وقتها شعراوى جمعة ، لأن اسمى كان مدرجا ضمن قوائم الممنوعين من السفر . ووافق شعراوى على سفرى . بعد توسط صديقى المستشار عبد الحميد يونس . إلى الاتحاد السوفييتى والهند واليابان وماليزيا وبولندا والمانيا وصدرت فى كتاب شيوعيون فى كل مكان » الذى صدر فى جزءين فيما بعد (مايو ١٩٧٠ ثم مايو ١٩٧١) ، أذكر أثناء وجودى فى طوكيو عاصمة اليابان أن زوجتى قالت لى فى إحدى رسائلها : أنها سمعت من بعض الزملاء بخبر عودتى للكتابة لأن هناك تغييرات صحفية من المحتمل حدوثها ..

وعدت من رحلتى التى استغرقت حوالى ستين يوما . وفى ذلك الوقت أصدر عبد الناصر قرارا بأن يتولى هو نفسه مسئولية الاشراف على الأهرام ، والسادات يشرف على صحف أخبار اليوم ، ويشرف على صبرى على صحف ومجلات دار التحرير ودار الهلال وروزاليوسف .

وحتى ذلك الوقت كان اسمى ممنوعا من الظهور على أى مقال أو شيء أكتبه . وأردت أن أعرف ماذا تم فى أمرى ، وحقيقة وضعى الجديد فى الجمهورية وطلبنى على صبرى فى مكتبه وقال لى : أريد منك أن تجعل من الجمهورية جريدة ناجحة ، ولك مطلق الحرية فى الاستعانة بمن تشاء من المحررين أو الصحفيين ! واعتذرت للرجل . فقال لى : على أى حال فكر فى الأمر .

وعلمت من عز العرب عبد الناصر شقيق الرئيس أنه قال لعلى صبرى : إذا أردت إصلاح حال الجمهورية خذ موسى صبرى وعينه رئيس تحرير واعط له كل السلطات !

وقابلت السادات وطلبت منه العودة إلى بيتي الطبيعى الأخبار ، فقال لى : ولكن من رأى عبد الناصر أن تبقى فى الجمهورية ! أما بالنسبة لمسألة عودتك لأخبار اليوم فاتركها الآن ، لأنها ستتحقق ولكن ليس الآن .

وقال لى فتحى غانم : بقاؤك فى الجمهورية مسألة غير قابلة للمناقشة !! واستمر عملى فى الجمهورية لفترة مع فتحى غانم ، وأذكر بالمناسبة حينما رويت موقفه المشرف معى للسادات فيما بعد علق السادات قائلا : جدع .. فتحى راجل .. برافو عليه .. أنا أحب تصرفات الرجالة اللى زيه !!

● قلت : وكيف عدت إلى أخبار اليوم ؟!

قال : ذات مساء ، وبعد أن انتهيت من عملى فى جريدة الجمهورية توجهت إلى بيتى . وفى منتصف الليل تقريبا أويت إلى فراشى متعبا .. مكدودا . وفجأة شرخ سكون الليل صوت دقات التليفون وبكسل شديد رفعت السماعة وأنا أسأل من الذى يطلبنى فى مثل هذه الساعة المتأخرة .. وجاء الصوت من الناحية الأخرى : مساء الخير يا موسى ! فقلت من ؟ رد : أنا أنور يا أخى ! أنت بتعمل إيه : فقلت : كنت لسه هانام ! فقال : طب البس وتعال على طول ! قلت : فى البيت ؟! فقال .. أنا موجود فى مكتبى هنا بأخبار اليوم !!

ارتديت ملابسى بسرعة .. وذهبت إلى أخبار اليوم وصعدت إلى مكتب السادات فى الطابق العاشر ، ودخلت وصافحته وكان عنده قاسم فرحات العضو المنتدب ، وكان السادات جالسا خلف المكتب ، وشكله حزين جداً .. وقاسم فرحات ينظر تجاه أرض الغرفة ، صافحنى السادات وهو واجم وحزين وقال : اقعد يا موسى ! وجلست . وعلى ما أذكر طلب لنا نحن الثلاثة قهوة ، ثم قال بنبرات حزينة معلهش يا موسى .. اصبر شوية .. شد حيلك !

فى الحقيقة كنت مندهشا من كل ما يحدث .. ولا أعرف ما هى الحكاية بالضبط .. إلى أن قال لى السادات : معلهش يا موسى .. الريس عبد الناصر رفض انك ترجع لأخبار اليوم وأعتقد أنك لازم تتحمل الموقف شوية ، وكلها كام شهر وها أحاول تانى مع الريس يمكن يوافق على رجوعك !

ووجدتنى أقول للسادات : أنا أشكرك من كل قلبى .. طب هتعمل إيه أكثر من كده !!

واستأذن السادات منا ودخل دورة المياه الملحقة بغرفة مكتبه ، وغاب لدقائق .. ثم خرج من دورة المياه متهللا ومبسوطا ومنشرحا ، وفوجئت به يأخذنى بالأحضان قائلا : أهلا بيك فى بيتك يا موسى ! ثم قام السادات وطلب منى أن أشتغل الطبعة الثانية من الأخبار ! ها .. ها .. يعنى السادات أخرج بنفسه حكاية رجوعى للأخبار !!

هل كانت صدفة تاريخية ـ ولا أقول سياسية ـ أن يتوافق صدور قرار الرئيس السادات بالإفراج عن مصطفى أمين فى ٢٦ يناير ١٩٧٤ ، وتنحية هيكل عن الأهرام بعدها بخمسة أيام ـ فى ٣١ يناير ـ بقرار أيضاً ؟!

رواية هيكل ترى أن ما حدث كان جزءا من صفقة ! أو كما كتب بالحرف الواحد فى « كتاب » بين الصحافة والسياسة : إذ قال له السادات : ولماذا لا أجامل الأمريكان فيه ؟ .. و .. من الأفضل الإفراج عن مصطفى أمين ضمن هذه الصفقة حتى لا يتجاسر يوما ويفتح فمه .. فماذا تقول شهادة موسى صبرى :

ـ ما قاله هيكل فى كتابه كذب .. وما حدث بالضبط أنه فى أوائل حكم الرئيس السادات ، انتهزت فرصة زيارتى له فى استراحة القناطر وتحدثت معه فى مسألة الإفراج عن مصطفى أمين ! وقال لى السادات يومها بالحرف الواحد : مصطفى أمين له وضع سياسى !

وبعد فترة قلت للسادات أيضاً إن مصطفى يعانى صحيا وأن حالته الصحية تتدهور يوما بعد يوم ! فقال لى بالنسبة للحالات الإنسانية فأنا لا أتردد تجاهها .. ولا مانع أن ينتقل مصطفى إلى المستشفى ! وأبلغ السادات ذلك للسيد ممدوح سالم ـ كان وقتها وزيرا للداخلية ـ كانت المفاجأة أن ينقل مصطفى إلى مستشفى السجن ، بينما كانت نيتنا أن ينقل إلى مستشفى خارجى كقصر العينى مثلا ! ولكن السادات لم يوافق على ذلك الطلب ! وازدادت صحته سوءا وتدهورا وعندما عرف الرئيس من غيرى الحالة التى أصبح عليها مصطفى وافق على نقله إلى مستشفى قصر العينى !

بعد ذلك بفترة كانت السيدة « أمينة السعيد » فى زيارة للعاصمة البريطانية ـ لندن ـ وأعطاها المرحوم على أمين رسالة مكتوبة وطلب منها توصيلها إلى الرئيس السادات . وعندما عادت السيدة أمينة السعيد للقاهرة سلمت رسالة على أمين للسادات ولم يكن يطلب فيها سوى أن يسمح له بالحضور إلى القاهرة ورؤية أخيه مصطفى . ووافق السادات .

وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد قامت وانتصر السادات فيها ، وفى ذلك الوقت استقر على أمين فى بيروت فأرسل رسالة أخرى للسادات يطلب فيها السماح بالحضور لرؤية أخيه الذى يرقد مريضا فى مستشفى قصر العينى وذهب على إلى سفارة مصر فى بيروت وطلب من المسئولين بها أن يرسلوا برغبته إلى المسئولين فى مصر أنه سوف يحضر ، حتى لا يفاجأ عند حضوره بالقبض عليه ! والحقيقة أن هيكل هو الذى أفهمه وأقنعه أنه إذا حضر إلى القاهرة فسيقبض عليه فى المطار ! وردت السفارة المصرية قائلة لعلى أمين : إن الرئيس السادات لا يمنع مواطنا مصريا فى الخارج من العودة إلى مصر .. وعاد على أمين إلى القاهرة .

وزار على أمين الأستاذ « محمود أبو وافية » عديل الرئيس السادات ، وحدثه فى

شأن الإفراج عن أخيه وقال له ما معناه : إن العمر مابقاش فاضل فيه حاجة !! وكانت هذه الكلمات هى التى ينقلها أبو وافية للسادات باستمرار .

وكان منتهى أملنا أن يتم فقط الإفراج عن مصطفى الذى تدهورت حالته الصحية بشكل كبير ، وكانت الصحافة أو عودة مصطفى للكتابة أمرا غير مطروح بالمرة !

وذات يوم وفى حفل إحدى بنات الرئيس السادات ـ أظن كانت لبنى ـ ودعا السادات معظم رؤساء التحرير والصحفيين لحضور الحفل ، واتفق معنا محمود أبو وافية على أننا ننتهز فرصة الفرح ونكلم السادات فى حكاية مصطفى أمين ، وطوال ساعات الفرح لم نجد فرصة واحدة لنكلم السادات (زحمة وزيطة وناس مالهاش عدد) وأذكر اننى قلت لمحمود أبو وافية : خلاص مفيش فايدة ! فقال لى : لا .. احنا هنستنى لما الدنيا تروق شوية والمعازيم تمشى !!

وأخيراً فى حوالى الساعة الخامسة فجرا كان المدعوون والمعازيم انصرفوا ، ولم يبق سوى السادات والسيدة جيهان وبناتهما وأقاربهما والتففنا حول الرئيس السادات وحرمه ، محمود أبو وافية،أحمد رجب وحرمه ، على حمدى الجمال ، محسن محمد ، أنا ومراتى ، وانضم إلى شلتنا الفنان عبد الحليم حافظ وقلنا له : إن مصطفى حالته خطيرة وعنده تصلب فى الشرايين ، وضغط وسكر .. و .. وبيموت فى قصر العينى ، وقال أحمد رجب للسادات : إذا كان ولابد من سجن مظلوم فاسجنى بدلا من مصطفى ! وتكلم محسن محمد وعلى الجمال وحليم وأبو وافية .. وقالت السيدة جيهان لزوجها : دى ليلة سعيدة فى حياتك وخلاص بقى يا ريس ، ده اللى بيطلب منك الطلب ده رجالتك ، وحرام الاستمرار فى سجنه !! .. ولم ينطق السادات بحرف واحد . لم يبد أنه استمع لكلمة مما قلناه .. وانصرفنا بعدها دون أن نعرف لماذا لم يتكلم .

ـ ذهبت إلى مكتبى فى الأخبار وانا مندهش لموقف السادات بالأمس وانشغلت بالعمل اليومى فى الجريدة ومتابعة تفاصيله .. وحوالى الساعة الواحدة ظهرا دق جرس التليفون وقيل لى السادات على الخط.فبادرته قائلا صباح الخير يا ريس . فرد ببشاشة صباح النور يا موسى ! فين على أمين دلوقتى ؟! قلت : إذا مكانش موجود فى شقته فهيكون عند مصطفى فى المستشفى !

وسكت السادات لثوان عاد بعدها ليقول لى : اتصل بيه وقل له مبروك يا على ! فقلت : خير يا ريس.فقال انا وقعت حالا قرار الإفراج عن مصطفى أمين ، وأمرت أنه يخرج النهارده من غير ما يستنى الإجراءات الروتينية !!

فى تلك اللحظة من الزمن فقدت وعيى ووجدت نفسى أصرخ فى التليفون : صحيح يا ريس .. معقول يا ريس !!

ودعوت للسادات .. وانتهت المكالمة . ووجدت نفسى أترك المكتب وأجرى مهرولا

وأركب سيارتى الصغيرة وأطير بها إلى مصطفى أمين فى المستشفى كانت الدنيا مطرا يومها ، والمرور مختنقا ، وأخيراً وصلت المستشفى ودخلت حجرة مصطفى ، الذى كان يرقد فوق سرير صغير « سيفرى » كان الذى أمامى بقايا إنسان .. وليس مصطفى أمين الذى أعرفه وقلت له : مبروك ! فقال بلا مبالاة : على ايه ؟! فقلت : صدر قرار بالإفراج عنك اليوم . فقال ساخرا : لا .. أنا سمعت الكلام ده كتير قبل كده !

وقلت له : المرة دى لا ! سألنى : اشمعنى ؟ فقلت : لأن الرئيس السادات هو الذى قال لى ذلك بنفسه قبل أن آتى عندك وقاله لى فى التليفون ! ولمعت عينا مصطفى ببريق عجيب وقال : صحيح يا موسى.فأجبته صحيح ! أمال فين على ؟ فقال : على دلوقتى فى مكتب جريدة الأنوار ، وبعدها سيذهب إلى هيكل لتناول طعام الغداء معه بدعوة منه ، فالحق هات على أمين واعتذر للأهرام بأى حاجة !

وفعلا ذهبت إلى مكتب دار الصياد وأبلغت على أمين بقرار السادات ، واتصلنا بالأهرام ، ولم يكن هيكل قد وصل إلى مكتبه بعد.وتركنا خبر اعتذار على أمين عن موعد الغداء مع هيكل .

وحتى هذه اللحظة لم يكن هيكل يعرف بقرار الإفراج ، وخشى مصطفى أن ينتهز هيكل الفرصة ويدعى أنه السبب فى الإفراج ، وانه يحتفل بهذه المناسبة مع على أمين فى الأهرام !

ولأول مرة ينشر خبر الإفراج عن مصطفى فى جريدة الأخبار قبل نشره فى الأهرام . وفوجىء هيكل بالخبر تماما . وكان فى غاية الحزن ، وعاد فى اليوم التالى وكتب أنه إفراج صحى !

وفى نفس اليوم الذى أفرج فيه عن مصطفى اتصل بى محمود أبو وافية وقال : ياريت مصطفى يكتب كلمة شكر هو وعلى أمين ؟ كلم الريس ؟ فقلت : مقدرش أطلب منه أكثر من كده .

وتحدث أبو وافية بنفسه مع السادات الذى وافق على نشر ما يكتبه مصطفى وعلى أمين . وذهبت إلى على أمين أطلب منه كتابة كلمة ، وتركته وذهبت إلى مصطفى أمين فى المستشفى طالبا نفس الشىء ، وقال لى مصطفى وهو يضحك : هنرجع نكتب تانى !

وأمسك مصطفى أمين بورقة وقلم وكتب فى دقيقتين كلمة كان عنوانها « عصر العبور » قال فيها :

اليوم أعبر أول خطوة من خطوات الحرية ، بعد أن عشت فى ظلام السجن حوالى تسع سنوات ولا أستطيع وأنا أخطو إلى الهواء الطلق خطواتى الأولى ، إلا أن أذكر الرجل الذى فتح لى باب الحرية وفتح قبل ذلك أبواب الحرية أمام مئات المعتقلين ، وأعاد العدالة لمئات القضاة ، ووفر لقمة العيش لآلاف الذين وضعوا تحت الحراسة

من وظائفهم ، من حق هذا الرجل أن يطلق على عصره « عصر العبور » عبور الجيش المصرى من الهزيمة إلى النصر ، وعبور سمعة العرب من الهوان إلى الكرامة .. وعبور المظلومين من الظلم إلى العدل . وعبور الخائفين من القلق والرعب إلى الطمأنينة والأمان والاستقرار ، وعبور المقيدين من الاغلال إلى حياة الأحرار .

وأخذت كلمة مصطفى وجريت إلى على أمين فى منزله ، لآخذ كلمته ، كان على أمين قد مزق عشرات الأوراق دون أن يكتب حرفا واحدا . وفى النهاية كتب كلمة عنوانها « يا رب » قال فى بعض سطورها :

« يا رب لم يهتز إيمانى بك فى يوم من الأيام ! كنت أعرف أنك لن تتخلى عنا ، لأنك تنصر كل مظلوم ، وكنت أحس أن السماء ستفتح لنا أبوابها غداً ولما لم تفتح أبوابها فى الغد انتظرنا بعد الغد .. لم أكفر بك ، لم أتململ من الانتظار ، انتظرنا دورنا فى الإنصاف .. لم نحاول أن نختصر فترة الانتظار ، لم نحاول أن ندفع الذين يقفون أمامنا حتى نحتل مكانهم فى صفوف الإنصاف الأولى .

وكنا نعرف أنور السادات منذ ثلاثين سنة ، كما نعرف أن الرجل لن ينسى مظلوما واحدا .. ثم جاء دورنا اليوم .. وخرجنا إلى النور .. عاد مصطفى أمين إلى بيته .. وعدت إلى بلادى » .

ويكمل موسى صبرى .

وأذكر أنه كان موجودا عند على امين فى ذلك اليوم صلاح جلال وأحمد رجب ، وقلت لصلاح جلال وكان المحرر العلمى للأهرام : اوعى تجيب سيرة لحد ! وفعلا وفى صلاح بوعده ولم يخبر«هيكل»بأى شىء . وفى واقع الأمر أن ما كتبه مصطفى وعلى امين لم يكن كلمات شكر بل كان مقالتين .

هكذا بدأت حكاية كتابة مصطفى أمين ، وبعدها طلب أن تصبح له غرفة فى أخبار اليوم ليستقبل فيها زواره ، ثم تطور الأمر بالسماح له بالكتابة !

● قلت لموسى صبرى : وهل هنأ هيكل مصطفى أمين ؟!

قال : ذهب هيكل إلى مصطفى أمين ليهنئه بعد الإفراج عنه قابله ببرود وعندما حاول أن يعانقه ، رفض مصطفى ، وكانت مقابلة باردة فاترة ، لم تستغرق سوى دقائق ، استأذن هيكل بعدها فى الانصراف ، ولم يطلب منه مصطفى أو على البقاء !!

■ مازال تساؤلى قائما .. هل هى الصدفة التاريخية أن يتوافق خروج هيكل مع مجىء على أمين إلى الأهرام .

يجيب الأستاذ جلال الحمامصى فى كتابه « القربة المقطوعة » بأن عودة على أمين حملت دلالات كثيرة أكدت لهيكل أن أمره انتهى ص ١٢٨ .

وقال لى موسى صبرى : عندما عين السادات « هيكل » مستشارا له فإنه عين د . عبد القادر حاتم رئيسا لمجلس إدارة الأهرام ، والذى جرى بعدها أن على أمين

كان يزور د . حاتم فى مكتبه وقال له : أنا مستعد أساعدك بأى طريقة .. حتى لو اشتغل «سكرتير فنى» فى الأهرام ! واتصل د . حاتم بالسادات وروى له ما قاله على أمين ! ورد السادات على حاتم بقوله : أنا عارف قيمة على أمين كويس .. وعينه مدير تحرير للأهرام !

هكذا ببساطة تم تعيين على أمين فى الأهرام .. وعاد مصطفى للكتابة فى أخبار اليوم .

فى ذلك الوقت كان إحسان عبد القدوس رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم ورئيسا لتحريرها وأنا رئيس تحرير الأخبار ، وطلب إحسان أن يترك أخبار اليوم لأنه أحس أن وجوده فى أخبار اليوم قد أصبح غريبا ، لأنه بعد رجوع مصطفى أمين التف حوله كل المحررين والصحفيين ، فشعر إحسان أنه غير موجود ، وذهب إلى الأهرام وتم تشكيل جديد لمجلس إدارة أخبار اليوم رأسه على أمين ، ومصطفى أمين رئيس تحرير لأخبار اليوم !!

● قلت : ماذا تعلمت من مصطفى أمين ؟!

قال : قبل قيام الثورة كان الأستاذ مصطفى أمين نجم المسـرح السياسى فى الصحافة . وتعلمت منه اللعب على المسرح السياسى ، وكيف يلمع النجم الصحفى على المسرح السياسى من وراء الستار . كيف يصنع الصحفى الأخبار ، وكيف يشارك فى صناعة الحدث والأحداث. تعلمت منه كيف يعمل الصحفى وهو نائم ، وهو يحلم ، وهو يأكل ، وهو يحب ، وهو يستقبل أصدقاءه ، وهو يقيس بروفة بدلة !

● قلت : وماذا تعلمت من توأمه الراحل الكبير « على أمين » ؟!

قال : تعلمت منه الإخراج الصحفى كفن ، لأن مصطفى أمين ما يعرفش يعمل ميزانباج أو ماكيت .. سبق لى أن تعلمت الإخراج الصحفى على يد الأستاذ جلال الحمامصى أثناء عملى معه فى « الأساس » ثم « الزمان » ولكنى استكملت هذا الفن مع على أمين منه أيضاً تعلمت كيف تكتب القصة الإنسانية فى الصحافة بشكل مؤثر فلم تكن صحافتنا تعرف شيئا اسمه « القصة الإنسانية » .

وعلى أمين ـ رحمه الله ـ إنسانى بطبيعته يذوب رقة ، قلبه شفاف كطفل ومرتعش كعاشق ، عكس شقيقه مصطفى أمين فهو بلا عواطف ، قد يكتب فى الحب والإنسانية والعواطف ولكن قلبه جامد كالصخر !

وليس سرا أن على أمين كان مصدر الحماية الوحيد لهيكل فى أخبار اليوم منذ انضمامه إليها ، وكان يتبناه ويعامله كابن له كما أطلق هيكل اسم « على » على واحد من أبنائه ، وعندما قرر محمد التابعى أن يبيع مجلته آخر ساعة للأخوين مصطفى أمين وعلى أمين فقد حرص على أن يأخذ هيكل ، وعندما قرر مصطفى أمين فصل ورفد هيكل من أخبار اليوم أعاده على أمين وأخذ يشجعه ، بل كان يبرر له بعض أخطائه

الصحفية عند مصطفى أمين شقيقه ؟!

● قلت له : ماذا تقصد بعبارتك الأخيرة ؟!

قال : فى بداية التحاق هيكل بأخبار اليوم أوفدوه إلى سوريا لتغطية مؤتمر بلودان الذى حضره عدد من الزعماء العرب ، وأخذ هيكل يرسل بتحقيقاته من هناك . وكتب مصطفى بنفسه مانشتات وعناوين تحقيقاته فى أخبار اليوم . كان هيكل قد أرسل أحاديث مع هؤلاء الزعماء ، اتضح بعدها أنها قيلت فى الجلسة الافتتاحية ولم يخص أحداً بها هيكل . وبعد عودة هيكل إلى مصر أصر مصطفى على فصله ، وتوسط كامل الشناوى وقال بطريقته الساخرة فى تخفيف الكوارث : هيكل شاب .. ومعذور .. بيدخل مكتبك يلاقى عندك رئيس الوزراء ! يروح لعلى أمين يلاقى مكرم عبيد باشا .. بييجى عندى يلاقى النقراشى باشا .. فهو نفسه يبقى حاجة كبيرة ومعلهش بقى ! ولم يصفح مصطفى أمين إلا بعد تدخل على أمين شخصيا . وهو الذى عينه بعد ذلك بسنوات نائب رئيس تحرير ثم رئيس تحرير آخر ساعة وكتب افتتاحية آخر ساعة عن هيكل ..

أذكر مرة وكان على أمين خارج مصر ، أن اجتمع كل محررى آخر ساعة بمصطفى أمين . كان هيكل وقتها نائب رئيس تحرير وقال المحررون لمصطفى : إما هيكل وإما نحن فى آخر ساعة وهذه استقالاتنا جاهزة ! وقال لهم مصطفى : أنتم تستنوا .. وهيكل يمشى ! وبعد أيام عاد .. « على أمين » وعرف ما جرى فى غيابه وجمع كل محررى آخر ساعة وقال لهم : كلكم تمشوا من آخر ساعة .. وهيكل يبقى موجود !!

هذا هو الفرق بين على أمين وشقيقه مصطفى أمين ، وكان جزاء الاثنين هو ما فعله هيكل بهما فى كتابه « بين الصحافة والسياسة » .. ومن قبله ما فعله بالسادات فى كتاب « خريف الغضب » كان هذا جزاء من أحسن إلى هيكل ذات يوم ..

سألت موسى صبرى : عن موقف السادات من الذين هاجموا هيكل ؟! وهل كان السادات سعيداً بذلك ؟! وهل كان يشجع عليه ؟!

قال موسى صبرى : عندما كتب هيكل مقاله « عبد الناصر ليس أسطورة » فى ذكرى الأربعين لوفاة عبد الناصر ، وحدث فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا ، وكان برئاسة السادات .. أن السيد لبيب شقير وكان وقتها رئيس مجلس الأمة استعرض المقال وكان رأيه بعدها أن هيكل ارتكب جريمة الخيانة العظمى عندما طعن فى عبد الناصر .. وطلب السادات تأجيل الموضوع لجلسة تالية .. وكانت المفاجأة أنه فى الجلسة التالية استدعى السادات « هيكل » وطلب منه شرح وجهة نظره فى مقاله كاملا .. وكان جواب السادات .. عندما يَتهم شخصاً بالخيانة العظمى ، ونحن جميعا نعلم أنه كان قريبا إلى عبد الناصر فلابد أن يأتى إلى هنا كى يدافع عن نفسه !

وكان ذلك الهجوم على هيكل جزءا من صراع مراكز القوى بين بعضها البعض .

بعد ذلك بفترة قصيرة جاءت قرارات ١٥ مايو ١٩٧١ ، وحدثت تغييرات صحفية فى كافة المؤسسات الصحفية باستثناء الأهرام .. قبل تلك التغييرات كان إحسان عبد القدوس رئيس تحرير أخبار اليوم ويوسف السباعى رئيس تحرير آخر ساعة وأنا رئيس تحرير الأخبار وأذكر أننى كنت فى زيارة للرئيس السادات وفوجئت به يقول لى : أنا ها أعملك رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم يا موسى :

فقلت له : مش معقول إحسان عبد القدوس موجود ويبقى هو رئيس مجلس إدارة ، وبعد ذلك بأيام صدرت قرارات التعبيرات فى الصحف وكنت وقتها أرقد فى المستشفى مريضا وزارنى إحسان عبد القدوس وقال لى : أنا جاى أشكرك لأن السادات أبلغنى بترشيحك لى رئيساً لمجلس الإدارة ، وأن إحسان سأل الرئيس طب وموسى صبرى فقال له السادات : إن موسى هو الذى رشحك !

المهم أن إحسان كصديق وزميل من « ألذ » ما يمكن ، لكنى اصطدمت معه مرة بسبب هيكل .. كنت قد كتبت مقالا هاجمت فيه محمد حسنين هيكل هجوما عنيفا .. وبالصدفة جاء إحسان يسألنى : كاتب ايه النهاردة ؟! فقلت له : بهاجم هيكل ! فقال لى : بلاش .. ومفيش داعى لأنه مايستاهلش ! فقلت لإحسان هذا رأيى وأنا مُصِر عليه ! ورد بقوله : ولكنى رئيس مجلس الإدارة ! فقلت : وأنا رئيس التحرير المسئول وهذا حقى ! فقال ، خلاص نحتكم لأنور السادات . فقلت له : لا ما نحتكمش !!

وخرج إحسان من مكتبى ، فأخرجت ورقة وكتبت استقالة .. وبعد مدة عاد إحسان مرة أخرى إلى مكتبى ، ويبدو أنه اتصل بالسادات وشرح له الموقف ، فالسادات انتصف لى جزئيا .. فقد قال السادات انشروا المقال كما هو لكن بلاش اسم هيكل !! وأنا وافقت لأن كل قارىء فى مصر قرأها عرف أن المقصود هو هيكل ! وثانى يوم كتبت مقالاً آخر أيضاً .. والمقالان كان عنوانهما هو « المبشرون بالهزيمة » !!

● قلت له : بعد رحيل الرئيس السادات صدر للأستاذ مصطفى أمين كتاب « أفكار ممنوعة » قال فيه : أعلنت الرقابة على الصحف عقب حريق القاهرة إلى أن ألغاها الرئيس أنور السادات فى عام ١٩٧٤ ، ثم أعلنت الرقابة الخفية ، فكانت مهمة رؤساء التحرير الشطب بعد أن كانت مهمتهم النشر .

قال الأستاذ موسى : رئيس التحرير ليس ساعى بريد أو « بوسطجى » يتسلم المقال من الكاتب ليرسله إلى المطبعة كى ينشر فى اليوم التالى ، ولكن هناك سياسة عامة يلتزم بها رئيس التحرير وكل رؤساء التحرير فى العالم شرقا وغربا ينشر ما يراه متفقا مع سياسة الجريدة ، ويحذف ما يوجب المساءلة القانونية له كرئيس تحرير . فإذا لم يكن رئيس التحرير مقتنعا بهذه السياسة عليه أن يستقيل وسيقبض مرتبه وكل حاجة فلم يكن السادات من هواة قطع الأرزاق !

ثم إننى لم أشوه مقالات لأحد ، نعم مصطفى أمين كاتب كبير ، وجلال الحمامصى

كاتب كبير ، وأحمد أبو الفتح كاتب كبير ، فإذا كانت الظروف جعلتنى رئيسا للتحرير عليهم فهذا وضع لا أملك فيه شيئا . لأننى سأترك موقعى ومسئولية رئاسة التحرير ، وسيصبح تلامذتى رؤساء للتحرير ، وهكذا .

● قلت : فى نفس الكتاب روى مصطفى أمين وقائع محددة أريد عليها شهادتك ، فمثلا يقول مصطفى أمين : قال لى موسى صبرى : إن الرئيس السادات اتصل به فى المساء وقال له : أنه قرر أن يمنعنى من كتابة فكرة ومن كتابة الموقف السياسى فى أخبار اليوم « ص ١٢ » و من سخرية القدر أن الرئيس عندما أوقف فكرة ! هو الذى طلب من موسى صبرى نشر قصة سنة أولى حب .. فى أخبار اليوم لتخفيف صدمة القراء بوقف فكرة ، وهو الذى أمر بوقف نشر قصة سنة أولى حب .. وطلب منى موسى أن أختم القصة فرفضت ! فعرض أن يختم هو القصة فقلت له : إن القرار الجمهورى بقفل القصة وليس بتشويه القصة ص ٦٣ و ٦٤ .

قال موسى صبرى : الحقيقة أن السادات لم يطلب منع نشر مسلسل سنة أولى حب لمصطفى أمين ولكن ما حدث بالضبط هو اننى كنت أجلس مع السادات فى القناطر وكان فيه شغل معاه وبعد أن انتهينا منه سألنى الرئيس السادات فجأة : قل لى يا موسى : هل أخبار اليوم جريدة يكتب فيها كل المحررين أم يكتبها كلها محرر واحد ؟! وسألته : ليه يا ريس ؟ وأجابنى بسؤال آخر :من يكتب الموقف السياسى ، يا موسى ؟ قلت : مصطفى أمين ! عاد ليقول : ومن يكتب فكرة يا موسى ؟ أجبت : مصطفى أمين ! وعاد ليسأل : من يكتب رسائل القراء فى باب عزيزتى أخبار اليوم يا موسى ؟ وأجبت : مصطفى أمين ! وسألنى : من يكتب مسلسل سنة أولى حب ويشغل صفحة كاملة يا موسى؟قلت : مصطفى أمين !

وأشعل السادات البايب ليسألنى بعدها : هل أخبار اليوم بحالها مافيهاش محررين أبداً ؟ هل تصدر أخبار اليوم لمجرد أن كاتباً واحدا يكتب كل هذا بها ؟! ثم قال لى : ثم انا أفهم أن الموقف السياسى أو افتتاحية « الجرنان » يكتبها رئيس التحرير يا موسى مش كدة ..

وانتهى الحوار مع السادات ووجدته منطقيا وعدت لأخبار اليوم واجتمعت بالأستاذ مصطفى أمين ورويت له كل ما قاله السادات .

اتفقنا أن رئيس التحرير هو الذى يكتب الموقف السياسى ، وبالنسبة لقصة سنة أولى حب ، فالحقيقة أن قصص مصطفى أمين تمتاز بالطول الشديد ، يعنى تلاقى القصة مثلا ١٠٠ حلقة . وأذكر أننا كنا قد وصلنا فى نشر سنة أولى حب إلى الحلقة الـ ٣٤ أو حاجة زى كده ، فاقترحت عليه أن نختار وقفة مناسبة لها ، وفعلا قرأت الحلقات الباقية واخترت لها وقفة مناسبة ، وكانت الوقفة سهلة ، لأن القصة نفسها كانت حوالى ٢٠ قصة فى بعض ! وقال لى مصطفى أمين : ولكن لن أكتب كلمة

« انتهت » أو « تمت » فى نهاية القصة . ووافقته قائلا : هذا حقك !
واستمر مصطفى يكتب فكرة بعد ذلك . آدى الحكاية كلها !!
● وعدت لأقول : أورد مصطفى أمين فى كتابه السابق على لسان السادات قوله : هوه مفيش فى البلد غير مصطفى أمين ؟! هل مصطفى أمين رئيس جمهورية حتى يرسل الناس تبرعاتهم له فى « الدنيا بخير » .
قال موسى صبرى حكاية التبرعات باختصار شديد ، أن مصطفى أمين كان يتلقى التبرعات ، وكانت تنشر بالشكل التالى : تلقى مصطفى أمين مبلغ كذا من فلان ! وتلقى مصطفى أمين مبلغ كذا من علان وتلقى مصطفى أمين مبلغ كذا من كذا .. الخ يعنى ينشر اسمه مع كل صاحب تبرع فكان اسمه ينشر ٥٠ مرة مثلا ، فهل كانت هذه التبرعات لشخص مصطفى أمين ؟ أم كانت له كممثل لأخبار اليوم .. بالطبع كانت لمصطفى أمين كممثل لأخبار اليوم .
والحقيقة أن السادات لم يقل هل مصطفى أمين رئيس جمهورية . وحديثه كان معى ونقلته بأمانة كاملة إلى أستاذى مصطفى أمين ..
● عدت لأقول لموسى صبرى : مازلنا نذكر ماذا جرى عندما قرر السادات النزول للشارع السياسى وأعلن عن تشكيل الحزب الوطنى الديمقراطى ، وكتب مصطفى أمين فى فكرة يقول : كنت أتمنى لو أن أعضاء مجلس الشعب لم « يهرولوا » إلى الانضمام إلى حزب الرئيس السادات ..
قال موسى صبرى : بعد تكوين حزب مصر ، لم يكن السادات راضيا عنه وعندما كتب مصطفى أمين مقاله كنت وقتها فى الأسكندرية فلا أدعى بطولة تحمل نشرها وإن كان ذلك لا يمنع أن نالنى جزء من غضب السادات نفسه . وما ضايق السادات فعلا من فكرة مصطفى أمين وقاله لى : إن مصطفى وضعنى فى موقف محرج جدا ، وكان على أن أختار إما مصطفى أمين وإما أعضاء الحزب ..
● عدت لأقول : وهل كان السادات مقتنعا أن مصطفى أمين صادق النية ؟!
قال : لا .. السادات عمره ما اقتنع بصدق نوايا مصطفى أمين ، ولكن كان يحترمه كمهنى وحرفى وكان يقول عليه انه معلم فى الكتابة ، وكان عارفا أن نوايا مصطفى أمين هى هدم كل ما يرتبط بثورة ٢٣ يوليو .
الحقيقة أن هذا الهجوم بدأ بعد الإفراج عن مصطفى أمين وعودة على أمين للصحافة . وكان هذا هو سبب غضب السادات غضبا شديدا وانتهى الأمر إلى مقاطعة على ومصطفى أمين ، وعندما نشر الحمامصى كتابه « حوار وراء الأسوار » واتهم ذمة عبد الناصر المالية ، ونشرت أخبار اليوم تلخيصا للكتاب للزميل نبيل أباظة وثارت ضجة كبيرة ، قام السادات بالاتصال بمصطفى أمين تليفونيا وسأله : الكلام ده جايبينه منين ؟!



○ السادات وموسى صبرى .

فقال مصطفى أمين له : جلال الحمامصى عنده مستندات تؤكد هذا الكلام ! وأمر السادات بالتحقيق فى الموضوع وتشكلت لجنة تحقيق وظهر أنه اتهام غير صحيح . وأعلن السادات بنفسه براءة ذمة جمال عبد الناصر من تهمة تهريب أموال خارج مصر !

وبالمناسبة لقد سألت السادات بشكل واضح وصريح ذات مرة هل هناك أموال أودعها عبد الناصر فى الخارج وأنك تحاول استردادها ؟ وأقسم السادات لى بأن هذا غير صحيح وهى كلها افتراءات حول الرجل . ولو كان عبد الناصر قد فعل شيئا من هذا لكان أخبرنى وقد كنت قريبا منه !

● قلت : بالمناسبة ما ظروف عودة الأستاذ الحمامصى للكتابة فى عهد الرئيس السادات ؟!

قال : عندما تم تشكيل مجلس إدارة أخبار اليوم وأصبح « على أمين » رئيس مجلس إدارة ومصطفى أمين رئيس تحرير أخبار اليوم وعينت أنا نائب رئيس مجلس الإدارة ، وكنت وقتها فى يوغسلافيا وعندما عدت ، حكى لى مصطفى أمين أن السادات طلب منه أن يعيد أخبار اليوم لمجدها القديم فقال له : إننى أريد نقل جلال الحمامصى من الأهرام لينضم إلينا فى الأخبار ويصبح أحد رؤساء التحرير . ووافق السادات على ذلك الطلب ، وبدأ يكتب عموده الشهير « دخان فى الهواء » وكتب مصطفى أمين

سطورا يقدم بها الباب ، أذكر أنه قال : اليوم يعود « دخان فى الهواء » بعد عودة حرية الصحافة .

وجلال الحمامصى لم يمنع من الكتابة ، ولكن هو الذى امتنع من تلقاء نفسه ! كانت كل مقالاته دعوة للتيئيس وبث اليأس وأنه مفيش فايدة « مفيش فايدة » ، هنا اختلفنا وقد أصبحت رئيسا للتحرير ، فكنت ضد دعوته للتيئيس وأنه لا فائدة وهنا اختلفنا ، ومقالات كتبها شعرت أنها تجريح فى رئيس الدولة لم أكن أوافق عليها .

● وظروف عودة الأستاذ « أحمد أبو الفتح » ؟!

قال : أنا لا أعرف خلفيات عودته بالضبط ، لكن ما حدث هو أن على أمين تعاقد معه على أن يكتب فى أخبار اليوم ، وأعتقد أن على أمين استأذن الرئيس فى ذلك بالطبع ! وفى الفترة التى كان يكتب فيها فى الأخبار اختلفت معه على بعض المقالات ، لأنه عاد من الخارج وهو مؤمن بفكرة ثابتة أنه يجب محاربة كل ما يرمز لثورة ٢٣ يوليو ، وأن ما قبل ٢٣ يوليو هو الحرية والرخاء و .. و .. وهذا مضلل وخطير للشباب بالطبع كان خط تلك المقالات يخالف الخط السياسى تماما للأخبار وكان لا يرى فى ٢٣ يوليو سوى التعذيب .. والحراسة والاعتقالات .. وأنا ضد هذا فعلا لأنها أخطاء وقعت فيها الثورة ، ولكننى مع ثورة يوليو فى كل تغيير اجتماعى أحدثته

المهم أننى كنت أتفاهم معه على تخفيف هجومه وبرضه مفيش فايدة ، وذهبت لزيارته فى منزله وسألته لماذا لا تأتى لأخبار اليوم ؟ فقال : أنا حلفت ما أدخل أخبار اليوم إلا بعد ما ترجع المصرى لى ! ولعلك تعرف أن القضاء ينظر الآن قضية رفعها ابو الفتح يطالب فيها بعودة جريدة المصرى له بعد أن أغلقتها الثورة عام ١٩٥٤ بحكم من محكمة الثورة !

ثم امتنع عن الكتابة فى الأخبار ، وأخذ يكتب فى أخبار اليوم ثم حدثت مشاكل فلم يعد يكتب !

● قلت للأستاذ موسى صبرى : ولكن لن يصدق أحد أن السادات لم يقرأ أو على الأقل كان يعرف محتوى كتاب المهندس عثمان أحمد عثمان « تجربتى » الذى هاجم عبد الناصر هجوما مريرا وأثار ضجة فاقت ضجة كتاب الحمامصى ، كانت المعارضة ترى أن السادات بارك صدور الكتاب وكان يعلم ما به علم اليقين ؟!

قال : لا .. لا .. أبدا بالعكس إن هذا الكتاب كان السبب الأكبر وراء الغضبة الكبرى التى غضبها السادات على عثمان أحمد عثمان ، ولم يغضب على أحد مثلما غضب عليه بعد أن صدر الكتاب . والحكاية أن عثمان كان يتمشى مع السادات قبل صدور الكتاب بسنتين وقال له : أنا نفسى يا ريس أكتب كتاب للشباب أروى فيه تجربتى لهم ! فقال السادات لعثمان : والله حاجة كويسة يا عثمان ! وانتهى الأمر .

وعندما صدر الكتاب أذكر أن مصطفى أمين زارنى هنا فى مكتبى وسألنى : هل

قرأت كتاب عثمان تجربتى ؟! فقلت لا ! فقال لى إن الكتاب يهاجم عبد الناصر بشدة ولابد أن يكون السادات على علم بكل حرف كتبه عثمان ! وقلت لمصطفى أمين : أقطع دراعى من غير ما أسأل السادات أنه لا يعرف ما هو مكتوب ! لأن السادات لا يسمح أبدا بالهجوم على عبد الناصر فى كتاب وبالذات من أقرب الناس إليه ! ـ

وبعد ذلك ويشهد على هذه الواقعة الزميل إبراهيم سعده رئيس تحرير مايو وقتها أن السادات قال لإبراهيم سعده بالحرف الواحد : الوحيد اللى فاهمنى موسى صبرى ! انتم تعرفونى من قريب ، لكن موسى لم يتصل بى ويستوضحنى لكنه فاهم أنا ايه كويس قوى !

ولذلك قاطع السادات عثمان وغضب عليه ولم يسمح له بزيارته ، وحل عثمان هذه المشكلة بأن قدم استقالته من الحزب . وفى زيارة السادات للمنصورة قبل وفاته بأيام قليلة صالح عثمان وعاد معه على نفس الطائرة . ويوم ٦ أكتوبر أبلغ السادات عثمان أن يذهب معه إلى وادى الراحة بعد يومين . ولكن جرى ما جرى فى ٦ أكتوبر .

إنما السادات تألم ألما فظيعا من عثمان ، وكان يقول لى : المشكلة يا موسى أن مفيش حد حا يصدق أنى مكنتش عارف ايه المكتوب فى كتاب عثمان !

● قلت : وكانت صحافة المعارضة ـ الشعب بالتجديد وفى مقال للدكتور حلمى مراد ـ تتساءل عن وضع السيدة جيهان السادات وتدخلها فى قرارات السادات .

قال : غير صحيح على الإطلاق ! وليس لها دخل إطلاقا بأى من القرارات التى اتخذها السادات وعندما خرج « منصور حسن » من الوزارة بعد سبتمبر ١٩٨١ ، وكانت تربطه صداقة عائلية بأسرة السادات سواء مع أولاده أو السيدة جيهان ، فقد علموا بالخبر من الصحف ، وكل ما يقال عن تدخل السيدة جيهان تشهير وكذب !!

■ ■

كانت أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ بمثابة نهاية شهر العسل ليس بين السادات والمعارضة فقط بل بين السادات ومدرسة روزاليوسف الصحفية . صحيح أنه بعد ذلك التاريخ صدرت الأهالى لسان حال حزب التجمع ، والشعب لسان حال حزب العمل . إلا أن قيادة روزاليوسف نحيت ، لقد قال لى الأستاذ صلاح حافظ فى حوارى معه على صفحات صباح الخير : أحس السادات أننا تخلينا عنه وأن الشرقاوى طعنه فى الظهر لأن السادات شعر يومها أنها كانت لحظة طرده من السلطة !! وعندما أعلن السادات سحب القرارات الاقتصادية وتحدث مع الأستاذ الشرقاوى وقال : يا عبد الرحمن بلاش إثارة !! وكان معنى كلام السادات الا نقول الحقيقة وأن نترك الكذبة تنطلى على الناس .

وقال لى الأستاذ لويس جريس : ابتداء من ١٨ و ١٩ يناير كنا سامعين إن حايحصل تغيير أحسسنا أن هناك جفاء بين السادات والشرقاوى ، ولم يكن الشرقاوى

يذكر ذلك ، ولكن كانت البوادر تنبيء بذلك ! وبعد ذلك بفترة قابل الشرقاوى السادات ودار حوار لم يفصح عنه الشرقاوى لنا ، ولكن السادات قال له : قيادة روزاليوسف ستتغير يا عبد الرحمن !!

ابتسم موسى صبرى وقال لى :

التغيير الذى جرى بالنسبة لروز اليوسف كان نتيجة موقفهم من ١٨ و ١٩ يناير . ولقد اختلفت مع صديقى صلاح حافظ وقتها وتبادلنا آراء ومقالات ودافع كل منا عن وجهة نظره ، كان ملخص وجهة نظر روز اليوسف وقد نشرت بالفعل أن « إلقاء تبعات التخريب على تنظيم سرى يسمى نفسه حزب العمال الشيوعى » ثم تعميم المسئولية وإلقاء التبعة على كل الماركسيين والشيوعيين إنما هو تسطيح للأمور .. هذا ما قاله الشرقاوى مثلا ، ورددت على صلاح حافظ بمقال نشرته روز اليوسف !

● عدت لأقول : إن ما كتبته روز اليوسف وقتها أن الحكومة أشعلت الحريق والسادات أطفأه ، وكان ذلك ببساطة أنهم مع السادات وليس ضده ؟!

قال : معلهش .. إنما ايه هو الحريق ده حكاية تانية . إنما مفيش شك أن السادات تأثر جدا بعد حوادث ١٨ و ١٩ يناير ، لأنه كان قد بدأ عهد جديد ، وفتح أبواب الديمقراطية وجاءت التنظيمات الشيوعية لتستغل ذلك كله ، وعلى فكرة .. عبد الرحمن الشرقاوى هو الذى قدم استقالته وكتبها عندى هنا فى مكتبى وأنا الذى أرسلتها للسادات بنفسى .

● قلت : وماذا كان رأى السادات فى مضمون الرسالة ؟!

قال : السادات كان يحترم عبد الرحمن الشرقاوى تماما . وكان يعتقد أنه رجل متأثر بالمبادىء الماركسية لكنه مصرى صميم ولا يتعامل إلا من منطلق وطنى ، وأيضا كان السادات يقول عن صلاح حافظ أنه يكتب رأيا ماركسيا ولكنه نابع من مصريته ، وكان هذا مبعث تقدير السادات له .

● لماذا تعادى اليسار ؟

قال : أنا لا أعادى اليسار ، هذا غير صحيح ، وأنا أصنف نفسى دائما على أننى يسارى غير شيوعى !

● سألت موسى : نادرا ما أدلى عبد الناصر بحديث لصحفى مصرى - ربما كان هيكل استثناء - بعكس السادات الذى حظيت صحافة مصر منه بعشرات الأحاديث !

قال : لا شك أن السادات كان يقدر الصحافة والصحفيين ، فهو اشتغل مع معظم الصحفيين ويكاد يعرفهم واحداً واحدا ، ويعرف كفاءة كل صحفى ، ويعرف خلفية كل صحفى أيضا . لذلك كان بابه مفتوحا للجميع بعكس عبد الناصر الذى اكتفى بهيكل .

وكان السادات فى لقاءاته بالصحفيين مرحا وودودا ، أذكر مرة فى بداية حكمه وكان

قد دعا رؤساء التحرير ورؤساء مجالس الإدارة ليجتمع بهم فى القناطر . وفوجىء السادات بفوزى عبد الحافظ سكرتيره وقد وضع الكراسى التى سنجلس عليها على شكل صفوف متوازية .. فقال السادات له : إيه يا فوزى إلّى أنت عامله ده .. إحنا قاعدين فى فصل مدرسى ! ثم قال لنا : تعالوا ياولاد قربوا كده نتلم على بعض .. احنا كلنا عيلة واحدة !!

موقف آخر وكان عقب طرد الخبراء الروس .. اجتمع السادات بنا ، وكان يجلس إلى جواره المهندس عزيز صدقى رئيس الوزراء وقتها ، وكان يجلس معنا المرحوم فكرى أباظة شيخ الصحفيين ، وفى بداية الاجتماع قال السادات ضاحكا لعزيز صدقى : قوم يا عزيز أقعد مع الصحفيين ! ثم نادى على شيخ الصحفيين قائلا : تعال يا عم فكرى أقعد جنبى .. تعال يا راجل !!

وأراد السادات بهذا الموقف ـ كما روى لى ـ أن يرد اعتبار شيخ الصحفيين فكرى أباظة فى هذا الجو وأمام كل رؤساء التحرير . فقد سبق أن أصدر عبد الناصر قرارا بفصله من المصور ، والسبب سطور قليلة كتبها طالب فيها بالحرية . وحدث أن زاره هيكل وأقنعه بضرورة كتابة اعتذار لعبد الناصر ، نشر اعتذار الرجل على صفحات الأهرام .

● قلت : فى الأحاديث التى أجريتها مع السادات هل كان جهاز التسجيل وسيلتك أم كان يتكلم وتكتب إجاباته ؟!

ضحك وقال : على فكرة السادات كان يعتبر أى صحفى يذهب إليه بدون جهاز تسجيل صحفى متخلف ، وكان يقول للصحفى : يابنى فيه دلوقتى حاجة اخترعوها اسمها جهاز تسجيل .. وكان قبل بدء الحديث حريصا على أن يطمئن بنفسه على أن جهاز التسجيل يعمل ! وكان يتندر من أن السيدة أمينة السعيد أجرت معه حديثا صحفيا ثم اكتشفت أن الجهاز لم يكن يشتغل !!

وعموما كان السادات يحب الأشياء المتقدمة ، والتكنولوجية ، ولذلك كنت تجد فى مكتبه أحدث الأجهزة الالكترونية الحديثة بحيث يتمكن من الاتصال بجميع أنحاء العالم وقتما يشاء .

● قلت : هل كان يطلب السادات قراءة أحاديثه قبل نشرها ؟!

قال : لا .. لم يكن يهتم !!

● قلت : أحاديث متعددة أدلى بها السادات إلى صحفيين عديدين مثلا عبد الرحمن الشرقاوى ، عبد الستار الطويلة ، أنيس منصور ، إبراهيم سعده ، وأنت ؟! ماذا كان يستهويه أو يعجبه فى طريقة كتابة كل واحد للحديث الصحفى معه ؟!

قال : كان يستهوى السادات العبارة الجميلة ، والجملة الرشيقة ، والتعبير المبتكر البليغ ، ولو أن حديثه الصحفى مثلا أحدث ضجة عالمية ما كان يهتم ، قدر اهتمامه

بحلاوة الأسلوب وجماله الذى ظهر به الحديث ، مرة كنت عنده ، وكنت قد أجريت حديثاً نشر فى الأخبار ، وكان يقرأه .. فكان يتوقف أحيانا ليقول : الله .. الله يا موسى الله !

فى أحيان كثيرة كان الفنان داخل السادات يتغلب على السياسى !

● قلت : هل أهديت للسادات أيا من كتبك ؟!

قال : نعم أهديته كتابين . الأول وثائق حرب أكتوبر ، والثانى وثائق ١٥ مايو . وأرسل لى خطاب تقدير بعد قراءته للكتاب

● قال : هل أهداك السادات كتابه البحث عن الذات ؟!

قال : نعم ، وبخط يده كتب إهداء رقيقا يقول : إلى زميل رحلة العمر !

● هل كان بينك وبين السادات رسائل متبادلة ؟!

قال : أذكر مرة عندما سافرت بصحبتى زوجتى إلى أمريكا للعلاج ، كتبت للسادات خطابا عاطفيا جدا ، وتصوفيا أشكره على موقفه من أن زوجتى عولجت فى الخارج على نفقة الدولة ، ولم يكن باستطاعتى أن أعالجها على حسابى ، وأذكر أن السادات اتصل بى تليفونيا من القاهرة وشكرنى وقال لى : إن ما فعله مع زوجتى يفعله مع كل الناس !

● ●

وأنا ألملم أوراقى وشرائط الكاسيت المبعثرة (١٢ شريطا مدتها ١٥ ساعة) تذكرت سطرا له فى كتابه « قلبى يرتجف » قال فيه : سيدى قلبى : كن معى .. حتى لو كتبوا على قبرى « ولد إنسانا .. ومات صحفيا » !! وسألته : عبر ٤٠ سنة صحافة منها ٣٥ عاما داخل أخبار اليوم ، ماذا أعطتك أخبار اليوم ؟!

قال : أخبار اليوم أعطتنى عشق الصحافة ! حبى للصحافة تحول على يديها إلى عشق ، والعشق يعنى التفانى والفناء فى هذه المهنة . هل هذا خير أم شر؟ هذه علامة استفهام ! فعندما تتفانى فى هذه المهنة تنسى كل شىء وتصبح هى عائلتك . والصحافة فعلا زوجة لا تقبل ضرة ولا شريكا ولا منافسا ! لقد أحببتها واستعبدنى هواها ! مهنة تعطى ولكنها لا ترحم ، مهنة تجذب بسحرها من يخدعهم هذا السحر ثم يعانون لوعته ومرارته ولكنهم يستعذبون اللوعة والمرارة .. إنه حب أسير .. يستمتع بالأغلال !

أعطتنى الصحافة شعوراً بالانتماء للمكان الذى أعمل به ! كل محرر هنا فى أخبار اليوم يشعر أنه جزء لا يتجزأ من المكان ، هذا الشعور والإحساس تجده فى روزاليوسف وصباح الخير ، إنما لا تجده فى جرائد أخرى ، علمتنى أخبار اليوم وعودتنى على كل الاتجاهات والآراء ، لكن فى نطاق الأسرة الواحدة المتحابة .



٤ أحمد حمروش

الضباط يحكمون الصحافة !!

احمد حمروش واحد من ثوار يوليو ١٩٥٢ .. حيث كان مسئولا عن الحركة فى مدينة الاسكندرية .

عقب نجاح الثورة عرض على جمال عبد الناصر إصدار مجلة او صحيفة تعبر عن الجيش ، ووافق عبد الناصر ، وهكذا صدرت مجلة التحرير التى رأس تحريرها .

احمد حمروش احد الوجوه العسكرية التى اثبتت نجاحها فى بلاط صاحبة الجلالة صحفياً وكاتباً ورئيساً للتحرير فى كافة المجلات والصحف التى تولى مسئوليتها منذ مجلة « التحرير » حتى « روزاليوسف » .

احمد حمروش تصدى اخيراً لمهمة جديرة بالتسجيل والإعجاب . حيث بدأ كتابة ملحمة ثورة يوليو ، وصدر منها ثمانية اجزاء حتى الآن !! كان آخرها « غروب يوليو » .

● **قلت : بداية المشوار الصحفى بعد ثورة يوليو ؟!**

قال الأستاذ احمد حمروش : بعد أن نجحت حركة الجيش فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وكنت فى هذا الوقت مسئولا عن حركة الضباط فى الأسكندرية ، وفوجئت بأنه مطلوب من الانتقال إلى القاهرة ، وطلبت أن أكون فى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة ، وهذا كان يتجاوب مع هوايتى التى تمثلت فى الكتابة فى الصحف منذ أواسط الأربعينيات فى صحف ومجلات الفصول والأهرام والقصة .

فى الإدارة العامة كان يزاملنى بعض الضباط ، مثل مصطفى بهجت بدوى ووجيه أباظة وكمال الحناوى ، يجمع بينهم ثقافات وهوايات أدبية وفنية ، لذا فقد فكرت فى إصدار صحيفة أو مجلة تعبر عن حركة الجيش ، ولم أتردد فى عرض الفكرة على جمال عبد الناصر ، وكان كل شىء فى الأيام الأولى للثورة يمكن تخفيفه بصورة ثورية ، ووافق عبد الناصر وبدأت فى التنفيذ ، ووافق على العمل معى عدد كبير من الأصدقاء والزملاء الصحفيين ، منهم عبد الرحمن الشرقاوى وعبد المنعم الصاوى وسعد لبيب وصلاح حافظ ود . يوسف إدريس وحسن فؤاد .

ولما لم تكن هناك ميزانية لإصدار المجلة ذهبنا إلى دار الهلال وقابلنا المسئولين فوافقوا على طبعها على أن نسدد التكاليف من المكسب .. وصدر العدد الأول فى ١٩٥٢/٩/١٦ .

وأذكر أننى أخذت العدد الأول من مجلة « التحرير » وذهبت به إلى جمال عبد الناصر لصداقتى القديمة به ولعلمى عن دوره فى تنظيم الضباط الأحرار ، فقلَّب عبد الناصر العدد بين يديه ثم قال لى : والله حاجة كويسة .. بس وريها للإخوان « يقصد زملاءه فى مجلس الثورة » . فى نفس الوقت كانت نسخ المجلة فى المخازن فى

انتظار توزيعها فى اليوم التالى ، ولما عرضت المجلة على « صلاح سالم » قال لى : أنتم هتوزعوها مجاناً ؟ فقلت له بدهشة : ليه هى نشرة سفارات ؟!

بعدها ذهبت إلى كمال الدين حسين الذى تصفحها ووقف عند تحقيق صحفى مع رؤساء تحرير الصحف المصرية ومنهم أحمد أبو الفتح وأحمد الصاوى محمد وكامل الشناوى وآخرون ، ومع التحقيق صورة لى ولمصطفى بهجت بدوى فقال لى كمال الدين حسين مستغرباً : الله .. هو أنتم بقيتم من كبار الصحفيين !!

أدهشتنى طريقة التفكير وذهبت إلى جمال عبد الناصر وقلت له : يبدو أن الإخوان عندما عرضت عليهم المجلة للأسف مش فاهمين حاجة ، فأرجو أن تعتبرنى متحملاً مسئولية هذه المجلة ، وأنت أيضا تتحمل المسئولية معى لأنك وافقتنى على أن أصدرها !

ضحك عبد الناصر وقال بسماحة وطيبة : يالله .. روح وزع المجلة !

ووزعنا من العدد الأول حوالى ١٣٠ ألف نسخة ، وصارت المجلة حديث الناس فى كل مكان .. لأسباب عديدة من بينها أننا نشرنا بعض الأسرار والأخبار التى حصلنا عليها من مصادرنا .. ولأول مرة يقرأ الناس لعشرات الأسماء اللامعة فى مجلة واحدة .. وأنها مجلة الثورة .. ولكن منذ العدد الأول بدأت حملة هجوم على مجلة التحرير من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة أصحاب الاتجاهات المحافظة والذى لم يكن فكرهم متطوراً بدرجة تطور فكر منشورات الضباط الأحرار أو فكر جمال عبد الناصر ، فبدأت الحرب وأثاروا الناس ضدها وكذلك الضباط .

وبعد شهرين من صدور المجلة وكنت قد دخلت كلية أركان الحرب وفوجئت بخبر منشور فى جريدة المصري باستبدالى بثروت عكاشة رئيسا للتحرير وكان برتبة صاغ وقتها .. وفوجئت بجمال عبد الناصر يطلبنى ويلح علىَّ فى الكتابة ولكنى رفضت .. وبعدها اعتقلت !

● قلت : يلاحظ المتابع للصحافة المصرية من تسلل الضباط الأحرار إلى مناصب رؤساء التحرير ومجالس الإدارات .. لماذا ؟

ـ بعد لحظات من الصمت والتأمل .. قال الأستاذ أحمد حمروش :

حرص جمال عبد الناصر دائما على وضع العسكريين فى رئاسة مجالس إدارات الصحف ورئاسة تحريرها .. والبداية مع الصحف والمجلات التى أصدرتها الثورة لتعبر عنها .

مجلة التحرير تولى رئاسة تحريرها ثروت عكاشة بعد إعفائى من العمل فيها فى شهر نوفمبر ١٩٥٢ ثم ضمت إلى دار الجمهورية حيث كان أنور السادات رئيسا لها

بعد إعفاء ثروت عكاشة أيضا :

المساء تولى رئاستها خالد محيى الدين ، ثم مصطفى المستكاوى .

الشعب تولاها صلاح سالم ثم لطفى واكد حتى انضمت إلى جريدة الجمهورية .

بناء الوطن المجلة الشهرية رأسها أمين شاكر ، والثورة كانت مجلة أسبوعية أصدرتها منظمات الشباب ورأسها صاغ وحيد الدين جودة رمضان .

وعهد إلىَّ بإصدار مجلة أسبوعية جديدة تحت اسم الفجر عام ١٩٥٦ وشكلت لها مجموعة تحرير ضمت محمود أمين العالم ، سعد لبيب ، منير حافظ ، صالح مرسى ، راجى عنايت ، رسام الكاريكاتير جورج البهجورى . ولكنها لم تصدر رغم طبع ثلاثة أعداد منها للتجربة ولم يكن هناك جواب شافٍ حول : لماذا لم تصدر ؟!

نعم كل الصحف التى أصدرتها الثورة رأسها عسكريون ولكنها لم تكن جميعاً تعبر عن رأى واحد .

جريدة المساء لعبت دوراً فى ظهور الفكر اليسارى المتقدم ومخاطبة الجماهير بآراء يسارية متحررة ، واهتمت بقضايا الثقافة الجديدة ، وتابعت قضايا المجتمع متابعة موضوعية تميزت بها عن غيرها من الصحف . بينما مجلة بناء الوطن مثلا كانت تدعو إلى الاقتصاد الحر والثقافة الغربية ، وجريدة الجمهورية عانت من انقلابات إدارية وفكرية لكثرة تغيير الذين تولوا مسئوليتها بعد أنور السادات .

فقد كانت الايديولوجية مازالت غائبة .. والحيرة طابع التصرفات والتجربة هى أساس الحركة .

● قلت : وحتى الصحف الأخرى كالأهرام والأخبار وأخبار اليوم ودار الهلال وروزاليوسف وهى صحف ومجلات كان لها وزنها حتى قبل ثورة يوليو وطئت إليها أقدام العسكريين فيما بعد ؟

إن الصحافة المصرية التى تعتبر من أجهزة الدعاية شديدة التأثير فى العالم العربى كانت بعيدة عن التجاوب الحقيقى مع أفكار الثورة المتوهجة ، وخاصة أن الرقابة كانت قد ألغيت تماما عام ١٩٥٦ .

يواصل حمروش قائلا : وكان ذلك أمراً طبيعياً .. معظم أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها كانوا من أتباع النظام الملكى المنهار المروجين له .. الصحف الوفدية التى تولت - إلى حد ما - معارضة الملك وتجاوبت مع إرادة الجماهير صودرت واختفت « مثل المصرى ، وصوت الأمة » وكل الجرائد والمجلات اليسارية صودرت أيضا .

وصحف أخبار اليوم يملكها على ومصطفى أمين ودورهما معروف فى تأييد الملك ودعم صحف الإثارة والترويج للسياسة الأمريكية ، والأهرام كانت ملكاً لأسرة تقلا

وظلت خلال تاريخها الطويل بعيدة عن المساهمة الإيجابية مع الإرادة الشعبية المصرية مغلبة الاعتدال والاتزان فى كل شيء ، وصحف روزاليوسف يملكها إحسان عبد القدوس ويشاركه فى صدورها مجموعة من الشباب ذوى الآراء السياسية المختلفة ، وهى فى آرائها السياسية وأسلوبها الصحفى المتميز بالنقد لا يمكن أن تكون تابعة فى سكون !!

ولم يتغير أحد من المسئولين عن تحرير هذه الصحف بعد الثورة ، ولم يؤثر نشر كشف المصاريف السرية عام ١٩٥٤ على موقع أحد فى المسئولية ، ولم يدخل التطهير داراً من دور الصحف ، وعندما تقرر تنظيم الصحف أى تمليكها للاتحاد القومى وإعطائه سلطة الإشراف عليها وكان ذلك من مؤشرات التأميم المبكرة ، وتولى الضباط منصب العضو المنتدب فى المؤسسات الصحفية ، وكان صلاح سالم رئيسا لدار التحرير ، وحسنين هيكل الصحفى المقرب من عبد الناصر رئيسا لمؤسسة الأهرام ودار الهلال بعد ضمها لبعضهما وتولى رئاسة مؤسسة أخبار اليوم !!

● قلت : ما الفرق بين تجربة التحرير وتجربة الجمهورية ؟!

قال أحمد حمروش : فى البداية أقرر أن مجلة التحرير لم تحتضن أى اتجاه فكرى محافظ ، وحتى الكتاب والصحفيين الذين ساهموا فى تحريرها وكانوا من المشهورين والمعروفين قبل قيام الثورة كانوا من أصحاب الفكر المتفتح وليسوا من أصحاب الاتجاهات الرجعية المعروفة بصلاتها بالقصر الملكى أو الاحتلال .

مثلا الأستاذ « أحمد أبو الفتح » كاتب وصحفى وفدى وطنى مستنير ، كامل الشناوى كان على علاقة طيبة بالمجلس العالمى للسلام .

ونجاح مجلة التحرير أعطى نوعاً من الإغراء للثورة أن تدخل مجال الصحافة اليومية .. كانت الأنفاس قد هدأت واستقرت الأمور ، ولم يعد الضباط يأكلون سندوتشات الفول !!

وبدأ التفكير فى إصدار جريدة الجمهورية ، وحشد لها أعظم الناس والفنانين والكتاب وأجريت تجارب على مدى أسابيع وشهور ، إلى أن صدرت فى اكتوبر عام ١٩٥٣ ، وكان صدورها مقترنا ببرود شديد ، ولم تستطع جذب القراء إليها !

● قلت : لماذا رغم أن من كتابها طه حسين ، ولويس عوض ومندور وآخرين ؟

قال : هذا صحيح ، وعندما كنت تقرأها كنت تحس فعلا أنك أمام جريدة دسمة ومصروف عليها كويس ، لكن إحساس الجماهير بها كان مفتقداً .

● قلت : لماذا أيضا ؟

قال : تفسيرى لذلك يكمن فى القيادة التى كانت توجه الجمهورية والفكر الذى

يوجهها ! إقصد أن النبض الحقيقى للجماهير لم يكن موجوداً على صفحاتها ! الجماهير الراغبة المتطلعة للتغيير ، وأنا ـ هنا ـ أريد أن أضع حداً فاصلا بين عام ١٩٥٢ وعام ١٩٥٣ ، ففى عام ١٩٥٢ كان كل الناس مع الثورة .. أما فى عام ١٩٥٣ كانت الثورة قد ضربت الأحزاب والغت الدستور ، وبدأ يتكون لها أعداء من الجبهة الداخلية سواء من الوفديين أو الشيوعيين أو الإقطاعيين ، فكان صدور الجريدة فى هذا الوقت المفروض أن يعبر عن هذا ، وفى اعتقادى أن هذا لم يحدث !

ومن الجائز أن تجد جريدة تستخدم التكنيك الصحفى ، وأن تكون لها رؤية ممتازة للأمور ، ومع ذلك ينصرف الناس عنها . ولا يصل فكرها إليهم .

فمثلا جريدة الأخبار عندما أصدرها مصطفى وعلى أمين ، فى البداية لم يزد توزيعها على ٣٠ ألف نسخة ، رغم أن مصطفى وعلى مدرسة صحفية ليس فى هذا أدنى شك ، وكانت هناك جريدة المصرى لأحمد أبو الفتح وتوزع مائة أو ٢٠٠ ألف لأنها ببساطة جريدة شعبية كان القراء والناس تجد نفسها على صفحاتها !

والذى أنقذ صحيفة الأخبار حقيقة هو قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فقد التقط مصطفى وعلى أمين ضيق الناس من الملك والنظام السابق ورغبتهم فى شىء جديد ، فأخذا ينشران قصة الملك فاروق كاملة وفضائح العهد السابق ، وارتفع توزيع الأخبار بشكل خرافى ، أما جريدة الجمهورية فلم تفعل ذلك .

● قلت : كيف تفسر انفراد الأستاذ محمد حسنين هيكل بالصحافة ، حتى صار أبرز ظاهرة صحفية طوال عصر جمال عبد الناصر ؟!

أجاب الأستاذ أحمد حمروش : فى بداية ثورة يوليو ١٩٥٢ لم يكن محمد حسنين هيكل هو أقرب الصحفيين إلى جمال عبد الناصر ، فقد كان هناك صحفيون آخرون مثل إحسان عبد القدوس ، مصطفى أمين ، حسين فهمى ، وأحمد أبو الفتح ، وكل هؤلاء كانوا أصدقاء لجمال عبد الناصر ! وهناك نقطة هامة وهى أن هيكل حينما تعرف على عبد الناصر لم يكن صحفياً مبتدئا ؛ فقد كان وقتها يشغل منصب رئيس تحرير مجلة آخر ساعة ، بل إنه تولى هذا المنصب فعلا قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ .

والنقطة الثالثة : أن هيكل كان أكثر الصحفيين حرصاً وفهماً لطبيعة المرحلة ، وأيضا رغبة فى الاستفادة من وجوده قريباً إلى زعيم هذه الثورة ، فإذا كان هيكل قد أثر على عبد الناصر كى يجعل منه الصحفى الوحيد ، فأنا أقول إن هذا غير ممكن ومستحيل لأنه ضد طبيعة جمال عبد الناصر شخصياً ، فأنت على سبيل المثال إذا حاولت عند عبد الناصر أنك تصبح الصحفى الوحيد لديه لن تنجح ، ولكن إذا وجد عبد الناصر أن رغباته وأفكاره وأحلامه تترجم جيداً من خلالك فهو الذى سيقربك

إليه ، لأنه هو الذى سيكون محتاجاً لك .

لذلك أقول إن عبد الناصر كان محتاجاً لهيكل وكان يتبادل معه الأفكار والحوار مثل مباراة فى الشطرنج ، ولكن فى النهاية كان هناك رأى لعبد الناصر ورأى لهيكل ، وكثيراً ما اختلفوا بل كثيراً ما أدى خلافهما فى الرأى إلى أحداث كانت من الممكن أن تأتى لمصر بالمصائب !!

● هل هناك أمثلة محددة لما تقول ؟

فى أكتوبر عام ١٩٦٤ قامت ثورة شعبية فى السودان انقضت على حكم عبود ، فكتب هيكل عدة مقالات فى الأهرام . كان نتيجتها أن قامت ثورة فى الخرطوم وقام المتظاهرون بحرق العلم المصرى فى السفارة المصرية بالخرطوم ، فهل كانت هذه المقالات هى رأى عبد الناصر .. بالتأكيد لا .. لأنه عندما بلغ عبد الناصر خبر المظاهرات وحرق العلم المصرى قال : هو العلم ده إيه .. مش قطعة قماش .. نعمل علم تانى !! إذن عبد الناصر لم يضخم المسألة لأنه مدرك أن « هيكل » كتب ماهو مقتنع به شخصياً ، لأن ما كتبه هيكل كان فيه معنى الهجوم على الناس فى الشوارع ، ورأى عبد الناصر كان مختلفاً ، وأنا فى هذا الوقت كنت أعلم تماماً رأى عبد الناصر فى مساندة الثورة الشعبية فى السودان .

وعندما حصل تغيير فى الجزائر وانتقلت السلطة من أحمد بن بيللا إلى هوارى بومدين كتب هيكل عدة مقالات كادت أن تؤدى إلى قطع العلاقات بين الجزائر ومصر !

وما أريد أن أقوله إنه كان هناك دائما خط تمييز بين عبد الناصر وبين هيكل ، وكون هيكل الصحفى الأوحد فى عصره ، نعم بلا جدال ، وهذا كان نتيجة موهبة شخصية توجد فيه .. نتيجة أن « هيكل » صنع لحياته كصحفى « تخطيط كويس » ، ولأنه صحفى دءوب ومهتم أن يطور الصحافة ، ويتضح هذا فى مؤسسة الأهرام .

على الجانب الآخر عبد الناصر محدش كان يقدر يركبه ، ولا أحد يستطيع أن يفرض نفسه ليكون قريباً منه ، ولكن عبد الناصر هو الذى كان يختار من يكونون قريبين منه ، وهذه طبيعة أى حاكم فرد يختار من يريد أن يتعاون معه ، ومن يريد أن يكون قريباً منه !

● قلت : هل تتصور أن بعض أفكار هيكل ومقالاته كانت بتوجيهات من عبد الناصر

ـ أريد أن أقول لابد من التفريق بين أن عبد الناصر كان يعطى لهيكل أفكاره كى يحولها إلى خطبة أو بيان ؛ فهذه قضية أخرى . فإذا جاء هيكل وترجم هذا ترجمة جيدة تريح عبد الناصر فمفيش مناقشة ، لكن أن يتدخل عبد الناصر فيما يكتبه أو ما الذى سوف يكتبه ، فأنا لا أتصور أن « هيكل » يقبل هذا ! ولا أتصور أيضا أنه

كان سيكتب بشكل كويس إذا أوحى إليه بأن يكتب فى كذا وكذا .

واقول عن نفسى انه لو اوحى إلى بأن أكتب كذا .. فلن أعرف ، ولكن انا أكتب ما فى صدرى وما فى ذهنى وما أنا مقتنع به ، وعلى الأقل سأكتب ما يرضينى ، وفى هذه الحالة فإن ما اكتبه يتجاوب مع عبد الناصر أو لا يتجاوب هذه قضية أخرى !

● ألم يكن هيكل وراء كتابة « فلسفة الثورة » الذى هو ترجمة لأفكار عبد الناصر وكذلك الميثاق الوطنى وبيان ٣٠ مارس ؟!

قال حمروش : انت تؤيد ما أقول .. هل هذه المؤلفات كتب عليها بقلم محمد حسنين هيكل .. لا .. إذن هو ليس مسئولا عنها .. المسئول جمال عبد الناصر لأنه أوحى بأفكارها ـ وخطوطها العامة إلى هيكل فكتبها ووافق عليها عبد الناصر ، ولكن ظهور مقال مكتوب وموقع عليها بإمضاء محمد حسنين هيكل هنا هو المفكر والمسئول عن أفكاره !

● قلت : ما الظروف التى صرت فيها مسئولا عن مؤسسة روزاليوسف ؟!

- كان ذلك عام ١٩٦٤ ، وكانت تلك الأيام فترة عصيبة ، لأنها الفترة التى أعقبت مرحلة التأميم ، وكذلك فترة انتقال الثورة لمرحلة جديدة ، وصدر قانون عدم جواز الجمع بين وظيفتين فى وقت واحد ، ولما كنت أعمل صحفياً فى جريدة الجمهورية وفى نفس الوقت مدير مؤسسة المسرح . آثرت أن أعمل بالصحافة ، فذهبت إلى مؤسسة روزاليوسف وقابلت إحسان عبد القدوس الذى رحب بى جداً واتفق معى فى نفس الوقت على أن أكتب بضعة مقالات أو أفكار فى مجال الثقافة ، وبدأت بالفعل فى الكتابة .

وحدث فى تلك الأيام أن قامت ثورة أكتوبر ١٩٦٤ فى السودان ، وأرسلتنى مجلة روزاليوسف لتغطية أحداث الثورة ، فى نفس الفترة حدث تغيير فى روزاليوسف فتولى رئاسة مجلس الإدارة الأستاذ أحمد فؤاد (رئيس بنك مصر حاليا) وهو صديق قديم وواحد من الذين تعاونوا معنا قبل ثورة ١٩٥٢ .

المهم سافرت السودان وكتبت عدة تحقيقات صحفية عن حقيقة ما حدث . فيما يبدو أن عبد الناصر قرأ هذه التحقيقات عندما نشرت فى روزاليوسف وأعجب بها ، وفوجئت به يطلبنى ويبلغنى رغبته أن اترك المسرح وأمسك روزاليوسف ، وأحرجنى ذلك العرض . لأنه من غير المنطقى أصبح رئيس تحرير مكان صديق عزيز هو أحمد فؤاد ؛ فلما وجدت إصراراً وتصميماً من عبد الناصر قبلت ، وخصوصاً أن مجال الثقافة أيامها قد صار ضيقا !

● قلت : هل حدث أن اتصل بك عبد الناصر مثلا لكتابة شىء معين فى روزاليوسف ؟!

قال حمروش : أؤكد لك إننى منذ توليت مسئولية رئاسة تحرير مجلة روزاليوسف لم يتصل بى أحد لكتابة شىء معين ، أو حتى يوصى بالكتابة فى اتجاه معين ، ولم يفرض على أى التزام خاص ، ولم أقابل أى رقيب إطلاقاً على صفحات المجلة إلا اعتباراً من نوفمبر ١٩٦٨ (أى بعد نكسة يونيو ٦٧) وأعتز ببعض الخبطات الصحفية التى عملناها فى روزاليوسف ، منها مثلا موضوعات « آبار الوادى الجديد » وبعد نشر الموضوع تحركت طائرة فيها ١٢ وزيراً و ٨ من أمانة الاتحاد الاشتراكى للتحقيق فيما نشرته روزاليوسف وتبين صدق المعلومات التى نشرتها المجلة .

ومرة ثانية أثارت روزاليوسف موضوعاً عن تزوير الميزانيات فى شركات القطاع العام ، وكنا نكتب من منطلق حب وتدعيم القطاع العام والرغبة فى إصلاحه ، وفهم البعض أننا نهاجم القطاع العام ، وذهبت لمقابلة د . عزيز صدقى وزير الصناعة وقتها وشرحت له أفكارى .. وقدم لى هو توضيحاً وشرحاً ممتازاً لقضية الصناعة فى مصر .

ومرة ثالثة كتبنا عن « تهريب الأرض » ، صحيح أن قانون الإصلاح الزراعى كان موجوداً ولكن فيه بعض الناس يملكون ارضاً أكثر مما ينص عليه القانون وقتها .

ولكن مع هذا يجب أن أعترف أن « زهوة » روزاليوسف خلال تلك السنوات لم تكن فى زهوة مجلة « التحرير » ، لأنه فى الفترة من عام ١٩٦٤ إلى ١٩٦٧ كانت سنوات حاسمة . كان الميثاق الوطنى قد صدر ، أيده البعض ورفضه البعض وتم تفسيره مليون تفسير ، وكانت فترة قلقة بالنسبة للجماهير ، فكتبت عدة مقالات عن الأربع السنوات الحاسمة .

إنما على الأقل ـ وأنا أتكلم من وجهة نظرى الصحفية ـ استطعنا أن نتمسك بشرف الكلمة وأن نجعل من روزاليوسف تعبيراً عن الرأى الصادق الذى كنا نؤمن به : ولم يحدث أى نوع من التدخل أو الرقابة كما يدعى البعض .

● خلال تلك السنوات الحاسمة .. ألم يحدث وهاجم عبد الناصر أو انتقد أشياء فى مجلة روزاليوسف غلاف أو مقال ؟!

ضحك أحمد حمروش وقال : حدث ذلك ولم يكن هجوماً بالمعنى المحدد ، كان ذلك بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ وكان ينعقد فى الأسكندرية مؤتمر المبعوثين وكنت حاضراً هذا الاجتماع ووقف البعض وقال إنه لا توجد حرية صحافة ، فرد عبد الناصر قائلاً : هذا غير صحيح ففى روزاليوسف تكتب مقالات ونقد شديد أنا غير موافق عليها وأعتبر أن فيها تزيداً ومع هذا لا أتدخل فيما ينشر أو يكتب . وكان عبد الناصر صادقا لما يقول :

● لماذا إذن كانت خطوة تأميم الصحافة ؟!

بهدوء اجاب أحمد حمروش : لو اذنت لى أخرج قليلا من موضوع الصحافة وتأميم الصحافة وأعود لفترة الستينيات بشكل عام وأنا أسميها « فترة الحيرة والاختيار » لأكثر من سبب ؛ فبعد أن نجحنا فى صد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وبدأت عملية التمصير ، هذا جعل لمصر توجهاً جديداً نحو أن الدولة تمتلك كل شىء (مصانع ، شركات تأمين ، بنوك ، الشركات الأجنبية) وبدأت الدولة تصبح مسئولة عن هذا القطاع .

حتى هذه الفترة كانت الدولة رأسمالية ، بل بالعكس كانت تدعو رأس المال الأجنبى ان يأتى ، وكان يوجد قانون من أيام حزب الوفد يقول إن نسبة رأس المال المصرى تكون ٥١٪ قامت الثورة بعمل العكس ٤٩٪ لمصر والباقى ٥١٪ لرأس المال الأجنبى ، ولم يأت رأس المال الأجنبى .

وحدثت خلافات شديدة بين مجلس الإنتاج القومى الذى كان يضم عبد الجليل العمرى وحسين فهمى وكانوا ينادون بضرورة مجىء رأس المال الأجنبى بدعوى أن هذا يُحدث تدرجاً فى الاقتصاد القومى ، لم يحدث أيضا ، وعندما حدث التمصير مع عدم مجىء رأس المال الأجنبى وإحجام الرأسمالية المصرية عن الدخول فى عملية الإنتاج حدث نوع من الحيرة والبلبلة !

كيف نتقدم بالمجتمع ، كيف نحقق التغيير ، وهنا بدأ يظهر الصراع الطبقى فى المجتمع ، طبقة البورجوازية الصغيرة المتمثلة فى « الضباط الأحرار » وصلت للسلطة ولكنها عاجزة عن القبض على السلطة ، لأن القبضة الحقيقية للسلطة كانت فى أيدى الرأسماليين أى الطبقة القديمة أى أنهم كقادة كانوا يحاربون بجنود الأعداء ، فكانت النتيجة أنهم كلما وجدوا الفرصة سانحة للاستيلاء على شىء استولوا عليه .

أيضاً بالنسبة للصحافة والصحفيين فقد كانوا يعبرون عن طبقات وانتماءات مختلفة ، ورأوا من الثورة خلال السنوات ١٩٥٢ إلى ١٩٦٠ مواقف عديدة متباينة أرضت البعض ولم ترض الآخرين ، مواقف ضد الديمقراطية ومواقف معها ، مواقف ضد الاستعمار والأحلاف العسكرية ، مواقف مع العمال والفلاحين ، ومواقف مع الوحدة العربية .

كانت هناك مواقف كثيرة أصبحت تلزم كل إنسان أن يبدى رأيه ، يحدد موقفه ، فكان لابد أن تضع الثورة يدها على الصحافة !

● ألم تكن المسألة إذن مزاجاً شخصيا لجمال عبد الناصر ؟!

قال : لابد أن يكون لجمال عبد الناصر مزاج شخصى باعتباره قائداً له مطلق الصلاحيات ، ولا نستطع أن نقول إنه حتى أعوام الستينيات كانت هناك ديمقراطية

تناقش القائد فى قراراته ولا حتى مؤسسات تقول له : أخطأت فى هذا .. كان الاندفاع الثورى مستمراً .. وكان عبد الناصر هو الحاكم المطلق .. وعندما تم تأميم الصحافة عام ١٩٦٠ كان لعبد الناصر كلمته المأثورة : أنا عاوز الصحافة تتكلم عن كفر البطيخ وليس سكان القصور والفيلل !!

وهذا معناه أن عينيه كانت على الفقراء والمساكين من أبناء شعبه .

ومن ناحية أخرى فليس هناك شك أنه وجد فى زمن الصحافة نقداً يتعبه فكان أقصر الطرق عنده هو « تأميم الصحافة » !

● ورأيك أنت الشخصى فى تأميم الصحافة المصرية ؟

عندما نؤمم الصحافة .. تؤمم الحرية .. وأنا لا يمكن أن أكون ضد حرية الصحافة ، وطالما أنا متخذ موقفاً وطنياً سليماً والسلطة فى يدى فليس هناك خوف من شىء .

ادخلت ثورة ٢٣ يوليو مبدءاً جديداً فى الصحافة المصرية لم يكن موجوداً قبل ذلك وهو مبدأ تعيين رئيس التحرير باعتبار أن الاتحاد الاشتراكى (وقبلها القومى) كان هو المالك الوحيد للصحافة .. فما رؤيتك أنت فى هذا المبدأ ؟!

قال الأستاذ أحمد حمروش : فى كافة الأحوال أريد أن أقول إن مالك الجريدة هو الذى يقوم بتعيين رئيس التحرير ، وأمامنا قضية « رفت » رئيس تحرير « التايمز » فعندما قرر مالك الجريدة الاستغناء عن خدماته قام « برفته » ففى المجتمع الرأسمالى مالك الجريدة يستطيع أن يفصل رئيس التحرير ، وفى المجتمع الاشتراكى فإن الدولة ممثلة فى الحزب وهى التى تعين رئيس التحرير وهى التى تفصله أيضا !

أما فى مصر فإذا كان الاتحاد الاشتراكى هو الذى يملك الصحف فهو الذى يعين رئيس التحرير ، الآن أصبح مجلس الشورى وإذا كانت قضية الموهبة الصحفية رئيسية جداً فى نجاح الصحافة ؛ فإن المسئولية الوطنية والاجتماعية أيضا ضرورية وخصوصاً فى مراحل التحول الاجتماعى وأنا لا أتصور أن مصر خلال أكثر من ٣٠ سنة (هى عمر ثورتها) قد انتهت من مرحلة التحول الاجتماعى ، بل إنها ستظل كذلك لفترة طويلة إلى أن يستقر المجتمع ويصبح له قيم وتقاليد وسمات واضحة .

● شهادتك على الصحافة المصرية فى فترة تولى الرئيس الراحل أنور السادات لحكم مصر ؟!

- شهادتى وللأمانة أنه حدثت أخطاء فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر هى التى أدت إلى السيئات والسلبيات التى حدثت فى عصر أنور السادات ، وبالنسبة للصحافة على وجه التحديد أقول إننى كاتحاد اشتراكى أو حزب فإننى أتحمل مسئولية التحول

الاجتماعى فى البلد ، وكان هذا يستلزم منى حسن اختيار العناصر التى تقود الصحافة وأن أكتشف من هم الصحفيون الذين سيلعبون دوراً انتهازياً حتى لو كانوا موهوبين وأحَجِّمهم لأننى أستشعر الخطر من ناحيتهم ، لأنهم ثورة مضادة ناشئة تحت عباءة الثورة وبألفاظ المديح التى يستطيعوها أكثر من أصحاب المبدأ ، لأن أبناء الثورة ليس عملهم المديح إنما النقد ، وفى كل مكان تجده ينتقد .

وحتى أيام جمال عبد الناصر كانت هناك عناصر غير معبرة عن الفكر الاشتراكى فعلا .. وقد قال الميثاق إننا فى مرحلة تحول اشتراكى فى نفس الوقت كان الاشتراكيون يملأون السجون والمعتقلات ، وحتى عندما خرجوا من السجون ـ وهم رصيد الثورة الحقيقى فى عملية التحول الاجتماعى ـ لم يمنحوا الفرصة الحقيقية كى يتولوا المسئولية الرئيسية الأولى المعبرة عن هذا التحول الاجتماعى .

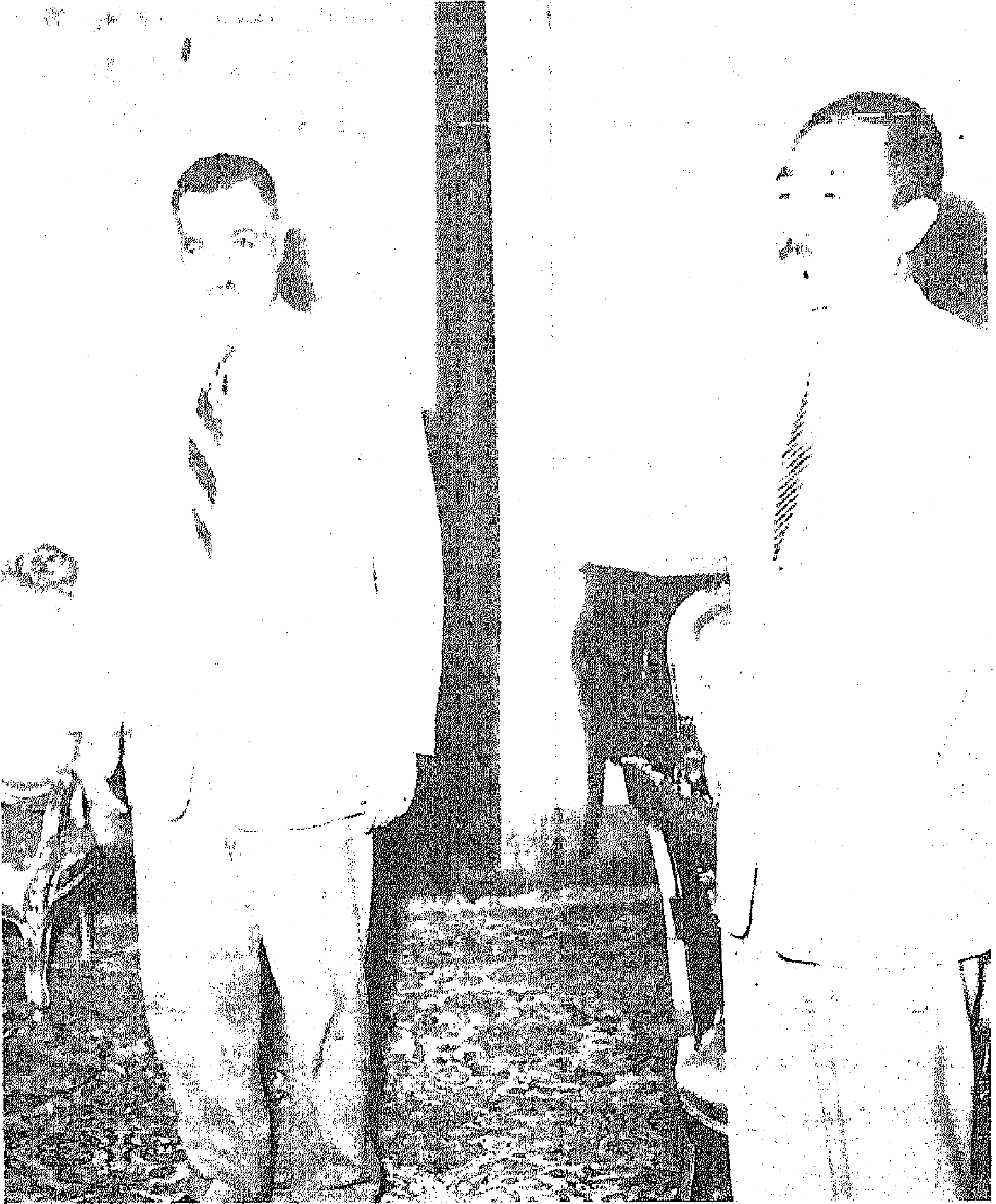
وإذا تعرضنا لمسألة نقل الصحفيين إلى مؤسسات غير صحفية ، وقد حدث ذلك أيام جمال عبد الناصر : فأنا ضد هذه المسألة ، ليس لأننى اتخذ موقفا ليبرالياً مطلقاً ١٠٠٪ وإنما لأن عدداً من الأسماء التى نقلت إلى باتا والمصانع الأخرى كانت أكثر إخلاصاً للثورة من بعض العناصر التى بقيت ..

إذن لم تكن هناك مقاييس دقيقة لهذه العملية !!

● ألم تكن النظرية السائدة وقتها أهل الثقة لا أهل الخبرة ؟!

قاطعنى الأستاذ أحمد حمروش : إذا سمحت لى فهذه موازنة خاطئة ، لأن أهل الكفاءة إذا تمت الثقة فيهم فلن توجد مشكلة ، إن أهل الثقة كى يتحولوا إلى أكفاء فهذا يحتاج إلى وقت وطبعا مفيش شك أن أهل الثقة شىء رئيسى ، لكن عندما تأتى بإنسان لا يعرف شيئاً .. وليس كفأً وأقول إنه كويس لأنى أثق فيه فقط فهى تجربة خطيرة ، ممكن ينجح ، وهناك حالات شاذة للنجاح ! وأنا أدعى أننى عندما دخلت المسرح كنت من الممكن ممن يقال عنهم أهل الثقة ، ولكن ما حدث إننى أحسست بمسئولية المسرح الملقاة على عاتقى ، وأننى لابد أن أؤدى دوراً لخدمة المسرح المصرى ، فكنت أقرأ وأدرس وأتابع وأناقش وأحلل ، واستطعت أن أقدم مايرضينى للمسرح ، والحكم فى هذا للنقاد بالطبع ! ولكن هذا ليس تعميماً !!

هذه بعض الأخطاء التى حدثت أيام جمال عبد الناصر ثم إنسحبت لما بعد عبد الناصر وأصبحت هى القاعدة ، ومع الاتجاه الجديد لحكم السادات ـ والذى اعتبره أنا شخصياً ـ رده عن أهداف واتجاهات وانتماءات ثورة يوليو حدث نوع من التغيير والامتداد وما كان يحدث فى صورة صغيرة أيام جمال عبد الناصر حدث فى صورة كبيرة بعده .. فقد حدث فى عام ١٩٧٢ أن نقلت هيئة النظام ١٠٤ صحفيين إلى



○ عبد الناصر والسادات !

الاستعلامات .. وعندما كان الكاتب مؤمناً بالفترة التى عاشها ويحترم ذاته وإرادته كانت النتيجة أن خرج من الصحافة المصرية أسماء مثل محمد حسنين هيكل ، أحمد بهاء الدين ، أحمد حمروش ، إحسان عبد القدوس ، عبد الرحمن الشرقاوى ، أى أن الذين كانوا يتولون مركز المسئولية أصبحوا بعيدين عن مركز المسئولية ، فإذا كان فى أيام جمال عبد الناصر يذهب عشرة أو عشرون صحفياً إلى الشركات .. أصبحوا ١٠٤ وانتهى الأمر إلى كارثة ٥ سبتمبر ١٩٨١ .

● وعلاقتك بالرئيس الراحل السادات كيف بدأت ؟

ـ قال أحمد حمروش وهو يحاول استرجاع شريط ذكرياته :

ـ علاقتى بأنور السادات كانت موجودة قبل وفاة جمال عبد الناصر .. وبعد وفاة عبد الناصر بدأت العلاقة معه بطريقة درامية جداً .. والذى حدث أننى فى ذات ليلة من عام ١٩٧١ فوجئت بانقلاب عسكرى حدث فى السودان يقوده « هاشم العطا » ضد الرئيس جعفر نميرى كان ذلك فى ١٩ يوليو ١٩٧١ ، وقد كانت لى صلة وثيقة بشئون السودان منذ أن أوفدنى عبد الناصر . مندوباً عنه مرتين قبل ذلك بسنوات .

المهم أننى طلبت مكتب الرئيس السادات ، وعندما عدت لمنزلى فوجئت أن الرئيس السادات يكلمنى الساعة الثانية عشرة مساء ويقول لى : أخبارك إيه عن هاشم العطا وما يحدث فى السودان .. ولأنى أعرف هاشم العطا وكانت لى به علاقة صداقة وكان يزورنى مرات فى مكتبى بروزاليوسف ونتحدث بالساعات عن دور الضباط والقوات المسلحة فى الانقلابات العسكرية فى دول العالم الثالث ، فقد قلت للرئيس السادات : أؤكد لك ياسيادة الرئيس أن هاشم العطا من أكثر الناس حباً وتقديراً لمصر وشعب مصر وقيادة مصر .

وطلب منى السادات أن أسافر فى ذات الليلة إلى الخرطوم (عاصمة السودان) دون أى توجيه أو حديث حول ما الذى يجب أن افعله بالضبط ؟ ولكنه أضاف : إن السوريين والليبيين متخوفون مما حدث فى السودان بعد إذاعة البيان الأول ، وسافرت للسودان مستهدفاً إقامة جسر من الصداقة بين القاهرة والخرطوم ، وعندما عدت كتبت ما طلبه منى هاشم العطا كى أبلغه للرئيس السادات ، وقابلت السادات ، وتبين لى أنى بمجرد أن سافرت بدأت عملية تدبير مضاد للحركة العسكرية اشترك فيها الليبيون والفريق أحمد صادق وعدد من المخابرات البريطانية ، وحدث الانقضاض على الحركة العسكرية .

وبعد أسبوع طلبنى الرئيس السادات وقال لى : أنا كنت سوف أعينك فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى لولا التقرير الذى كتبته عن السودان ! فقلت له : تقرير إيه .. أنا لم أكتب تقارير .. ولكنى قلت لك إن السودانيين يطلبون كذا وكذا .. وطلبت منك أنك يوم ٢٣ يوليو تحييهم فى خطابك .

وجلسنا نتناقش حوالى ٣ ساعات وأخيراً قال لى السادات : أنت تعبتنى ياحمروش وكررها ثلاث مرات .

وكان ذلك اللقاء الأخير !



٥ د . محسن عبد الخالق

الثورة .. والصحافة .. سنوات القلق !!

قبل السابعة صباحاً كان جمال عبد الناصر يستيقظ !

ومع كوب من الشاى يشربه بحبوب « السكارين » كانت تدخل له الطبعات الثلاث من صحف القاهرة ، كان يقرأ الصحف جميعاً ، أخبارها ، مقالاتها ، وتعليقاتها وكان يقارن بين الطبعات المختلفة من كل صحيفة ، وكثيراً ما كانت له ملاحظات عليها .

أحيانا كان يطلب إعادة نشر خبر صدر فى الطبعتين الثانية والثالثة من صحيفة ولم يظهر فى طبعتها الأولى ؛ فيطلب إعادة نشره فى الطبعة الأولى اليوم التالى ليطلع عليه قراء الصعيد الذين تصلهم الطبعة الأولى من الصحف والذين فاتتهم قراءة الخبر فى اليوم السابق .

السطور السابقة أنقلها عن مقال كتبه « حاتم صادق » زوج ابنة جمال عبد الناصر ، وكان عنوان المقال « عبد الناصر .. كيف كان يعمل ؟ » ، وربما كانت السطور السابقة مدخلا مناسباً لمناقشة علاقة عبد الناصر بالصحافة ! قارئاً وحاكماً وزعيماً !!

د . محسن عبد الخالق واحد من الضباط الأحرار الذين غيروا تاريخ مصر السياسى والاجتماعى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وهو المتهم الأساسى فى قضية انقلاب المدفعية عام ١٩٥٣ ، وتعود علاقته بعبد الناصر إلى حرب ١٩٤٨ ، وكان فى مكانة المستشار السياسى لعبد الناصر والمسئول عن تصريف أمور مكتبه ، ثم انه تولى مسئولية الإدارة والإشراف على « دار التحرير » طوال أربع سنوات ونصف ، اتيح له فيها أن يشاهد ويسمع ما كان يدور فى كواليس السلطة ودهاليز الصحافة .

● قلت للدكتور محسن عبد الخالق : فى بداية الثورة ـ أخذت الصحف تنشر قصصاً وروايات عن فضائح الملك فاروق ، وكان الأستاذ مصطفى أمين أحد الذين نشروا هذه الفضائح مسلسلة فى جريدتى الأخبار وأخبار اليوم ، وقد روى مصطفى أمين [فى كتابه لكل مقال أزمة] أن عبد الناصر اتصل به وطلب منه نشر هذه السلسلة ، ثم طلبه ثانية وقال له أن يكتب قصة الثورة ، وأملاه أسماء التسعة الذين يتألف منهم مجلس قيادة الثورة ، وروى له تفاصيل الثورة وأسرارها ، وأخبره أن البكباشى أنور السادات سيجتمع به فى بيته بمنيل الروضة ليراجع كل مقال قبل نشره ، وراجع السادات المقال ، ثم قرأته ـ أى مصطفى أمين ـ على جمال عبد الناصر فى التليفون فوافق عليه بعد أن عدل فيه ثلاث كلمات ونشرت صورة جمال عبد الناصر فى الصفحة الأولى ، ونشرت باقى صور مجلس الثورة الثمانية فى صفحة داخلية مع بقية المقال ، وكان الأعضاء هم : جمال سالم ، أنور السادات ، عبد اللطيف البغدادى ، كمال

الدين حسين ، حسن إبراهيم ، صلاح سالم ، عبدالحكيم عامر ، خالد محيي الدين .

وما كادت المقالة تنشر حتى قامت قيامة عدد كبير من الضباط الأحرار ! فقد كان كل واحد منهم يتصور أنه عضو فى مجلس الثورة ! ولم يكن جمال عبد الناصر قد أبلغهم بأسماء أعضاء مجلس الثورة ، واتصل بى جمال عبد الناصر تليفونياً ـ مازال الكلام على لسان مصطفى أمين ـ وقال لى إنه أصدر أمره بالتحقيق معى لأنى تسببت بما نشرته فى وقوع فتنة بالقوات المسلحة .

● وعدت أسأل د . محسن عبد الخالق : لماذا أثار هذا المقال كل هذا الغضب والاستياء بين صفوف الضباط الأحرار ؟! وهل كان كل واحد منكم ـ من الضباط الأحرار ـ يتصور أنه فى مجلس الثورة ؟!!

قال د . محسن عبد الخالق : دعنى أؤكد لك أن الضباط الأحرار لم يكونوا بمثل هذه الدرجة من الهيافة أو السطحية التى حاول الكثيرون تصويرنا بها ، بل كان الضباط الأحرار من خيرة شباب مصر وكانوا على درجة عالية من الثقافة والعلم ، وعندما قرأنا مقال الأستاذ مصطفى أمين « سر الضباط التسعة » غضبنا غضباً شديداً وثرنا ثورة عارمة ليس لأن كلا منا كان يتصور أنه عضو مجلس ثورة ، أو أن عبد الناصر لم يكن قد أبلغنا بأسماء أعضاء المجلس .. هذا كله غير صحيح بالمرة ، فقد قمنا بالثورة لتحقيق مبادىء وأهداف عظيمة وليس لتلميع أسمائنا ونشر صورنا فى الصحف ، كما أن الحكم لم يكن هدفنا من الثورة ، بل كان الهدف ترسيخ هذه المبادىء التى ثرنا من أجلها من خلال الحوار السياسى الهادىء بين مختلف القوى السياسية ، كما سبق أن أوضحت لك .

فلما قرأنا هذا المقال اجتمع ضباط المدفعية فى منزلى ، وحضر الاجتماع أحمد كامل ، فتح الله رفعت ، على فوزى يونس ، كمال لطفى ، على شريف وغيرهم ، واستدعينا جمال عبد الناصر فى تلك الليلة ، واستمر اجتماعنا به أكثر من أربع ساعات وحاسبناه حساباً عسيراً على ذلك المقال ، ليس لأنه لم يبلغنا بأسماء مجلس الثورة كما كتب مصطفى أمين ، ولكن لأن الحقيقة غير ذلك كما نعلمها ، وما نشر كان خروجاً على رومانسية الثورة .

وبعد مناقشة عاصفة مع جمال عبد الناصر قال لى : أنا لم أقل شيئاً لمصطفى أمين ، كما أن المقال كله من تأليفه !

وذهبت لمصطفى أمين أستوضحه الأمر وهددته ؛ فأقسم لى هو أيضا أن جمال عبد الناصر هو صاحب فكرة هذا المقال وهو الذى أملاه كل المعلومات !

ابتسم د . محسن عبد الخالق وقال : إذن تصدق من ؟ وتكذب من ؟ ومرت

العاصفة بسلام لسبب بسيط هو أننا لا نريد إحداث شقائق أو انقلاب رغم أننا ـ كمدفعية وكضباط أحرار ـ كنا فى مركز القوة الحقيقية . وكان أملنا فى عملية الحوار السياسى يجعلنا نتغاضى عن أشياء كثيرة فى ذلك الوقت .

وعلى فكرة لم يكن هناك مجلس بهذه الصورة قبل الثورة ، ولكن كان المتفق عليه عموماً أن المجموعات المتقاربة فى الرتب والميول تجتمع مع بعضها .

● قلت للدكتور محسن عبد الخالق : كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل يقول : ما بين ١٨ يوليو ١٩٥٢ إلى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ كنت قريباً من جمال عبد الناصر ، وكانت بيننا صداقة وثقة ، وهى فترة كان لى فيها الحظ والشرف بملازمة جمال عبد الناصر ، والحياة بالقرب منه ومتابعته على المسرح ووراء كواليسه بغير انقطاع ، وكانت العلاقة من نوع متميز بين شخص يقود ، وشخص إلى جانبه يتكلم أو يفكر .

ووجدتنى أسأل د . محسن عبد الخالق : هل سطور هيكل السابقة تكفى وحدها تفسيراً لظاهرة هيكل فى الحياة الصحفية والسياسية المصرية منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى الحد الذى جعله فى نظر البعض « صحفى العصر » .

قال د . محسن عبد الخالق : هناك بدهية بسيطة للغاية فى الدبلوماسية وعند المشتغل بالشئون السياسية وهى أن الصحافة مكملة للدبلوماسية وللسياسة الخارجية والدولية والسياسة الداخلية أيضاً ، وهو ما عبر عنه الأستاذ هيكل .. « بالهدف » وليست بدعة على الإطلاق أن يكون للرئيس أو للزعيم صحفى يساعده على تحقيق الهدف بالتعبير الواعى وبالكلمة المؤثرة ، والزعيم والقائد مهما بلغ شأنه فهو يحتاج لصداقة الصحفى ولكسب الصحافة إلى جانبه ، يغذيها وتغذيه .. فالزعيم هنا ودائما يؤثر ويتأثر .

إذن فليس بدعة أن يكون جمال عبد الناصر على صلة بأحد كبار الصحفيين وهو الأستاذ « هيكل » كما ليس غريباً أو بدعة أن يكون نجم كبير من نجوم الصحافة على صلة بالزعيم ، وفى يقينى انه لابد أن تكون هناك مقاييس لاختياره هيكل ، منها مثلا التطابق والتقارب الفكرى .

وأنا من الذين سألوا جمال عبد الناصر فى بدايات الثورة سؤالا محدداً : لماذا جعلت هيكل قريباً منك إلى هذا الحد ؟ وقال لى عبد الناصر وقتها : أنت تعلم أننى لم أكن أعرف هيكل معرفة وثيقة ، بل كانت معرفتى وعلاقتى الوثيقة هى بالآخرين ، ولكن « هيكل » هو الوحيد الذى فهمنى وفهم ما يدور فى عقلى قبل أن أترجم فكرى إلى كلمات .. وأذكر نص عبارة عبد الناصر الحرفية لى وهى : أنه ببساطة يجلس فى رأسى !

يضيف د . محسن عبد الخالق : وفى نفس الوقت ـ بدايات الثورة ـ الذى كان فيه كل الصحفيين فى مصر يهتمون بأخبار وتصريحات ومقابلات محمد نجيب ، كان هيكل قد ركز اهتمامه على عبد الناصر ، ولم يكن عبد الناصر قد عرفه الناس بعد ، سواء بوصفه رئيسا لمجلس قيادة الثورة أو القائد الحقيقى لثورة ٢٣ يوليو ، وأذكر فى تلك الأيام أن عبد الناصر أبلغنى أن هيكل ـ وكان هيكل رئيساً لتحرير مجلة آخر ساعة ـ كان يجلس فى المكتب الملحق لمكتب جمال عبد الناصر صباحاً وظهراً ومساءً مما ضايق عبد الناصر من هذا الإلحاح ـ لازال الكلام على لسان عبد الناصر ـ وذات يوم اتجه عبد الناصر مباشرة إلى هيكل وسأله عما يريد ؟!!

وأجاب هيكل بكل الثقة والكياسة : مجرد حديث معك !

ووافق عبد الناصر وقال لهيكل : إذن تعال معى : وذهب هيكل معه إلى منزله ، وبعد دردشة وحوار انصرف هيكل من عند عبد الناصر ، وفى المساء وعند عودة عبد الناصر إلى مكتبه كان هيكل يستأذن عبد الناصر فى أن يقرأ الحوار الذى كتبه عقب مقابلته له ، وقرأ عبد الناصر ما كتبه هيكل ، وكان تعليق عبد الناصر لى بعد ذلك : هيكل استطاع أن يقرأ ـ حتى ـ أفكارى التى كنت أتمنى أن أبوح بها .

ومن يومها فقد صار هيكل قريبا من جمال عبد الناصر ، وكما قلت فإن اختيار عبد الناصر لهيكل لم يأت بشكل عفوى ، إلا أن السؤال الذى ينبغى طرحه هو : هل كان هيكل مؤمناً بفكر جمال عبد الناصر ؟! أنا أقول نعم كان هيكل منبهراً بشخص جمال عبد الناصر كزعيم وكان مؤمناً بفكره .

● قلت للدكتور محسن عبد الخالق : فى تلك الأيام من عام ١٩٥٣ صدر كتاب « فلسفة الثورة » لجمال عبد الناصر ، ونحن نعلم الآن أن هذا الكتيب « ٦٨ صفحة » أفكار عبد الناصر وصياغة هيكل .

قال : جمال عبد الناصر لم يكتب « فلسفة الثورة » وليس هذا عيباً أو خطأ ، لأن الرئيس أو الزعيم أو القائد ليس كاتباً موهوباً أو متفرغاً ، فهو مسئول عن مشاكل وإدارة دولة بأسرها وبالتالى فليس عنده الوقت الكافى أو التركيز الفكرى ليؤلف الكتب ، ولذلك وكما قلت ـ فمن الضرورى أن يكون بجواره كاتب صحفى يرتاح إليه ويتجاوب مع أفكاره التى يود طرحها .

وبالنسبة لجمال عبد الناصر على وجه التحديد فقد كان يمتلك أسلوباً وذهناً ومنطقاً مرتباً وبشكل ملفت ، وعندما كان يكتب تأشيراته أو ملاحظاته على المكاتبات أو الملفات التى تعرض عليه ، تأتى التأشيرة بالفعل معبرة عن كل ذلك وعن أسلوبه الرصين ، كما كان قارئا ممتازاً ولديه القدرة على هضم وامتصاص ما يقرأ ، وكنا نعرف عنه قبل

الثورة أنه شغوف بالقراءة الجادة الرصينة .

وبالنسبة لفلسفة الثورة فإن تصورى أن جمال عبد الناصر كتب حوالى أربع او خمس ورقات ضمنها أفكاره وفلسفته وتصوراته ، ثم قام هيكل بصياغة هذه الأفكار والتصورات التى صدرت بعنوان « فلسفة الثورة » .

وبالمناسبة فقد كنت مدعواً عند الأستاذ هيكل فى عزبته ببرقاش فى الستينيات - هى واحدة من بين أبرز امزجته الاجتماعية - وقلت له بشكل عفوى تماماً : لِمَ كتبت فلسفة الثورة ؟!

وأذكر أن هيكل يومها ابتسم وسكت !!

على أى حال ليس بدعة أن يكون للرئيس أو الزعيم كاتب أو صحفى ، فقد كان لتشرشل - وهو أديب كبير - من يكتب له ، وديجول أيضاً - وهو كاتب فحل - بجواره المثقف الكبير ووزير الثقافة أندريه موروا ، وميتران بجواره الكاتب الصحفى .. « أيريك روفر » إذن البدعة هى ألا يكون للحاكم أو الزعيم كاتب يعبر عن فكره وآرائه ، فالصحافة مكملة للسياسة وكما سبق أن قلت لك إن الأستاذ هيكل استطاع أن يعبر عن فكر عبد الناصر بعمق وحيوية وبغض النظر عما إذا كان مؤمنا بهذا الفكر.

وليس صدفة أن يوحى جمال عبد الناصر إلى أصحاب جريدة الأهرام فى ١٩٥٧ - أقول يوحى برضاه - لو أن هيكل يصبح مسئولا عن الأهرام ، وكان عبد الناصر رحمه الله زعيما من زعماء الإيحاء ! وبذهاب هيكل إلى الأهرام فى أغسطس ١٩٥٧ لم يعد عبد الناصر فى حاجة إلى شراء الأهرام كما كان مطروحاً فى ذلك الوقت .

ويهمنى هنا أن أقول إن هيكل لم يكن إلا رجلا محترماً وغير مسف أو مهاتر ، وكان أمينا على ما يقوله عبد الناصر ، بل وتصورى أنه من أكثر الناس فهما لفكره إن لم يكن أكثرهم ، وكان يعرف حدوده ، ولمْ يتجاوز أبداً أدب الحوار مع عبد الناصر كزعيم وكصديق ، وما يقال ويشاع أنه كان الصحفى الأوحد والأول ، وأنه حجب الشمس عن الآخرين فهو كلام غير صحيح ، ولا أجد لهذه الاتهامات من سند إلا كونها مهاترات ومنافسات ، فعبد الناصر نفسه هو الذى اختار هيكل ولم يكن باستطاعة هيكل أن يفرض نفسه على عبد الناصر ، اللهم إلا إذا كان عبد الناصر مقتنعاً تماماً به ، وإذا كنا نختلف مع هيكل حول بعض آرائه فلابد أن يكون الخلاف موضوعياً ، ولا يجب أن يخرج عن إطاره الموضوعى .

وفى النهاية أقول لك إن هيكل يوم أن قامت الثورة فى عام ١٩٥٢ لم يكن صحفياً صغيراً أو ناشئاً بل كان يشغل منصب رئاسة تحرير آخر ساعة ، وكنا كشبان نقرأ له

مقالات ممتعة عن أزمة إيران وحرب كوريا ، كما كتب عدة تحقيقات عن حرب فلسطين ، وأذكر مرة أنه كتب فى آخر ساعة عن الفرق بين اللواء المواوى ومونتجمرى [المواوى كان قائد الجيش المصرى فى حرب فلسطين] وأحدثت هذه المقارنة تأثيرها ، فتصور المواوى فعلا أنه مونتجمرى ، وبدأ يتعامل معنا نحن الضباط على هذا الأساس .

● قلت للدكتور محسن عبد الخالق : فى مذكرات عبد اللطيف البغدادى أذكر أنه قال : علمت من جمال عبد الناصر أنه قد تكلم مع محمد حسنين هيكل وأحمد أبو الفتح وطلب منهما عدم نشر أحاديث وصور محمد نجيب إلا فى الحدود الضيقة جداً ، وأن أنور السادات لمح إلى أحمد الصاوى محمد بجريدة الأهرام ـ رئيس التحرير وقتها ـ لاتخاذ نفس الاتجاه ، وأن هيكل قام بدوره بإبلاغ ذلك لمصطفى وعلى أمين ، ما تعليقك على ما رواه البغدادى فى مذكراته ؟!

قال د . محسن عبد الخالق : ما تسبه عبد اللطيف البغدادى إلى جمال عبد الناصر فى مذكراته كان جزءاً من الصراع السياسى الذى كان يخوضه عبد الناصر ـ وبهدوئه المعروف ـ فى ذلك الوقت ضد الرئيس محمد نجيب ، وليس مستبعداً على جمال عبد الناصر أن يفعل ذلك ، ويبدو أن هذا ليس مستغربا فى عالم السياسة ، لأن سعد زغلول فعل شيئا مشابهاً لذلك عندما كان الوفد المصرى فى لندن يتفاوض مع الإنجليز ، وفشلت المفاوضات ، وبقى سعد زغلول فى لندن ، بينما عاد إلى مصر عدد من الأعضاء « عبداللطيف المكباتى وغيره » وأرسل سعد من لندن ببرقيته الشهيرة والتى تسببت فى حدوث أول انشقاق فى الوفد وصراع الزعامة !

وكذلك عندما سافر النقراشى باشا إلى مجلس الأمن ليعرض قضية مصر هناك ، وأَحَس مصطفى النحاس باشا بأن النقراشى قد استحوذ على الانتباه الداخلى والخارجى ، فأرسل النحاس برقيته الشهيرة إلى مجلس الأمن والتى يقول فيها : النقراشى لا يمثل مصر !!

وأريد أن أقول للأخ عبد اللطيف البغدادى وهو من خيرة الناس أنه هو شخصيا تعرض لمثل ذلك الموقف عندما كان يشغل منصب وزير الشئون البلدية والقروية ، وكان وزيراً ناجحاً للغاية وتم خلال عهده إنشاء كورنيش النيل وكان إنجازاً كبيراً تتحدث عنه مصر كلها ، وجاءتنى توصية من جمال عبد الناصر شخصياً بأن نخفف ونقلل من نشر أخبار وصور عبد اللطيف البغدادى التى كانت تملأ الصحف فى ذلك الوقت .

وكما قلت لك يبدو أن هذا جزء من « تركيبة » الزعامات وطبيعتها !!

● قلت له : ربما كان الرئيس الراحل أنور السادات هو الوحيد بين أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى مارس الصحافة كمهنة ، فقبل الثورة عمل فى دار الهلال وروز اليوسف ونشر مذكراته فى المصور ، وبعد الثورة كان يكتب فى الجمهورية مقالات يومية وأسبوعية جمعها بعد ذلك فى كتب عديدة منها « قصة الثورة كاملة » و « يا ولدى هذا عمك جمال » .. الخ .. فهل كانت هذه المقالات بالفعل يكتبها أنور السادات أم كان هناك من يكتب له كما يذهب هيكل فى « خريف الغضب » وحلمى سلام فى مذكراته التى نشرتها صباح الخير ؟!

قال د . محسن عبد الخالق : ما شاهدته هو أن أنور السادات كان يكتب مقالاته بنفسه ، وكانت مقالاته هى مشكلة المشاكل بالنسبة لجريدة الجمهورية ، فقد كان طبع الجريدة يتأخر دائما بسببها ، فقد كان السادات كثيراً ما يصل إلى مكتبه فى دار التحرير متأخراً ، ثم يبدأ فى كتابة المقال بعد انصراف الناس من عنده ، وكانت سكرتارية تحرير الجمهورية تعين له ما يشبه الحارس ويستلم مقاله ويذهب به إلى قسم الجمع مباشرة ، وكنت أرى بنفسى مقالاته بخط يده ، كما كتبها ، هذه كانت شكوى المطبعة من جراء تأخر السادات فى كتابة مقالاته .

فإذا ظهر بعد ذلك أن هناك من كان يكتب له مقالاته .. فالأمر إذن يحتاج من هؤلاء إلى توضيح أكثر بأدلة لا تقبل الشك ..

● قلت له :حاول أن ترسم صورة بالألوان والظلال لعلاقة الثورة بالصحافة !

قال د . محسن عبد الخالق : عندما قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، أيدتها الصحافة ورحبت بها ، بل نستطيع أن نقول - دون مبالغة - إن الصحافة المصرية قد وقفت إلى جانب الثورة بالكامل ! إلا أنه وفجاة وبسرعة بدأ الأستاذ « أحمد أبو الفتح » رئيس تحرير جريدة المصرى يكتب مقالات حادة الكلمات فى التعبير عن وجهة نظره ، كما تبنى وجهة نظر الوفد بالكامل تقريباً ، ومن هنا كان موقفه من قانون الإصلاح الزراعى ، ودعوته إلى عودة الثورة إلى ثكناتها وتسليم الحكم للمدنيين ، وبالطبع كان يقصد حزب الوفد !

ولقد كان أبو الفتح فى ذلك كله متجاهلا لمنطق العصر ، بل متناقضاً مع نفسه ومع ما كان يكتبه قبل الثورة ، وبالتحديد خلال العامين الأخيرين قبل قيامها ، وهى فترة حكم حزب الوفد نفسه طوال ١٩٥٠ - ١٩٥٢ ، بل فى أوساطنا نحن الضباط الأحرار كان أحمد أبو الفتح وإحسان عبد القدوس وفتحى رضوان وغيرهم يحتلون قمة تقديرنا واحترامنا ، لذلك كان غريباً جداً بالنسبة لنا أن يقف أحمد أبو الفتح هذا الموقف متجاهلا أن هناك مبادىء لثورة يوليو قد أعلنوها وأنه يجب على الأقل

الاطمئنان إلى أن هناك أيدى أمينة ستتولى حماية وتنفيذ هذه المبادىء ليست فقط بالكلمة والمناورة السياسية ، ولكن بالإيمان بموضوعيتها ومحتواها .

ولقد قيل لأحمد أبو الفتح إن الثورة ليست شاغلها الأكبر أن يأتى الوفد إلى الحكم كما أنها لم تقم لهدم الملكية ـ وهو لفظ استخدمه الكتاب فى ذلك الوقت ـ والذى لا يخفى حنينه إلى عودة الملكية .

باختصار شديد أريد أن أقول إن عبد الناصر فى ذلك الوقت المبكر تنبه إلى ضرورة إنشاء جريدة تعبر عن فكر ثورة يوليو ، فأسس جريدة الجمهورية لتقف أمام « المصرى » الكلمة بالكلمة والفكرة بالفكرة .. والمقالة بالمقالة .. والرأى بالرأى ، ولكن للأسف عندما عرضت رئاسة تحريرها على من رشحوا لها اعتذروا جميعاً ، وأخيراً قبل رئاسة تحريرها الأستاذ حسين فهمى .

فما معنى هذا الاعتذار ؟ هذا السؤال كان يتردد كثيراً فى ذهن جمال عبد الناصر ، بل إن إجابته كانت أيضاً تتردد فى فكره وعقله ، وهى أن هذا الاعتذار أو الرفض منهم كان إما لعدم الاطمئنان لمستقبل الثورة ، وبالتالى كان من الأفضل عدم الالتصاق بها أو عدم الإيمان أصلاً بها !!

وإيمانى الشخصى أن جمال عبد الناصر بطبيعة شخصيته بدأ من يومها يفكر فى موقف الصحافة منه ، وتأتى أزمة مارس ١٩٥٤ الشهيرة ، وتدخل « المصرى » معركة شرسة مع ثورة يوليو ، مقالات ملتهبة يكتبها أحمد أبو الفتح .. وتدخل روزاليوسف أيضاً المعركة مع غيرها من الصحف .

● قلت للدكتور محسن عبد الخالق : لن أنكأ الجراح القديمة ، ولكنى أنبش فى بعض الأوراق القديمة وأستعيد معك على الأقل عناوين وبعض سطور مقالات تلك الفترة الملتهبة من تاريخ مصر ، مثلا « صيحة لص » لأحمد أبو الفتح ، « العهد الجديد » للدكتور وحيد رأفت ، « أسطورة الكفاءات فى مصر » للاخوان والشيوعيين ، « الثورة » لخالد محمد خالد .. « الجمعية السرية التى تحكم مصر » لإحسان عبد القدوس .. وماتعيه ذاكرتك عن أحداث تلك الفترة وما تعلق منها بالصحافة .

روى عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته (ص ١٣٠) تعليقاً على هذه القرارات بقوله : ولما كانت الرقابة على الصحف قد رفعت يوم ٦ مارس ١٩٥٤ ، فلقد تقدم جمال عبد الناصر باقتراح وهو أن نعمل على إبلاغ الصحفيين الذين نثق فيهم بمطالب محمد نجيب ، وعليهم أن يقوموا بالتعليق عليها ، ومهاجمته لمدة أسبوع حتى يتبين للرأى العام حقيقة الموقف ، وعلى ضوء نتائج تلك الحملة يمكننا التصرف بعد ذلك ، كما اتفق أيضاً على أن يقوم خالد محيى الدين بإعلان رأيه فى الصحف فى اليوم التالى

وان يهاجم مطالب محمد نجيب ، وعلى أن يقوم أنور السادات كذلك بنشر الحقيقة كاملة فى جريدة الجمهورية ـ التى يرأس تحريرها ـ عن قصة محمد نجيب وكيف اصبح قائداً للثورة والخلافات التى حدثت خلال تلك الفترة .

قال د . محسن عبد الخالق : أفكار كثيرة كانت تدور فى ذهن جمال عبد الناصر ، وكنت وقتها بجواره بعد أن أفرج عنى أول مارس ١٩٥٤ ، وكان عبدالناصر يتساءل ماذا يريدون بعد أن أعلن مجلس الثورة قرارات عودة الديمقراطية فى ٥ مارس ١٩٥٤ ، ومن ضمن هذه القرارات كما تعلم إلغاء الأحكام العرفية وعودة الحياة النيابية وتأليف جمعية تأسيسية تعد الدستور وعودة الجيش لثكناته وإلغاء الرقابة على الصحف .

وفى رأيى الشخصى أن مجلس قيادة الثورة كان يستحيل عليه تماماً الرجوع فى هذه القرارات أو العدول عنها لو أحسنت المعالجة السياسية للموقف برمته فى حينها ، ولكن رغم صدور هذه القرارات كان الهجوم على الثورة مستمراً ، والسخونة السياسية تتصاعد .. والسؤال الحائر يتردد فى عقل عبد الناصر : ما الهدف ؟! وما النية من وراء ما جرى على أرض مصر ؟!

وأدرك عبد الناصر وقتها ، وبات واضحاً أمامه أن اقتلاع الثورة نفسها ومن ثم مبادىء هذه الثورة وقوانينها وعلى رأسها الإصلاح الزراعى هو الهدف والنية المبيتة ! وليس عودة ديمقراطية « الأوليجاركية » أى ديمقراطية القلة التى كانت تسود قبل ١٩٥٢ هذا هو ما ترسب فى ذهن وعقل عبد الناصر !!

وفى هذا الجو الساخن ، والمعرفة الشاملة بكل هذه الظروف والملابسات ، ذهبت إلى أحمد أبو الفتح ـ ضمن كثيرين ذهبوا إليه فى محاولة الحوار الهادىء ـ أقول ذهبت إلى أبو الفتح أرجوه أن يخفف من لهجته الملتهبة ، وأن يخفف من حدة المواجهة ، كى نخلق جواً طيباً للحوار لعودة الديمقراطية ، وقلت له : إن موقفه وكتاباته تضعف من موقف عدد كبير جداً من ثوار يوليو ممن يضغطون وبقوة للإسراع بعودة الديمقراطية .. وبدا لى يومها أنه اقتنع بما أقول ، بل ووعدنى يومها بتفريغ سخونة الكلمة وإطفاء لهيبها والاتجاه بمقالاته ناحية الموضوعية الهادئة !

ولكن للأسف ـ أتت مقالة اليوم التالى ـ صباح ليلة لقائنا ـ بنفس درجة اللهيب والسخونة ، فلما سألت عنه تليفونياً ، فإذا به قد سافر إلى بيروت ، وكانت « سفرته » التى غادر فيها مصر ، وليته تعاون مع الثورة وتحاور معها بهدوء وموضوعية .

إذن دخلت الصحافة عبر أزمة مارس ١٩٥٤ معركة شرسة لتقويض الثورة وبالذات جريدة المصرى ، وهنا تنبه عبد الناصر لدور الصحافة وبدأ يتساءل ، هل

تترك الصحافة هكذا فى أيدى أصحابها يحركون بها القضايا العامة والرأى العام كما يحلو لهم ، بحيث تتفق مع اتجاهاتهم السياسية وتخدم مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية ! ومن هنا ، وتحديداً من أزمة مارس بدأ عبد الناصر يفكر تفكيراً جاداً فى مستقبل الصحافة فى مصر ، ودورها فى تغيير هيكل البناء الاجتماعى ونسيج المجتمع المصرى ، وكذلك سياسات التنمية .

● قلت له : أتذكر أن الأستاذ هيكل روى فى كتابه « بين الصحافة والسياسة » سطوراً يقول فيها : حين فكرت الثورة فى إصدار جريدة تعبر عنها وهى « الجمهورية » طلب إلىّ جمال عبد الناصر أن أتولى الإشراف على إصدارها واعتذرت.وكانت وجهة نظرى : أننى متمسك بأخبار اليوم وعملى فيها وصداقاتى مع أصحابها .. ثم أن الفارق بين الثورة والحكومة ضائع وفى النهاية فليست هناك صحيفة ستصدر عن الثورة وإنما عن الحكومة ، وأنا لا أتصور نفسى فى جريدة حكومية ، وثالثاً فإن الثورة لا تحتاج إلى جريدة تعبر عنها لأن كل صحافة مصر تفعل هذا الشىء .

قال د . محسن عبد الخالق : من البداية كان عبد الناصر متنبهاً تماماً لخطورة الصحافة ودورها السياسى وقوة تأثيرها ! فكان من الطبيعى أن تصدر الثورة الصحف والمجلات الخاصة بها ، فصدرت فى مجلة التحرير ثم جريدة الجمهورية ، وكان جمال عبد الناصر هو صاحب الامتياز ، ولا أذيع سرّاً إذا قلت لك إن عبد الناصر قبل أن يصدر صحيفة الجمهورية اتصل بكل كبار الحصفيين فى مصر عارضاً عليهم رئاسة تحريرها وكلهم رفضوا ولم يوافق سوى الأستاذ حسين فهمى ، ولا تتصور مدى الألم والضيق الذى أحسه عبد الناصر نتيجة هذا الرفض ، إذ تصور أنهم بهذا الرفض يقفون ضده وضد الثورة كما سبق أن قلت لك !

المهم لقد بدا واضحا تماما أن من نتائج أزمة مارس أيضا أن تفكير عبد الناصر اتجه إلى تدعيم صحافة الثورة ، واستقطاب الصحافة الأخرى ، فأسس جريدة الشعب ثم جريدة المساء ولكن ذلك كله فى نظر عبد الناصر لم يكن كافياً ، خصوصاً ، وقد كان يعلم أن صحافة الحكومة أو (فلنقل صحافة السلطة) تعانى ضعفا جذريا وطبيعيا حيث إن مرونتها الفكرية محدودة بطبيعة الحال ، وانعدام النقد فيها مسألة واضحة ، كما أن دفاعها عن السلطة أمر مفروغ منه ، باختصار يمكننا أن نحكم بأن المساحة الفكرية لهذه الصحف الحكومية ضيقة وغير مشبعة لرغبات القارىء وفكره ، ومن هنا مد عبد الناصر بصره إلى الدور الصحفية الأخرى ، وبدأ يفكر فى شراء جريدة الأهرام ، بل دخلنا فى مفاوضات فعلية مع أصحابه ، إلا أن عبد الناصر كان يخشى أن تلقى الأهرام نفس حظ جريدة الجمهورية فى حالة وضع الأهرام تحت

الملكية المباشرة للثورة ، وبرزت فكرة أخرى فى ذهن عبد الناصر وهى أن وجود رئيس تحرير يطمئن إليه عبد الناصر شخصياً فى الأهرام كافٍ جداً ودون الدخول فى المشاكل الإدارية والمالية لدار الأهرام ، وكذلك الخشية من انعكاس ملكية السلطة للأهرام على استقلاليته التى عرف واشتهر بها !!

ومن هنا كان هيكل ـ والذى سبق أن اعترف لى عبد الناصر قائلاً : هيكل ساكن فى رأسى ـ كان هيكل إذن هو الاختيار الذكى جداً لقيادة الأهرام ، فقد استطاع هيكل أن يحافظ على استقلالية الأهرام وكيانه وتواصله التاريخى ، مع نقله نقلاً ليناً وناعماً وكاملاً داخل الإطار الثورى .

● قلت له : ضمن أسلحة الأستاذ أحمد أبو الفتح ضد ثورة ٢٣ يوليو عامة وجمال عبد الناصر ، خاصة ما جرى لصحيفة المصرى ، فهو مثلا فى كتابه « التحدى » الذى صدر عام ١٩٧٨ فى اعقاب عودته من الخارج يقول ص ١٤ : « أوقفت الديكتاتورية إصدار المصرى ولم تكتفِ فى انتقامها عند حد سحب رخصتها بل امتدت شهوة الانتقام تصادر كل ما يملكه صاحب المصرى ، وكانت مصادرة أملاكه التى وصلت إلى شركة الإعلانات التى نقل ملكيتها من انجليز يهود ليجعلها مؤسسة مصرية ، كما امتدت شهوة الانتقام إلى أمواله فى البنوك ، وإلى أثاث شقته ، حتى إلى ملابسه الخاصة » .

دعنى أسألك تفسيرا لقصة الثورة مع المصرى ؟!

قال : عقب خروجى من السجن فى مارس ١٩٥٤ كنت أشرف على دار التحرير وبلا مرتب ، وأَمُرُّ بمرحلة التكيف القانونى أو مرحلة التقنين الوضعى العام أو الوظيفى ، وذات يوم كنت أزور صديقى عبد الحميد سراج الدين ـ رحمه الله ـ وكان يشغل وقتها رئيس مجلس إدارة بنك القاهرة ، وأثناء جلستنا دخل علينا الأمير « عبد المحسن بن عبد العزيز » ـ رحمه الله ـ وتجولنا فى حديثنا يمينا ويسارا ، وبعد فترة من الوقت همس لى بأن لديه حافظة مالية مُدينة للبنك وينصحنى بشرائها ، وسألته عن طبيعة هذه الحافظة ، فقال لى إنها حافظة مُدينة بمبلغ ١٢٥ الف جنيه للبنك ، وأنه اتصل كتابيا بإدارة الأموال المصادرة (عبد الشافى عبد المتعال باشا) التى ردت عليه بالتصرف فى الحافظة وتسديد المديونية ، ونصحنى بشرائها ، بل أبدى استعداد البنك لإعطائى قرض بقيمة الدّين (أى ١٢٥ الف جنيه) وذلك بضمان هذه الحافظة مع الضمان الشخصى له ، أى أن معنى كلامه أن أحل محل المدين فى التزاماته وفى ملكيته للحافظة ووافقت بعد أن شرح لى عبد الحميد سراج الدين محتويات هذه الحافظة وقوة مكوناتها ، وكان أهم ما فيها ٧ آلاف سهم من أسهم بنك

القاهرة نفسه بسعر اسمي قدره أربعة جنيهات ، ولكن كان من المتوقع أن يصل سعره فى السوق إلى ١٤ جنيها ، وحوالى أربعة آلاف سهم من أسهم بنك التجارة ، وبضعة آلاف من أسهم الشركة الانجليزية للزيت .

ولكن كان أهم ما فى هذا الموضوع برمته ، أن من محتويات هذه الحافظة كافة أسهم شركة الإعلانات المصرية ، وكافة أسهم شركة الإعلانات الشرقية وشركة التوزيع المصرية ، بالطبع كانت شركتا الإعلانات المصرية والشرقية معروفتين لدينا فهما مملوكتان لليهود (عائلة فينى) وسبق أن ألقيت عليهما إحدى القنابل .

واتفقت مع الصديق عبد الحميد سراج الدين على موعد للتوقيع بعد أن يقوم محامى البنك بإعداد كافة العقود والتنازلات حتى تصبح المسألة قانونية ، إلا أننى فجأة تنبهت وسألته عن مالك هذه الحافظة فإذا به يخبرنى أنها ملك محمود أبو الفتح .

وعلى الفور ركبت سيارتى وذهبت إلى بيت جمال عبد الناصر . وأخبرته بحكاية هذه الحافظة وأننى سوف اشتريها لدار التحرير . وشرحت له كل الامتيازات التى تضمها ووافق عبد الناصر على ذلك ، وذهبت إلى الدكتور حنفى أبو العلا المحامى والأستاذ حافظ راغب المحاسب وأتممنا شراء الحافظة .

وبالمناسبة فقد كانت دار التحرير وقتها (الجمهورية) تشغل داراً كئيبة فى شارع الصحافة وقريبة من دار أخبار اليوم . وكانت الدار ملكاً لادجار جلاد باشا ـ رحمه الله ـ واشتريت منه بحوالى ٢٥ ألف جنيه على ما أذكر .

أذكر هذه القصة لأنه غير صحيح بالمرة ما يقوله الصديق أحمد أبو الفتح من أن الثورة استولت على شركتى الإعلانات الشرقية والمصرية . وأن جمال عبد الناصر قد حصن نفسه فى هذا الموضوع بقرارات وحصانات قانونية يصعب النفاذ إليها وأظن أن بنكاً كبنك القاهرة لا يزال يحتفظ بمثل هذه المستندات .

إذن جمال عبد الناصر نفسه لم يكن يعلم حتى بوجود حافظة ، والقصة كلها لم تخرج عن كونها تطورا طبيعياً تلقائياً قام به عبد الحميد سراج الدين لحماية مصالح بنكه !

● قلت له : يرى البعض ـ ياسيدى ـ أن كتابات هيكل حولت عبد الناصر إلى أسطورة وما يشبه الظاهرة ، أما كتابات الأستاذ موسى صبرى فقد دفعت بالسادات إلى حادث المنصة .. ورغم خلافى مع التفسيرين إلا أننى أريد سماع تفسيرك ؟

قال د . محسن عبد الخالق : إنه من غير الطبيعى ألا يكون للزعيم أو الرئيس كاتب صحفى يرتاح إليه ويتجاوب مع أفكاره التى يود طرحها . هكذا كان هيكل

وهكذا كان موسى صبرى أما أن يقال إن مقالات موسى صبرى دفعت إلى النهاية المأساوية للرئيس السادات فهذا تبسيط وتسطيح شديد للأمور . فالسادات سواء قبلنا أو رفضنا أحدث انقلاباً تاريخياً شاملاً فى المنطقة منذ حادثة إنشاء دولة إسرائيل . فقد قام بحرب أكتوبر ١٩٧٣ وهى حرب التحرير العربية . وانتهى بالصلح وهو منعطف خطير .

ومن غير الطبيعى ألا تتجمع قوى عربية ضده وألا تملأ سماء حياته السياسية سحب كثيفة من تيارات متباينة ، ومن هذه السحب ومن هذه التيارات « انطلق النيزك » الذى صرعه فى يوم عيد تحرير أرضه .

أما الأستاذ موسى صبرى فهو قد زامل السادات فى المعتقل وعرفه عن قرب وأحبه وآمن به وكانت بينهما صداقة وطيدة ، ثم أنه كاتب كبير وهو صحفى من رأسه حتى أخمص قدميه . وهو كاتب سلس العبارة . يطوع الكلمة بيسر وسهولة ، حاد النبرة ولاذع العبارة .

● قلت : ما رأيك وقد اتصلت بدنيا الصحافة وعرفت عن قرب أسماء لامعة ، وقرأت لأسماء أخرى لامعة .. ما ذكرياتك عن بعض من عرفت ! مثلا إحسان عبد القدوس ؟!

قال : له منزلة خاصة فى قلوب ثوار يوليو ؛ فهو من صناعها ، كاتب كبير من قائمة الأفذاذ ، فنان فى كتاباته السياسية ، ومصور سياسى واجتماعى بارع

● قلت : وأحمد بهاء الدين ؟

قال : كاتب فحل يخاطب العقل ، ويأخذك مقتنعا إلى حيث يريد ، شمولى المعرفة والنظرة والثقافة ، قوته فى الكلمة الحلوة النفاذة والتسلسل المنطقى وسعة المعرفة ،

● قلت : وهيكل ؟

قال : محاور بارع فى كتاباته ، شيك ، يستخدم الكلمة والجملة والعبارة بدهاء عميق ، كتاباته وجبة تشبع ، ولكن تترك القارىء بعدها للتساؤل من أقصى يمين الكلمة إلى أقصى يسارها ، فارس من فرسان الصحافة فى مصر وفى قرنها العشرين كله .

● قلت : ومصطفى أمين ؟

قال : نقلل من شأنه لو قيمناه ، هو هرم من أهرامات الصنعة الصحفية ، جرىء فى مهنته ، أكبر مخبر صحفى فى مصر ، يقف دائما خلف الستار ليحرك شخوص اللعبة ، وعلى رأسها اللعبة السياسية أما على أمين رحمه الله فقد كنت أحبه ، فقد عاش معى أغلب سنوات المنفى ، طيب القلب ، وكان يعبد مصطفى أمين ، والاثنان يعبدان صفية زغلول « أم المصريين » ومن أجلها يدخلان كل المعارك خصوصاً مع الوفد !



٦ فتحي غانم

قليل من الصحافة.. كثير من الأدب!!

لا يحتاج الأديب والروائي الكبير فتحي غانم إلى تعريف أو تقديم !!
فتحي غانم واحد من فرسان الرواية العربية الحديثة .. ولم تشغله كتابة الرواية عن تولى المناصب الصحفية الهامة .. وشاهد عن قرب ما كان يدور داخل كواليس ودهاليز الصحافة المصرية ، والتى سجلها بقلمه الرشيق فى رائعته الرجل الذى فقد ظله ، ثم زينب والعرش !!
وهذه شهادة فتحي غانم على الصحافة المصرية .

● قلت : كيف كانت خطواتك الأولى فى شارع الصحافة ؟!

قال فتحي غانم : عقب تخرجي فى كلية الحقوق عملت فى إدارة التحقيقات بوزارة المعارف ، وكان يعمل معى الأستاذان عبدالرحمن الشرقاوى وأحمد بهاءالدين ، وكثيراً ما كنا نتناقش فى الأدب والفكر والفن ..

كان ذلك عام ١٩٤٧ ، وكان يتردد علينا الأستاذ محمد حسنين هيكل ، وكان محرراً صغيراً - ٢٣ سنة - كى يأخذ أخبار التحقيقات ويقوم بنشرها .. وكانت لى صداقتى بإحسان عبدالقدوس حيث كان متزوجاً من شقيقة صديق لى اسمه « أحمد يوسف الجندى » ..

فى نفس الوقت كان أحمد بهاءالدين مشرفاً على مجلة « الفصول » لصاحبها محمد زكى عبدالقادر ولاحظ اهتمامى الشديد بأمور الأدب والفكر والفلسفة وبشكل مكثف ، فطلب منى بهاء أن أكتب شيئاً لمجلة الفصول ، وكتبت مقالات فى النقد .. التاريخ .. وكانت كتاباتى إرضاء لبهاء فقط ..

وتكررت لقاءاتى مع إحسان عبدالقدوس وذات يوم قال لى : أنا سامع انك بتكتب مقالات ونقد .. ماتيجى تكتب عندنا فى مجلة « روزاليوسف » ؟!

وفى نفس الوقت كنت أعرف الشاعر كامل الشناوى ، وكان رئيساً لقسم الأخبار بجريدة الأهرام .. وكنت أتردد على ندوته ومجلسه الأدبى ..

وفى أوائل عام ١٩٥٢ كان هيكل قد صار رئيساً لتحرير مجلة « آخرساعة » وبدأ الأستاذان مصطفى وعلى أمين فى عملية تجديد وتطوير شاملة للمجلة ، وطلبنى هيكل بالتليفون وعرض علىّ العمل فى « آخرساعة » ، وكان هيكل يستعد للسفر إلى كوريا لتغطية أحداثها ، فأدخلنى مباشرة إلى مصطفى وعلى أمين ثم خرج .. وقال لى مصطفى أمين : لقد قرأت ما ترجمته عن شارلى شابلن فى مجلة « الغد » وأسعدنى .. ليه ماتكتبش معانا .

كانت مجلة الغد يصدرها عبدالرحمن الشرقاوى وحسن فؤاد وصلاح حافظ ، وزهدى وآخرون .

وفى تلك الفترة التى عملت فيها مع هيكل وعلى أمين فى مجلة « آخرساعة » تعلمت أشياء كثيرة هامة عن حرفية العمل الصحفى ، فقمت بإعداد مجموعة من الروايات العالمية لسومرست موم وموررياك وهيمنجواى ، وكتبت عشرات الموضوعات النسائية فى الموضة والطب والعلاج والماكياج ، وحالات الحمل والرضاعة .. وأحياناً كنت أوقع على هذه المقالات باسم « إخصائية جمال » .

وفيما بعد قال لى مصطفى أمين : إنه عندما عرض علىَّ العمل فى « آخرساعة » كان يتوقع رفضى بنسبة ٩٩٪ ، لأنه تصور أننى أكتب فى « روزاليوسف » أو « الفصول » ، بسبب صداقتى لبهاء وإحسان ، وأعترف أن هذا صحيح ، فأنا عمرى ماطلبت أن أكتب .. ولكن دائماً كان يطلب منى أن أكتب فأكتب على الفور !!

● قلت لفتحى غانم : كيف بدأ الاهتمام الحقيقي بكتابات فتحى غانم ، وهل كان ذلك من الوسط الصحفى أم من جماهير القراء ؟!

قال فتحى غانم : جاء الاهتمام الأول من داخل الوسط الصحفى نفسه ، وأول من انتبه لى كان الأساتذة كامل الشناوى ومصطفى وعلى أمين وإحسان عبدالقدوس ، وفى سن مبكرة جداً ـ وعمرى ٢٣ سنة ـ عوملت مباشرة على أنى كاتب ، ولم أوضع تحت الاختبار ، وعندما نشر لى لأول مرة نشر اسمى هكذا : بقلم فتحى غانم .

بعد الوسط الصحفى الذى يقبلك ، هناك المهتمون بالمجالات التى تكتب فيها وتنشر رأيك ، فعندما بدأت أكتب فى الأدب ، وجدت مناقشات واهتمامات أدت إلى ردود أفعال تدل على أن ما أكتبه سواء كان متفقاً عليه أو غير متفق فإن له صدى .

وكتبت أقول بوضوح وتحديد أن هذا أدب وهذا ليس أدباً وذلك فى الأعمال الأدبية الموجودة انذاك ، أى فى بداية الخمسينيات ، فمثلاً كان « عبدالرحمن الخميسى » قد نشر مجموعة قصصية اسمها « قمصان الدم » كتبت أنها خطب منبرية وليست فناً وتدخل ضمن إطار الإثارة السياسية ، فرد عبدالرحمن الخميسى بمقال صغير نشره فى جريدة « المصرى » وقال إننى من الذين يجرى فى عروقهم الدم الأزرق النبيل !!

المهم أن ما كتبته سبب رد فعل مع « واحد » معترف به فى الأدب وهو عبدالرحمن الخميسى .

● ومرة أخرى كتبت عن قصة « الخيط الرفيع » لإحسان عبدالقدوس أنها ليست فنا ، « وبايخة » فهدد إحسان بأنه لن ينشر لى ، فقلت له : سلامو عليكم ومشيت ، وكتب سامى داود بإيعاز من إحسان يهاجمنى ، وعلمت السيدة روزاليوسف بما حدث ، وكانت تعرفنى جيداً فقالت لإحسان : لماذا زعلت فتحى غانم ؟

فقال إحسان لها : لأنه شتمنى ياماما ؟ فردت السيدة روزاليوسف على إحسان قائلة : وماله !!

وكان ذلك درساً لا أنساه منها له ولى ، أن تقبل الآراء التى تختلف مع رأيك .

وأمرت السيدة روزاليوسف إحسان بأن يتصل بى لأعاود الكتابة .. وعدت ونشرت رأيى من جديد فى قصة إحسان « الخيط الرفيع » ، ونشر على أسبوعين بحجة أن المساحة التى يتطلبها النشر كبيرة .

وعندما نشر الأستاذ « أحمد الصاوى محمد » أحد رواياته وأظنها « الشيطان لعبته المرأة » ، فقلت إن هذا كلام فارغ .. بعد ذلك انتقلت إلى مجلة آخر ساعة ، فكتبت أقول عن د . طه حسين إنه عقبة ضخمة جداً فى طريق القصة ، وبعدها طلب طه حسين أن يرانى وذهبت إليه وتحدث معى طويلاً عن مفهومى للأدب والقصة . والذى راعنى حقيقة فى تناول طه حسين لأعمال توفيق الحكيم أو غيره من الكتاب أنه كان يعاملهم كمدرس لغة عربية ونحو ، أى أن الأديب الجيد فى رأى طه حسين هو الذى يجيد النحو والصرف ، فأنا قلت يومها : إن الأدب ممكن أن يكون سبباً من أسباب تطور اللغة ، بل ممكن الأديب يصنع ويخلق لغته ، ودللت على ذلك بقولى إن وليام شكسبير لم يكن « النحو » لديه صحيحاً ، ولكنه كان يخلق لغته الخاصة .

المهم أن هذه السلسلة من المقالات وجدت صدى لدى المهتمين بالأدب والثقافة ، اتصل بى المرحوم الأديب محمد سعيد العريان وتحدث معى فيما كتبته ، أيضاً الأستاذ على أدهم ..

وفى إحدى المرات هاجم الأستاذ محمود أمين العالم الشاعر محمد الفيتورى وأعطاه درساً سخيفاً فى كيفية كتابة الشعر . فهاجمت محمود العالم وبقسوة ، وهنا قامت قيامة الماركسيين والشيوعيين لأنى ضربت وهاجمت العالم أحد مقدساتهم .. ومرة أخرى قلت إن قصص « نعمان عاشور » بايخة .. أو أمدح ديوان شعر لصلاح جاهين هو « كلمة سلام » .

كل هذه المعارك حيرت النقاد والمباحث فى نفس الوقت .. فمرة يتم تصنيفى على أنى متعاطف مع اليسار أو الماركسيين ، ومرة مع اليمين وهكذا .. وعندما كتبت عن ديوان صلاح جاهين « كلمة سلام » جاءنى هيكل وقال لى : عبدالناصر بيقول إن الشيوعيين أخدوا فتحى غانم معاهم .. وضحكت طبعاً ..

وكتبت فى آخر ساعة عن قصة يوسف إدريس « قصة حب » ، وشتمنى محمود أمين العالم فى مقال عنوانه « فتحى غانم والأدب الأسود » .

المهم أن الكل حصل له لخبطة تجاه هذه الكتابات ..

● قلت : وعلى مستوى القراء كيف حدث الاعتراف بك ؟!

قال : على مستوى القراء عامة ـ وهذا بشهادة أرقام التوزيع ـ أننى عندما صرت مسئولاً عن رئاسة تحرير « صباح الخير » كان توزيعها ١٤ ألف نسخة أسبوعياً ، فوصلت إلى ٣٠ ألفا خلال ستة شهور ، وكان الرقم يزيد عندما أنشر رواية مسلسلة لى ، مثلما حدث عندما نشرت الساخن والبارد والرجل الذى فقد ظله ، وتلك الأيام ..

وكان ذلك يسبب نوعاً من الغيرة عند إحسان عبدالقدوس ، فقد كانت رواياتى وراء زيادة توزيع صباح الخير ، ولم يكن يحدث نفس الشيء عندما كان إحسان يكتب قصة مسلسلة فى صباح الخير ..

فى نفس الوقت هذه الشهرة وهذا الاعتراف من جانب المهتمين والصحفيين والقراء كان يعنى أن تبدأ فى أخذ وضع معين « بوز » ثم تنشىء علاقات مع الآخرين فى مجال الصحافة كى تستثمر هذا ، فتأتى لك عروض من الأدباء كى يكتبوا عنك ، وبالمثل تكتب عنهم ، وقد رفضت ذلك تماماً وابتعدت عن هذه اللعبة بشكل قاطع وحاسم .

● قلت لفتحى غانم : فى عصر جمال عبدالناصر توليت مسئوليات عديدة فى بلاط صاحبة الجلالة ، كنت رئيساً لتحرير مجلة صباح الخير ، ورئيساً لمجلس إدارة وكالة أنباء الشرق الأوسط ، ثم رئيساً لمجلس إدارة دار التحرير ، وكنت ترأس تحرير جريدتها الجمهورية ، كيف بدأت علاقتك بجمال عبدالناصر ؟ وظروف معرفتك به ؟!

صدمنى فتحى غانم بقوله : لم تكن لى علاقة بجمال عبدالناصر ، فأنا دخلت مجال الصحافة كما قلت قبل قيام ثورة يوليو (تموز) ١٩٥٢ ، وعملت فى مجلة « روزاليوسف » بعد ذلك باتفاق مع السيدة « روزاليوسف » وإحسان عبدالقدوس ، وبعد تأميم الصحافة بسنوات ، وفى مارس عام ١٩٦٦ اتصل بى « منير حافظ » مدير مكتب جمال عبدالناصر ، وأبلغنى أننى مرشح لمنصب رئيس مجلس إدارة وكالة أنباء الشرق الأوسط ، ولكن أنا حتى هذه اللحظة لاأعرف من الذى رشحنى لهذا المنصب . وفى البداية ترددت فى الموافقة على قبول هذا المنصب ، فقال لى منير حافظ : معلهش احنا محتاجين لواحد .. وهل ستظل إلى الأبد فى مجلة صباح الخير ؟!

أنا كنت وقتها رئيس تحرير صباح الخير ، وذهبت إلى وكالة أنباء الشرق الأوسط ومكثت بها أقل من عام ، ثم اثناء نقلها من مبناها القديم (فى ميدان التحرير) إلى مبناها الحالى فى الشريفين .

وفى شهر نوفمبر من نفس العام اتصل بى مكتب السيد « على صبرى » قائلاً : أنا عاوز أشوفك !

وحتى هذه اللحظة لم تكن لى بهأية صلة ، أو حتى أعرفه بشكل شخصى ! فذهبت إلى مكتبة ، وعرض علىَّ أن أتولى رئاسة مجلس إدارة التحرير ورئاسة تحرير جريدة الجمهورية .

وأذكر أننى قلت له يومها : إن الصحافة فى مصر الآن يقال عليها هذه صحافة على صبرى ، وهذه صحافة زكريا محيى الدين !

وضحك فتحى غانم لدهشتى وأضاف : والذى يشهد على كلامى هذا هو الأستاذ « أمين هويدى » وكان وقتها مسئولاً عن المخابرات وأخبرنى بعدها بذلك وقال لى معلقاً: إنه فى مصر لم يكن هناك أحد يستطع قول هذا الكلام لعلى صبرى غيرك ..

وقلت للسيد على صبرى : وأنا لا أستطيع أن أبقى فى الصحافة بهذا الشكل ، أنا أحسب على صحافة على صبرى أو صحافة زكريا محيى الدين !

فقال : وأنا لا أطلب هذا منك !

فقلت له : ولى طلب تاني .. لابد أن آخذ موافقة زوجتى !

ضحك على صبرى وتصور أننى أمزح . ولكنى ذهبت إلى زوجتى وأخبرتها بالخبر لأنها فى النهاية هى التى ستتحمل العبء النفسى نتيجة انشغالى عنها وغيابى لساعات عن البيت . ووافقت زوجتى .

وقبل أن أبدأ العمل فى دار التحرير ذهبت إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل ، ولم أكن أعلم أن على صبرى يعرفه ، فحكيت لهيكل كل ما حدث ، وسألته :

فقال لى هيكل : نعم ، لأن عبدالناصر سألنى بشأنك . وأنا رشحتك لثلاثة أسباب هى :

● عملك فى الوكالة كان ناجحاً وتتبعناه ، ثانياً : أنا اشتغلت معك فى « آخرساعة » ، وأعرف شغلك كويس وأن تقديرك للمسائل جاد ، وانك غير متأثر بأحد ..

وأكمل هيكل لى : لهذه الأسباب مجتمعة حدث الترشيح !

الحوار السابق مع هيكل كشف لى أنه كان موجوداً فى مسألة ترشيحى وتعيينى فى جريدة الجمهورية ، ولكنى لم أكتف بذلك ، وذهبت إلى السيد « سامى شرف » وقابلته فقال لى بالحرف الواحد :

ـ عندى لك نصيحة ، هناك أكثر من تيار فى الحكم ، فابعد عن الكل !

هل كان سامى شرف يقصد مثلاً الصراع بين عبدالناصر وعبدالحكيم عامر ، لم يفصح حقيقة ، لكن وقتها كانت الجمهورية تحت يد المشير عامر من خلال الأستاذ حلمى سلام .. وأبلغت على صبرى بموافقتى على قبول المنصب الجديد .. وعرض أن ينشر فى الجمهورية سلسلة مقالات .. فقلت له : أهلاً وسهلاً !

بدأ على صبرى يكتب مقالات مسلسلة عن « حتمية الحل الاشتراكى » فأحدثت ضجة كبيرة فى كل الأوساط ، واحتج البعض عليها ، واتصل بى هيكل قائلاً إن زكريا محيى الدين زعلان من هذه المقالات ، وأن آخرين يقولون إنها ستفجر حرب أهلية فى البلد .. و ..و .. وذات يوم من شهر مايو (آيار) عام ١٩٦٧ ، وفى نفس اليوم الذى اتخذ فيه قرار اغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية اتصل بى على صبرى عند منتصف الليل ، وقال عبر التليفون : من الآن ابلغك أننى أكف يدى عن الكتابة فى الجمهورية ، ولم تعد لدى صلة بالصحافة ، والموضوع أصبح فى يد المشير عبدالحكيم عامر .

يضيف فتحى غانم موضحاً : فهمت من هذه المكالمة أن هناك حرباً ، لأنه لم يكن

بيني وبين على صبرى صلة قوية تجعله يحكى لى تفاصيل ما حدث .. وحتى هذه المقالات كان يمليها على أحد موظفى مكتبه ، وكان قد طلب منى أن أقوم بإعداد هذه المقالات لتصدر فى كتاب ، وأثناء اعداد الكتاب وبعد طباعته ، اتصل بى سامى شرف وقال : كتاب على صبرى لا يطرح فى السوق .. ولكن ضعه فى المخازن .

وانقطعت الصلة مع على صبرى ، وعلمت بعد ذلك أنه كان قد عرض منصبى قبل مفاتحتى فيه على المرحوم « على حمدى الجمال » الذى رفضه ، لأن تولى مسئولية الجمهورية لم تكن مسألة سهلة ، فقد كانت مليئة بالألغام ، وكانت كل أجهزة الدولة والسلطة ممثلة فيها ، وتركتها فى مايو ١٩٧١ .

قلت لفتحى غانم : بعد تولى الرئيس السادات للسلطة فى أكتوبر ١٩٧٠ تركت مسئولية دار التحرير ورئاسة تحرير الجمهورية ، وبعدها بخمس سنوات تقريباً تم اختيارك مع الأستاذ صلاح حافظ لترأسا تحرير مجلة « روزاليوسف » اليسارية .. كيف فصلت من الجمهورية ؟ وكيف عينت فى « روزاليوسف » ؟!

ضحك فتحى غانم وأجاب : بالنسبة للفصل من الجمهورية كان ذلك عام ١٩٧١ ، وبالتحديد بعد ١٥ مايو ١٩٧١ أبلغنى د . عبدالقادر حاتم وقال : والله يافتحى أنت عارف السياسة ، والأمر يقتضى تغييراً ، وجلست فى بيتنا ابتداء من ٢٠ مايو .. تولى مسئولية دار التحرير بعدى الأستاذ مصطفى بهجت بدوى وكان كل اهتمامه موجه ناحية أن أقبض مرتبى ، إنما الكتابة .. لا بالطبع ، ورغم ذلك عرض علىَّ الكتابة ، وفعلاً كتبت مقالاً وأرسلته له ، ولكنه لم ينشر ، وقال لى الأستاذ ممدوح رضا ـ رئيس مجلس إدارة التعاون الآن : إنه كان يعرض عليك الكتابة كنوع من المجاملة ، ولكنك أخذت المسألة جد فأحرجته ، وهو الذى رفض نشر المقال الذى أرسلته !

● قلت لفتحى غانم : وكيف تأكدت من ذلك ؟

ـ قال : ببساطة رئيس العمال فى جريدة الجمهورية « عبدالفتاح » أرسل لى بروفات المقال لكى لا أصدق كما أشاع مصطفى بهجت بدوى أن العمال رفضوا جمع الموضوع ..

المهم أننى جلست فى منزلى ، وفى هذه الفترة كتبت رواية « زينب والعرش » !

● قلت : قبل التطرق إلى موضوع تعيينك كرئيس تحرير لروز اليوسف نعود لبداية معرفتك بالرئيس السادات كيف بدأت ونمت وتطورت ؟!

ـ قال : بدأت معرفتى بالرئيس السادات فى عام ١٩٥٦ ، فقد كان السادات حريصاً على الاتصال بالصحفيين ، وأذكر أن لقاءاتى به كانت تتم مع المرحوم كامل الشناوى فنزوره فى مكتبه بجريدة الجمهورية ، ولكن أول لقاء بينى وبينه بمفردنا كان فى مجلس قيادة الثورة ، وذلك قبل صدور دستور ١٩٥٦ ، وكان وقتها يحدثنى عن هذا الدستور ، ويبدو أنه كان يمهد كى يصبح رئيس مجلس الأمة !

بعد ذلك قابلته فى مناسبات كلها شخصية ، فعندما كنت رئيسا لمجلس إدارة دار التحرير طلبنى فى التليفون وزرته فى منزله فى الهرم ، وظللنا نتحدث لوحدنا حوالى ثلاث ساعات فى أمور شتى .

واكتشفت أن السادات هو الذى كان يطلب مقابلتى دائماً .. ويبدو أنه كان يريد معرفة شىء ما عنى ، لأن ما يتوافر لدى من معلومات سواء قالها لى الأستاذ « موسى صبرى » أو الأستاذ « محمود السعدنى » إن السادات أخذ فكرة عنى أدت إلى أنه يكرهنى وينفر منى نفوراً شديداً ، وذات يوم قال السادات لموسى صبرى : إحسان عبدالقدوس يكره فتحى غانم جداً ، ويقول عنه إنه إنسان ناكر للجميل ، فأنا ولى نعمته ، وأنا الذى جعلته أديبا ، وأن فتحى غانم (عض) اليد التى أحسنت إليه ..

يتنهد فتحى غانم ويقول : وأنا حقيقة لا أدرى لماذا كان إحسان يقول عنى هذا الكلام ، هل السبب مثلاً أننى قلت ذات يوم إن قصة إحسان عبدالقدوس « الخيط الرفيع » وكان ينشرها مسلسلة فى « روزاليوسف » أنها ليست فنا وأنها قصة بايخة .. هل هذا هو السبب لا أدرى ! أم أن السبب يكمن فى أننى عندما كنت أنشر قصة مسلسلة فى « صباح الخير » ، فكانت أرقام توزيع المجلة أكثر مما كانت توزع عندما كان إحسان يكتب قصة مسلسلة .. أيضاً لا أعرف .. ولكن مما لا شك فيه أن ذلك كان يسبب له نوعا من الغيرة والحسد ، وحدث خلاف ضخم بينى وبين إحسان ذات يوم وبسببه قدمت استقالتى ، ومازلت أحتفظ بخطاب من المرحوم يوسف السباعى يصحح هذا الوضع وعلى أساسه سحبت الاستقالة ، ومرة أخرى تدخل بنفسه فى المطبعة ، وأراد حذف فقرة كتبتها عنه فى مجلة « صباح الخير » ، ومرة أخرى كلف د . مصطفى محمود ، وكان مسئولاً عن باب البريد والرسائل أنه لا يكتب اسمى إطلاقاً ولا يشير إليه فى « البوسطجى » رغم أننى كنت رئيس تحرير « صباح الخير » .

المهم أن « موسى صبرى » أبلغنى أن إحسان قد سمم الجو تماماً لدى السادات عنى ! ومرة أخرى قال لى محمود السعدنى إنه كان موجوداً فى بيت إحسان عبدالقدوس ، وكان موجوداً أنور السادات وأحمد بهاء الدين ، وأن إحسان شتمنى أمام الجميع .. طبعاً السعدنى لم يقل لى هذا الكلام فى وقتها ولكنه أخبرنى به فيما بعد !

كل ذلك معناه أن السادات لا يطلبنى إلا إذا كان يريد معرفة شىء معين منى .. وأذكر أننى ذهبت لزيارة السودان فى عام ١٩٦٨ ، بعد بيان ٣٠ مارس ، وكان أيامها قد تم تشكيل اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكى العربى وبينما كنت فى منزل عبد الله المحجوب رئيس الوزراء السودانى وأنا أعرفه كأديب وشاعر ، وسمعت من خلال جهاز الراديو أن على صبرى أخذ أعلى الأصوات فى انتخابات اللجنة ، المهم

أننى عندما عدت من السودان ووصلت الطائرة إلى مطار القاهرة حوالى السابعة صباحاً ، وما أن دخلت إلى حجرة نومى كى أنام ، حتى أيقظونى قائلين : السادات على التليفون !

فقال لى وقتها : أنا عاوز أشوفك !

ذهبت إليه وجلسنا وسألنى : أخبارك إيه وعامل إيه ؟

ولأنه لم يكن يعلم أننى قادم لتوى من زيارة السودان ، أخذت أحدثه عن السودان وأحوال السودان .. و .. و ولم ينطق بحرف واحد .. وفى نهاية الجلسة « مشيت » .. ذهبت إلى جريدة الجمهورية فوجدت المرحوم إبراهيم نوار رئيس التحرير التنفيذي يقول لى : هل علمت ماحدث بين على صبرى والسادات ؟! فقلت له : لا .. ماذا حدث بينهما ؟!

فقال لى : فى انتخابات اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكى فاز « على صبرى » بأصوات أعلى من التى فاز بها أنور السادات ، وفى اجتماع اللجنة السياسية جاء السادات وجلس على كرسى رئيس اللجنة ، ونادى على المصورين ليلتقطوا صوراً له .. وبدت المسألة كما لو كانت حرباً شعواء ومن الذى سيتم تصويره ، وكيف يفوز على صبرى بعدد أصوات أكبر ، ومن الذى يملك شعبية أكثر ؟ السادات أم على صبرى ؟! المهم وجدت الدنيا من حولى مولعة ومشتعلة !

يكمل فتحى غانم : بعد ذلك استنتجت أن الهدف من مكالمة السادات ثم مقابلته لى كان الهدف منها أن يعرف ما هو موقف صحيفة الجمهورية .. هل هو مع على صبرى أم السادات ، وما الذى سننشره وكان السادات يتصور أن موقفنا سيكون مع « على صبرى » لأن الجمهورية كانت محسوبة عليه ..

وعندما أنظر إلى هذه الأمور من زاويتى الخاصة أشعر بمستوى الضحك الساذج التى كانت عليه القيادة فى مصر ..

● قلت : وماذا بعد أن أصبح السادات رئيساً للجمهورية ؟

قال : انقطعت الصلة تماماً ، وبعد ١٥ مايو ١٩٧١ تركت الجمهورية ، وجلست فى البيت فى هذه الفترة كتبت رواية « زينب والعرش » ، وكنت أتردد على نادى الجزيرة والعب « دومينو » ، مع محامى عجوز (٧٠ سنة) ، وذات يوم فوجئت بالأستاذ موسى صبرى رئيس تحرير « الأخبار » يربت على كتفى ، ويقوم بلخبطة الدومينو قائلاً وهو يبتسم :

ـــ عن اذنك يا متر .. ها أخذ منك فتحى شوية !

ونهضت وسرت مع موسى صبرى فى حديقة النادى نتكلم وندردش ، قبلها كنت قد التحقت بروز اليوسف كاتباً وأحسست بداخلها أننى إنسان غير مرغوب فى وجوده ، ثم قامت حرب أكتوبر (تشرين) ١٩٧٣ ، وكتبت كلمة صغيرة عن القرار و .. و... فى

نفس تلك الفترة كان الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوى قد تولى رئاسة مجلس إدارة روزاليوسف ، وفكر فى الاستعانة بالأستاذ صلاح حافظ ليتولى مسئولية تحرير مجلة « روز اليوسف » وليس رئيساً للتحرير ، وحصل نوع من المقارنة من جانب فهمى حسين ويوسف صبرى الذين كانا يتوليان المسئولية الفعلية ، وأحس بهذه المقاومة الأستاذ الشرقاوى ، ويبدو أنه تكلم مع الأستاذ موسى صبرى رئيس تحرير الأخبار بشأنى ، وفوجئت بموسى صبرى يأتينى نادى الجزيرة ، كما قلت ويقول لى :

ــ لازم تقف مع عبد الرحمن الشرقاوى !

فقلت لموسى : كيف ؟ قال لى : تبقى رئيس تحرير روزاليوسف !

المهم أننى أخذت أفكر فى هذا الأمر ، وبعدها بيومين اتصل بى الأستاذ الشرقاوى عارضاً منصب رئيس التحرير ، طبعاً من غير المعقول أن تكون هذه الاتصالات التى جرت عن طريق الأستاذين موسى صبرى والشرقاوى بغير موافقة من الرئيس السادات وقتها ..

وبعد يومين اتصل بى الأستاذ الشرقاوى فأبلغته موافقتى بشرط أننى لن أكتب فى « السياسة » وألا يتم وضع اسمى فى ترويسة المجلة كرئيس تحرير قبل أن أقوم بالأعداد والتجهيز للعمل ، ووافق الأستاذ الشرقاوى ، ثم اتصلت بكل من صلاح حافظ وفتحى خليل مقترحا أن يتم تشكيل لجنة تضمناً نحن الثلاثة مهمتها إعداد أفكار وموضوعات لتطوير المجلة .

وعدد بعد عدد بدأ توزيع روز اليوسف يرتفع ويزيد ، إلى أن جاء شهر مايو ١٩٧٥ ، وبدأ السادات يدعو لفكرة المنابر التى تحولت إلى أحزاب فيما بعد ، واقترح الشرقاوى أن يصبح صلاح حافظ رئيساً للتحرير ليكتب فى السياسة .. ثم جاءت أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ ، وبعدها بأسابيع حدث التغيير الصحفى الذى شمل كافة المؤسسات ، فخرجت أنا وصلاح حافظ من رئاسة تحرير روزاليوسف .

● قلت : كيف أبلغت بالقرار ؟!

ضحك فتحى غانم ثم قال : طلب السادات من عبدالرحمن الشرقاوى رئيس مجلس الإدارة أن يقابله ، وفى القناطر دار حوار طويل بين السادات والشرقاوى ، ثم عاد الشرقاوى من هذه المقابلة ودعانا (أنا وصلاح حافظ ولويس جريس وحسن فؤاد) ، وحكى لنا ما حدث .. إنما كنا عارفين قبلها بفترة أننا لن نستمر فى رئاسة تحرير روز اليوسف !!

● قلت له : هل يمكن اعتبارك صحفياً يهوى الأدب ؟! أم أديباً يشتغل بالصحافة ؟!

قال : أنا أديب ، يحترم الأدب جداً وعملت بالصحافة لأنشر فيها ما أكتبه من أدب روائى !

وأنا أردد دائماً أن التحدى الحقيقى بالنسبة لى هو الرواية . لأنى أؤدى عملى

الصحفى فى سهولة بالغة ! ومنذ أن تعرفت على الأساتذة كامل الشناوى ومصطفى أمين وعلى أمين أو محمد حسنين هيكل ، فقد كان فى ذهنى دائماً أن هؤلاء يعدون لى المسرح أو الورق فى مكان أو آخر كى أنشر فيه قصصى أو رواياتى هكذا أقول بصراحة !

ولعلك تندهش إذا قلت لك أننى منذ سن الثالثة عشرة وأنا أردد بينى وبين نفسى دائماً ، سأكتب الرواية وسأنشر ما أكتب من روايات ! ذلك لأننى بدأت كتابة الرواية فى مرحلة مبكرة من عمرى !

● علقت قائلاً : كتب الأستاذ أحمد بهاءالدين يقول : إنك أكثر كاتب أدبى روائى فى جيلنا كان يعرف منذ البداية أن حياته هى أدب القصة ، ولكنه مع هذا استعد لذلك استعداداً كبيراً وطويلاً ، أشك فى أن يكون متكرراً لدى أى كاتب قصة معاصرة .

قال الروائى فتحى غانم : الصحافة أعطتنى مساحة لنشر رواياتى ! وهذا شىء مهم جداً ، وكان فى حسابى دائماً ، وإذا كان هناك عيب فى عملى كصحفى فهو أننى لم أخلص أبداً للصحافة كصحافة ، ولكنى استفدت من وضعى الصحفى لأنشر الرواية .. وحتى عندما كنت أصل إلى مركز صحفى كبير - رئيس تحرير أو رئيس مجلس إدارة - فقد كان ذلك يعنى وصولى إلى مركز أستطيع من خلاله نشر رواياتى لأن فرصتى فى نشر رواياتى عن طريق الصحافة أكبر مما لو لم أكن أشتغل بالصحافة .

واختيارى للعمل فى روز اليوسف رغم أننى كنت وقتها أكتب فى أخبار اليوم ، كان بهذا الهدف ، وأذكر أن محمد حسنين هيكل قال لى : أنا سايب آخر ساعة وتتولى رئاسة تحريرها بدلاً منى ! ولم أقبل عرض هيكل برئاسة تحرير آخر ساعة ، وقبلت عرض الأستاذ إحسان عبد القدوس للعمل فى روزاليوسف ، وتركت أخبار اليوم ، وكان فى ذهنى أننى فى روزاليوسف سأتمكن من نشر رواياتى !

ومن الأشياء التى أذكرها وأحيي بها إحسان عبد القدوس أنه نشر لى أول رواية مسلسلة وهى « الجبل » فى روزاليوسف ، وكانت هذه أول مرة يقبل فيها إحسان عبد القدوس أن ينشر رواية مسلسلة لأحد غيره فى روزاليوسف ! وكان ذلك فى وقت مبكر وقبل صدور قانون تنظيم الصحافة أى فى عز سلطة إحسان كصاحب للدار ، ثم نشر لى أيضاً الساخن والبارد وقبلها « من أين » !!

● قلت : أنت صحفى ورئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة وكاتب روائى : ماذا يهمك من كل هذه الألقاب ؟!

قال بحسم : أنا لا يهمنى على الإطلاق لقب « رئيس تحرير » أو « رئيس مجلس إدارة » ، ولكن مايهمنى فى البداية والنهاية أن تتم محاسبتى وتقييمى على أساس ما كتبت من روايات وقصص !

ابتسم فتحى غانم كمن تذكر شيئاً وقال لى : أذكر مرة وكان ذلك بعد فترة قصيرة من قيام الثورة أن محمد حسنين هيكل كان يتناقش معى ، وكانت صلتى به تعود إلى سنوات ما قبل الثورة ١٩٥٢ ، عندما عينت فى إدارة التحقيقات بوزارة المعارف ، وكان معى عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد بهاء الدين ، وكان هيكل وقتها محرراً شاباً فى آخر ساعة يأتى للحصول على أخبار تحقيقات الإدارة لينشرها ..

كان هيكل يقول دائماً وبقناعة مطلقة : الحاكم محتاج لصحفى يعبر عنه وسأكون أنا هذا الصحفى ! وكنت أقول له إن الأدب أبقى وأفضل من السياسة ! وكان يضحك ويقول لى : خلاص أنت بتاع الصفحة الأخيرة وأنا بتاع الصفحة الأولى !

● قلت له : وهل مازلت عند هذا الرأى ؟! أن الأدب أبقى من السياسة ؟!

قال مبتسماً : آه .. ده بالنسبة لى مش بالنسبة للصحافة ، أن الأدب أبقى من السياسة هذا صحيح بالنسبة لمؤسسة فتحى غانم .

عندما صدرت رواية « زينب والعرش » كتب فتحى غانم فى مقدمتها بيانا هاما ولا مفر منه يقول فيه : يرجو مؤلف هذه الرواية ، رجاء حاراً ألا يتورط القارىء العزيز فى محاولة البحث عن صلة أو أوجه شبه بين شخصيات هذه الرواية وشخصيات فى الواقع سواء كانت معروفة أو غير معروفة من الأحياء أو الأموات ، إن كل ما جاء فى هذه الرواية من أحداث وشخصيات إنما هى محض خيال .

وعندما تحولت هذه الرواية إلى مسلسل تليفزيونى (٣٠ حلقة) قضى الجمهور أكثر وقته فى محاولة التعرف على أشخاص الرواية فى الحقيقة ، لأنها تدور فى عالم الصحافة والسياسة بنجومهما من المشاهير وكتب أحمد بهاء الدين يقول :

هل عبد الهادى النجار هو الأستاذ التابعي أم مصطفى أمين أم على أمين ؟ هل يوسف مؤلف الرواية هو فتحى غانم أم أحمد بهاءالدين أم هو مزيج من الاثنين ؟ ومن هى زينب قبل كل شىء وبعد كل شىء ؟!

واعترف مصطفى أمين فى حديث صحفى : لقد وجدت نفسى فى زينب والعرش !!

وسألت فتجى غانم بصراحة شديدة : رغم بيانك الإيضاحى فى مقدمة الرواية بأن شخصيات الرواية لا وجود لها .. إلا أن القارىء والمشاهد أحسا بغير ذلك .

قال فتحى غانم : هناك نظرية فى النقد تقول إن كل عمل فنى يعكس بشكل ما البنية الاجتماعية والطبقية للمجتمع الذى يعيش فيه . بل إن بعض علماء الاجتماع فى الولايات المتحدة يقول إننا نستطيع أن نتعرف على المجتمع من خلال العمل الروائى أكثر مما نستطيع التعرف عليه من خلال المؤرخ أو الدراسة الاجتماعية نفسها ، وهذا الكلام لا أستطيع أن أتجاهله أو أنكره ، ومنذ قليل قلت لك إننى أردت أن أكتب رواية حب وعاطفة ، ولكن المجتمع فرض نفسه علىّ لأنى أعيش فيه وأتفاعل مع شخصياته ، فكتبت رواية أخرى ، وإلا لو كتبت رواية لن يصدقها من يقرأها !! مثلما تشاهد فيلماً

سينمائياً قديماً فتجد رجلاً يقول لامرأة : أنا بحبك موت ولا أستطيع أن أعيش من غيرك ولازم نتجوز بكره ! ويتفقان على الموعد !! ويأتى هذا الرجل ليتحدث مع صديق له قائلاً : أنا عاوز شقة فى الزمالك مثلاً وتكون الشقة جاهزة ، ويتزوجان وخلاص .. وده كان فى أفلام زمان ، فلو أننى كتبت مثل هذا الكلام اليوم لا يمكن أن يكون أكثر من نكتة بايخة .

من ناحية أخرى أنا لى تفسير صادق وعلمى تماماً ويدخل فى صميم عملية النقد الأدبى ، هذا التفسير يستند إلى نظرية تقول إن العمل الفنى لا يكتمل إلا بوجود المتلقى ، وهناك عبارة مشهورة لنتشه خاصة بالفن وليس بالسياسة تقول إن كل الفنون تحتاج للمشاهدة . بمعنى أن الرواية إذا لم يقرأها قارىء لا تصبح رواية واللوحة الفنية بغير مشاهد لا تصبح لوحة ، وهكذا ! والمقصود بذلك أن العمل الفنى يكتمل وجوده بالمتلقى ، إذن أصبح المتلقى جزءاً من صناعة العمل الفنى ، وماحدث فى مسلسل زينب والعرش هو أن المتلقى ـ المشاهد ـ وهو ـ كما قلت ـ جزء من العمل الفنى قال إن عبدالهادى النجار هو فلان من الصحفيين ، وأن دياب هو فلان .. والمتلقى أكمل العمل الفنى بهذه الرؤية !

● قلت للروائى فتحى غانم : ولكن من يقرأ رباعية « الرجل الذى فقد ظله » يكاد يرى فيها نجوم الصحافة اللامعين .. فمثلاً « يوسف عبدالحميد السويفى » هو هيكل ! بل إن الناقد الصحفى الانجليزي « ديزموند ستيوارت » قال : كانت رباعيتك الرجل الذى فقد ظله تدور حول أحد رؤساء التحرير الناصريين .

ابتسم فتحى غانم وقال : ماحدث هو أننى من خلال الرواية أعطيت للقارىء المتلقى المناخ الذى أخصب عنده هذه المقارنات ! وأذكر عندما كتب هيكل كتابه « عبدالناصر والعالم » فقد كتبت صحيفة نيويورك تايمز مقدمة عن الكتاب وهيكل تقول فيها : بلغ من شهرة هيكل فى مصر أن كتبت عنه رواية هى « الرجل الذى فقد ظله » ..

وقبل ذلك بسنوات وأثناء نشر الرواية كنت أزور دائماً المرحوم محمد التابعى ، وقال لى فى إحدى المرات : إن محمد ـ يقصد هيكل ـ يقول إنك تكتب عنه فى شخصية يوسف عبدالحميد السويفى ، وتكتب عنى فى شخصية « محمد ناجى » ، وأذكر أننى قلت له : هذا جو الرواية !

وبعدها قابلت « هيكل » فقال لى بالانجليزية : الرجل الذى فقد عقله ! وضحكنا !!

● قلت له : نعود إلى « زينب » هل كانت تمثل مصر بكل تناقضاتها وأحلامها المستحيلة أم كانت امرأة لها وجود حقيقي ؟!

قال : أنا كتبت زينب أولاً كأنثى من لحم ودم ! بنى آدم له أب وأم وجذور ، أما إذا جاء واحد من النقاد وقال إنها تمثل مصر فهو حر ! أنا لا أقول آه ، ولا أقول نعم !

وأذكر أن رئيس قسم الاجتماع فى جامعة « برنستون » الأمريكية وكان فى زيارتى وفى إحدى مناقشاتنا قال لى : إن رؤية الأديب للمجتمع أحياناً ما تكون أصدق وأسرع وسيلة لتبين طبيعة المجتمع من الدراسات الاجتماعية !

ولذلك قيل إن روائع شكسبير مثل « روميو وجوليت » تمثل صراع الأسر والطبقات فى مجتمع ما أو أن الملك « لير » تمثل الصراع على الحكم فى إحدى الفترات فى تاريخ انجلترا ، كل هذا صحيح ورغم أن الكاتب نفسه مات ، ولكن الرواية نفسها بقيت لأن فيها موقف إنسانى وفيها معنى إنسانى وخبرة إنسانية باقية .

● قلت له : عندما صدر قانون تنظيم الصحافة فى ٢٤ مايو ١٩٦٠ ، كنت وقتها رئيس تحرير مجلة « صباح الخير » ، وبهذه الصفة حضرت لقاء جمال عبدالناصر برؤساء التحرير ورؤساء مجالس الإدارات ، وهاجم فيه الكاريكاتير الذى تنشره المجلة . ما هى تفاصيل ما جرى ؟!

وقال : قبل ذلك الاجتماع بحوالى أسبوعين كانت صباح الخير قد صدرت وغلافها عبارة عن رسم كاريكاتيرى للفنان حجازى ، الذى رسم دولاب الملابس وبداخله خمسة رجال وأمامهم وقفت سيدة تقول لأخرى : أنا رايحة السينما .. تفتكرى أخرج بايه !!

وفى ذلك الاجتماع ثار جمال عبدالناصر وهاجم الصحافة بشكل عام ، ثم ذكر صباح الخير بالاسم وقال الصورة الكاريكاتيرية اللى بتمثل الزوجة على أنها خاينة لأنها حطت تلاتة فى دولاب !! أبداً مش ده مجتمعنا ! أنا معرفش ، أنا مش متصور أن مجتمعنا فيه زوجة بتحط ثلاث رجاله فى الدولاب ، وعلشان كده بتحط لهم تكييف هواء .. ده مجتمع مين أنا معرفش !!

ضحك فتحى غانم وعاد ليقول : دائماً كانت النساء التى يرسمها الفنان « حجازى » تثير أزمة مع الدولة وتتميز ريشة حجازى بأنها الريشة الطيبة الناعمة التى تتناول المشاكل بوقاحة واصرار !!

● سألته : بعد هذه الأزمة هل تحدثت مع الفنان حجازى بشأنها ؟

قال : الحقيقة أننى لم أكن أهتم بمثل هذه الأمور إطلاقاً ، وكنت أواجهها بعدم الاهتمام ، وهناك أسلوبان فى الصحافة عموماً لمواجهة ذلك ، الأول أن يقال لك أو لرئيس التحرير إن الحاكم مهتم ومنزعج جداً لما تنشره أو تكتبه ، وعندها ستقوم بالدفاع عن نفسك من منطق الخوف والفزع والهلع فترسل برقيات وتلغرافات استعطاف ثم تنهال إلى رسام الكاريكاتير فتهدده وتعاقبه .. و .. و.

والأسلوب الثانى وأنا من أنصاره وأتبعه غالباً وهو أننى أستمع لكل هذه الزوبعة ، ولا أهتم بها مطلقاً ، وأستمر فى أداء عملى بشكل عادى تماماً ، ومايريد الحاكم أن يفعله فليفعله . ومنطقى فى ذلك أن الأسلوب الأول الذى ينطوى على الخوف والدفاع



○ الشافعى . وعبد الحكيم عامر . عبد الناصر . السادات . زكريا محيى الدين !!



○ نجيب وعبد الناصر .

عن النفس يضخم وينعش السلطة ، وفى اللحظة التى تجد السلطة فيها أنك فى موقف الشاكى والمبرر والمدافع ، فهذا يقويها و« يورمها » ، ولكن إذا تجاهلت ذلك كله ، فالسلطة أعجز وأكسل من أن تعرف تماماً ماذا تريد أو ما الذى تفعله ؟!

● قلت : علاقتك بفن الكاريكاتير ؟! وهل تصطدم أحياناً مع رسام الكاريكاتير ؟!

قال : علاقتى بالكاريكاتير هى علاقة فنان بالطبع والفنان لا يمكن أن تتعامل معه على أساس منطق الاصطدام أو التصادم ، وأنا عادة أتعامل مع الكاريكاتير كمتفرج أو متذوق أو ناقد وليس على أساس أن هذا يصح سياسياً وهذا لا يصح .

● قلت وظروف اللقاء مع جمال عبد الناصر فى تلك الفترة ؟

قال : لم يحدث أننى جلست مع عبدالناصر بمفردنا ، وكانت اللقاءات معه تتم فى المناسبات العامة ، مثل لقاء يعقده مع الصحفيين ، أو الاتحاد القومى ، ولكن أول وآخر لقاء تم بشكل بارد جداً من جانبينا ، كان ذلك فى اجتماع يحضره مصطفى أمين وعلى أمين ، وإحسان عبدالقدوس ، وهيكل ، فوقفنا صفاً واحداً لمصافحة عبدالناصر ، وهناك عادة أخذتها عن والدى فعندما أصافح أحداً أنظر إلى عينيه طويلاً .. فعندما جاء دورى لمصافحة عبدالناصر .. ظللت عينى فى عينيه لمدة ، ويبدو أن عبدالناصر دهش فسألنى على الفور :

ـــ أنت مين ؟!

ـــ فتحى غانم !!

كانت هذه هى المناسبة الوحيدة وكانت قاسية وباردة وفيها صرامة من الجانبين ، صحيح أنه كان حواراً قصيراً للغاية لم يزد على أربع كلمات (أنت مين .. فتحى غانم) ولكنه حوار معبر ويرمز لأشياء كثيرة جداً .

●

● قلت لفتحى غانم : عندما قامت ثورة يوليو (تموز) ١٩٥٢ كانت هناك صحف الأهرام ، الأخبار ، أخبار اليوم ، روز اليوسف ، المصرى .. ومع ذلك أصدرت الثورة الصحف الخاصة بها مثل « الجمهورية .. التحرير .. المساء .. » والملاحظ أنها فشلت جماهيرياً .. ماذا تقول انت ؟!

قال : أتفق معك والسبب أن الطابع العام للذين اشتغلوا فى هذه الجرائد والمجلات كان أقرب إلى الموظفين ، والتنظيم البيروقراطى الذى ينشأ من مسألة تولى ضباط فى عملية التنظيم كان يحد كثيراً من الانطلاقة الفردية للصحفى أو الكاتب الذى كان حقيقة يشعر ويحس أنه يستطع أن يمارس العمل الصحفى دون أن يواجهه ضابط غير فاهم ..

هؤلاء العسكريون أو الضباط الذين تولوا مسئوليات صحفية كانت لديهم نوايا حسنة ، ولكنها لا تملك الخبرة اللازمة كى ينجح العمل الصحفى !! وأمامى مثل هو « دياب » فى « زينب والعرش » ..



٧ أحمد بهاء الدين

صحافة لها تاريخ !!

عقب قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وطرد الملك انهالت الكتب والمقالات تشتم وتسب الملك رغم ان بعض كتابها كان من اخلص خلصاء الملك ، وفوجىء الرأى العام وقتها بكاتب شاب لم يتجاوز عمره ٢٥ عاما يدفع له بكتاب عنوانه « فاروق ملكا » قدمه إحسان عبد القدوس .

وكان رأى احمد بهاء الدين مذهلا للكافة ، إذ قال : الدستور هو الذى يحدد مكان الملك وينظم قيوده ، والدستور هو القيد الذى كان يجب أن يقيد به الملك السابق والقفص الذى كان يجب أن يوضع فيه . والبداية الحقيقية فى مأساة فاروق انه لم يلتزم بالدستور !

وانتبه الناس للكاتب الشاب المتزن والعاقل ؛ فمنذ بدأ الكتابة الصحفية كهاو ومحترف بعد ذلك ، فقد ترك بصمات واضحة وعلامات قوية فيما كتبه ، وأثارت كتاباته اهتماما فكريا كثيفا لدى القراء ، فقبل الثورة يطالب بتأميم تجارة القطن وكانت باكملها فى ايدى الأجانب ، وبعد الثورة بعامين وأثناء ازمة مارس الشهيرة يكتب مطالبا : إنه لابد للبلد من دستور وحد ادنى من الديمقراطية .

وفى عام ١٩٦٥ تصدر الطبعة الأولى من أهم كتبه « إسرائيليات » والتى أكد فيها بحق أن التحدى الذى تفرضه علينا إسرائيل ليس تحديا عسكريا سياسيا فقط ولكنه تحد حضارى بأوسع معانيه .

ثم تقع نكسة يونيو ولأول مرة يطرح المفكر العربى احمد بهاء الدين اقتراح دولة فلسطين واثار ذلك الاقتراح المطروح عام ١٩٦٨ جدلا واسعا بين اوساط السياسيين والمثقفين ما بين التاييد والمعارضة .

● قلت : بداية المشوار فى الحياة العملية ؟

قال لى : عندما تخرجت فى الجامعة ـ كلية الحقوق ـ كان فى ذهنى أن أعمل بالمحاماة ، ثم اتضح أنه ينبغى لمن يشتغل بالمحاماة فلابد أن تكون سنه ٢١ سنة وكان عمرى وقتها حوالى ١٩ سنة ، فالذى حدث أن والدى ـ وقد كنت الولد الوحيد على مجموعة بنات ـ وكان يعمل موظفا حكوميا وكارها للعمل الوظيفى قال لى وقتها : إذا أردت أن تشتغل محاميا فأنا مستعد للإنفاق عليك حتى آخر قطرة فى عمرى ، أما إذا أردت أن تلتحق بوظيفة فأنا غير مسئول عنك ، يعنى لا تقل لى أكلم لك أحداً كى تعمل ! فقررت أن أقوم بعمل دراسات عليا فى كلية الحقوق ، إلى أن أبلغ سن المحاماة ، فى تلك الفترة كان لى صديق نذاكر معا وهو ابن المرحوم محمد العشماوى باشا الذى كان وزيراً للمعارف وقتها ، وكان الرجل يعرفنى جيداً واقترح على بدلا من بقائى فى البيت هذه المدة أن أعمل معه فى مكتبه ، فعملت فى الحكومة لأول مرة فى مكتب وزير التربية .

وعندما خرج من الوزارة سألنى : أى جهة أحب أن أعمل بها ؟ فكان بالنسبة لى : العمل فى مجال القانون ، فذهبت إلى إدارة الشئون القانونية ، وبعد ذلك عملت فترة فى

مجلس الدولة . على أى حال أنا أعتبر أن القانون سواء أكان دراسة أو ممارسة أفادنى كثيرا ، لأنه يعلم المنطق ، وأن الكلام لابد أن تكون له معانى محددة ، لكن بالمعنى المباشر لا أستطيع أن أقول إنه أعطانى خبرة معينة أو تجربة معينة .

● قلت : هل كنت قد بدأت الكتابة فى مجلة « الفصول » ؟

يقول : نعم ، كنت أكتب فى الفصول ، ونشر لى بعض المقالات كقارىء ، كانت « الفصول » مجلة مصرية الطابع والاهتمامات ، وقد ظهرت رداً على مجلة « المختار » ريدرز دايجست وفى تلك الفترة كانت هناك دعوات تعتبر جديدة مثل الإصلاح الزراعى ، وكانت هذه المجلة لها هذا الطابع الجاد وكنت من قرائها ، فذهبت للأستاذ محمد زكى عبد القادر صاحبها ورئيس تحريرها ـ بدون سابق معرفة ـ وعرفته بنفسى ، وقلت له : إننى أحب أن أكتب فى المجلة . فطلب منى أن أقدم له مواد ، وبالفعل قدمت له مواد لتنشر فى المجلة ، وأحيانا صرت أقدم له مواد لجريدة الأهرام ككاتب هاو إلى أن كتبت فى روزاليوسف .

● قلت : حكى الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى سيرته الذاتية « أقدام على الطريق » : « كانت الفصول قد بلغت درجة كبيرة من الذيوع والانتشار ، وكما كانت مجالا لأقلام الكثيرين من أصحاب الفكر والرأى كانت أيضا مجالا لأصحاب الأقلام من الشبان الجدد ، وكنت أرحب بهم وأعطيهم فرصا متساوية .

وكان الأستاذ أحمد بهاء الدين أكثرهم مواظبة وتحمسا ، وأنست له ، وافسحت له الكثير من الصفحات ، ثم حدث أن زادت مشغولياتى فى « الأهرام » بعد وفاة المرحوم أنطون الجميل باشا فزادت مسئولياته فى الفصول ، إذ أصبح يقوم بأكثر العمل فيها أو كله » .

قال الأستاذ أحمد بهاء الدين بتأثر واضح : كلامه ده صحيح وأنا أعتز بهذه الفترة جداً ، أصبحت مدير تحرير الفصول ، وكان عمرى وقتها ٢١ أو ٢٢ سنة ، لأنه واقعيا كان الأستاذ زكى عبد القادر قد أصبح رئيس تحرير الأهرام ، ورغم أن الفصول كانت شهرية ومحدودة الانتشار لكن أصبح لها مركز جذب للمثقفين ، وأعتز اننى نشرت لأول مرة لعدد من الكتاب الذين أصبحوا فيما بعد من أصحاب الأسماء اللامعة ، وكانوا يومها مغمورين ، وكتبوا فى الفصول لأول مرة بأسمائهم ، فتحى غانم ، عبد الرحمن الشرقاوى ، أحمد رشدى صالح وكان وقتها مختفيا لأنه كان مطلوبا من البوليس ويكتب باسم مستعار ، أيضا نشرت لعلى الراعى ، نعمان عاشور ، يوسف الشارونى ، وعدد ملفت آخر تجمعوا فى مكتب « الفصول » الذى كان مقره شارع شريف ، وسرعان ما تحول إلى نوع من الملتقى ،كان كل واحد من هؤلاء يأتى ويعرفنى بغيره ، بدأ بدر الدين أبو غازى يكتب عن الفن التشكيلى ولم أكن أعرف أحداً منهم قبل ذلك باستثناء الشرقاوى وفتحى غانم (لأنى عرفتهما أثناء الوظيفة)

فمثلا أكون بالمجلة فيأتى واحد ويعرفنى بنفسه قائلاً : أنا اسمى نعمان عاشور وبكتب قصص وهكذا .

● قلت : وظروف انضمامك لروزاليوسف ؟

قال : كان هذا قبل ثورة يوليو بشهور قليلة فيما أذكر ، ونشرت وزارة الهلالى باشا فى ذلك الوقت الميزانية المصرية ، ولم يكن مألوفا أيضا فى ذلك الوقت الكتابة فى المسائل الاقتصادية كما هو الآن ، فالسياسة أصبحت كلها اقتصاد ، فكتبت مقالا عن الميزانية مهاجما لها بشدة وأيضا بشكل مبسط ، أرقام فوجىء بها الناس ، وكان هذا نغمة جديدة وقتها ، الكلام عن الاستثمار وعن التنمية فهذه الكلمات لم تكن موجودة ، وأن الميزانية أكثرها لاستيراد المجوهرات والفراء ووسائل الترف ، وكانت هذه نغمة جديدة فالتقطتها مجلة روزاليوسف وفوجئت أنها منشورة فى الصفحة الأولى بعناوين ومانشيتات بل منشورة مكان الافتتاحية ، فاعتبرت هذا تصرفا ممتازا من المجلة ، فهو مقال لشخص غير معروف إنما لأسباب موضوعية ينشر فى الصفحة الأولى ، فهذا شجعنى على أن أكتب باستمرار ، وكنت أرسل باستمرار بروازا ينشر فى صفحة أو ثلاث وأتركه مع بواب المجلة دون أن أعرف أحداً فى روزاليوسف لفترة طويلة .

وفى أحد الأيام وكان وقتها المرحوم عميد الإمام سكرتير تحرير روزاليوسف فقابلته بالصدفة على باب المجلة ولم أكن أعرفه فقال لى : ده إحنا بنقول للبواب دائما إنك عندما تيجى يبلغنا عشان عايزينك ، المهم أخذنى وعرفنى على السيدة روزاليوسف والأستاذ إحسان عبد القدوس واستمريت فى الكتابة وعرضوا علىَّ أن أشتغل فى روزا لكنى رفضت ، فقد كنت فى مجلس الدولة وعلى وشك أن أسافر إلى فرنسا لإكمال رسالة الدكتوراة ، لكنى كنت دائما أعمل فى فترة بعد الظهر : ثم زادت مسئوليتى فألغيت الرحلة إلى فرنسا ثم استقلت من مجلس الدولة .

● قلت : وظروف صدور مجلة « صباح الخير » وكنت أول رئيس تحرير لها ؟

قال : كان لدى السيدة روزاليوسف ترخيص قديم منذ سنوات طويلة باسم « صباح الخير » وكانت كما قالت لى : تتمنى أن تصدر مجلة أو جريدة باسم هذا الترخيص قبل أن تموت ، وطلبت منى إصدار هذه المجلة ، فتوليت عملية إصدارها ، وكنا جميعا مترددين ، لأن الوسائل المتاحة كانت بسيطة جداً .

● قلت : بل الأكثر من هذا إنك كتبت فى العدد ١٥ من صباح الخير تقول أنك كنت من أشد المعارضين فى إصدار صباح الخير ..

فيكمل قائلاً : لم أكن متوقعا أن تستمر ، لأنه حتى وقت صباح الخير كانت السوق الصحفية قد رأت عشرات المحاولات لإصدار مجلات ذات طابع اجتماعى وليس السياسى ، وكانت تغلق أبوابها بسرعة ، فأنا لم أكن أتوقع لها إلا هذا المصير فى

الواقع ، خصوصا أنها ستكون نفس طباعة روزا ونفس الورق أيضا فى ذلك الوقت ، ولابد أيضا أن تتشابه مع روزا لأنها ستقوم على الرسم والريشة والكاريكاتير ، أى ستكون نسخة اجتماعية وليست سياسية من مجلة ناجحة ، وعادة فهذه تجربة خطيرة جداً .

المهم أن السيدة روزاليوسف صممت على إصدارها بأى ثمن ، وكانت الميزانية والوسائل المتاحة لنا قليلة جداً جداً ، وصدر العدد الأول وليس فيه من يساهم من الصحفيين رغم شبابهم إلا أنا والأستاذ حسن فؤاد والفنان زهدى بصفته هو الذى رسم غلاف أول عدد فقط لاغير .. وصلاح جاهين كان وقتها يعمل فى التوضيب .. وأول مرة يرسم فيها صلاح جاهين « كاريكاتير » كان فى صباح الخير ، كان حلمه أن يرسم موتيفات « رسوم صغيرة » ولم يوافقوا .. وذات يوم قال لى الأستاذ حسن فؤاد : إنه فيه شاب ليس له عمل معين ما رأيك لو أتى يساعدنا فى ماكيت المجلة ، كان صلاح جاهين وقتها مهتما بكتابة الأغانى ، وعندما رسمنا أول مشروع لماكيت صباح الخير حددنا به أماكن نظرية يوضع مكانها نكت وكاريكاتير ، وكنا وقتها نحاول عمل أحجام وأشكال مختلفة للكاريكاتير عن روزاليوسف ، وفوجئت وأنا أرى هذا الماكيت بأن صلاح جاهين قد قام برسم كاريكاتير بالقلم الرصاص داخل هذه البراويز وكان الكاريكاتير بالفعل ملفتا للنظر سواء من ناحية الذكاء أو خفة الدم أو الخطوط ، فسألته :

أنت ليه مش بترسم « كاريكاتير » ؟

فقال لى : أنا مشكلة حياتى إنى أرسم كاريكاتير ولا أحد يرضى أن يجعلنى أرسم « كاريكاتير » إنما يقولون لى وضب .. شيل .. حط ، وكمان بأكتب أغانى ، فسألته : هل مستعد ترسم « كاريكاتير » فى المجلة ، فقال : آه مستعد .

صلاح جاهين لم يرسم « كاريكاتير » إلا منذ أول عدد فى صباح الخير ، ولم يكن معروفا ، إنما انفجر كالقنبلة ، فلم يبدأ بداية تدريجية .

جميع من أسسوا صباح الخير منذ أول عدد كانوا طلبة فى قسم الصحافة بكلية الآداب على أكثر تقدير أو طلبة فى كلية الفنون الجميلة ، واليوم أسماؤهم ملأت الدنيا .. مثلا صلاح جاهين ، رجائى ، حجازى ، بهجت ومن المحررين محمود المراغى ، نجاح عمر ، زينب صادق ، نهاد جاد ، لويس جريس كان فى قسم الصحافة بالجامعة الأمريكية ولم يكن مضى على تخرجه شهر واحد ونجاحها بهذه المجموعة كان أهم شىء ملفت وقتها .

● قلت : اخترت شعار صباح الخير « للقلوب الشابة والعقول المتحررة » عام ١٩٥٦ ، هل ترى أنها مازالت تلتزم .

قال بسرعة وحسم : مازالت محافظة على نفس الشعار .

● قلت : يوم مات « على أمين » كتبت على صفحات الأهرام : فى إحدى أزماتى مع السلطة قلت لممثل السلطة : إن الثورة لها أفضال على أناس كثيرين ربما كانوا لا يستحقون . ولكن الثورة لا فضل لها علىَّ بالمعنى الشخصى . فإيمانى بها مجرد من النفع ، ذلك إننى توليت أكبر منصب يفكر فيه صحفى وأعلى مرتب قبل تأميم الصحافة ، وبقوانين السوق الحرة ، ومارست ذلك حتى زهدت فيه ، وما أريد سوى أن أكون كاتبا ، لأننى أعتقد أن لقب كاتب أو محرر هو أعلى لقب فى الصحافة .

يبتسم أحمد بهاء الدين قائلا : ليست أزمة معينة ، لكن أنا أعتقد أن الصحافة لها عدة طرق ، وكل صحفى يشعر انه يستطيع أن يتقدم فى اتجاه ، فهناك الصحفى الذى يستطيع أن يتقدم فى أن يكون مخبرا صحفيا من الدرجة الأولى ، أى كفاءته فى الحصول على الخبر فى الدرجة الأولى ، وآخر يشعر أن استعداده هو الكتابة والتحليل بالدرجة الأولى ، وهناك صحفى تتجلى موهبته فى إدارة العمل الصحفى ، وهذا أشبه بقائد الأوركسترا ، الذى قد لا يكون أهم عازف للكمان أو للبيانو . فقد يكون عنده عازف بيانو ومشهور عالميا ، ولكن قائد الأوركسترا هو الذى ينسق الأوركسترا من المواهب والكفاءات الموجودة عنده بحيث يخرج أحسن ما لدى كل من يشتغل معه .

وأنا قلت هذا الكلام عندما قررت أن أترك نهائيا اى مسئولية سواء كرئاسة تحرير أو رئاسة مجلس إدارة على أساس أننى أعتقد بعد مرحلة معينة من السن والعمل والجهد والتعب إنه قد آن الأوان للإنسان أن يختار ما هو صالح بالنسبة له ويحبه .

ولكن التقليد الموجود فى مصر - وهذا كلام قلته للمسئولين فى مصر - أن رئيس التحرير هو الذى يكتب مقال الصفحة الأولى ، وهو الذى يكتب الافتتاحية بتوقيعه ، وهذا التقليد ليس موجودا فى العالم كله ، لأنه بدعة محلية .

وجهد رئيس التحرير فى الأساس هو إبراز أحسن ما عنده ، أن كل شخص عنده يعطى أحسن ما لديه ، الكاتب ، سكرتير التحرير ، الرسام ، المخبر الصحفى .

أما تقليعة أن قرار تعيين رئيس التحرير ، فيصبح رئيس التحرير هو الكاتب الأول فى الجريدة أو المجلة فهذا ليس موجودا إلا فى مصر .

أكثر من هذا ، أنا كنت دائما أقول للمسئولين عن الصحافة ، إننا لو أخذنا الصحافة الأمريكية أو الإنجليزية أو فى معظم البلاد المتقدمة لا نجد اسم رئيس التحرير مكتوبا على الإطلاق ... وأذكر مرة فى أحد الاجتماعات وكان الموجودون من غير الصحفيين ، فسألت هل يعرف أحدكم اسم رئيس تحرير التايمز ؟ قالوا لا ! أو الجارديان ؟ قالوا لا .. لأنها ليست موجودة إنما يعلمون اسم المخبر الرئيسى لأنه يكتب فى الصحفة الأولى كتب فلان أو السبق الصحفى الذى أحرزه أو مقال بقلم فلان ، لأن رئيس التحرير هو الذى يتولى طبخ كل هذه الأشياء .

أنا أقول هذا اتجاه وهذه كفاءة غير كفاءة الكتابة وغير كفاءة رئاسة التحرير .

لذلك أنا فى وقت من الأوقات قررت أننى لم أعد مضطرا أن أتحمل مسئولية ثلاثة آلاف محرر وموظف وعامل .. وعمليات بيع وشراء واستيراد مطابع وورق ، وأحسست أن هذا ليس أحسن شىء أجيده ، وأنه فى فترة من الفترات فالإنسان يجب أن يتخصص فى شىء يجيده .

● قلت : حكى إحسان عبد القدوس فى حوار له أنك حذفت له سطرين من مقال دون أن تخبره بذلك ؛ فذهب إلى أخبار اليوم ليتولى رئاسة تحريرها .. أريد أن أعرف ظروف هذه القصة !

- أنا لا أتذكر ذلك ، وأكاد أستطيع أن أنفى هذه الواقعة ، إنما لو تذكرت هذا المقال ربما كنت آعيد النظر .. ولكن أين نشرت هذه القصة ؟

● قلت : فى كتاب صدر منذ أسابيع عنوانه : « اعترافات إحسان عبد القدوس » .

قال : هل كانت القصة عارية من التفاصيل ؟

● قلت : تماما !

ملحوظة : فى صفحة ٧٢ من الكتاب السابق يسأل محمود مراد : لكنك لم تستمر على هذا الوضع طويلا .. لقد تركته فى يونيو ٦٦ فقال إحسان :

لأن أحمد بهاء الدين ارتكب نفس الخطأ - حذف سطرين من مقال لى دون أن يخبرنى ويومها فى المساء تحدثت مع محمد حسنين هيكل بالتليفون .. وكان هيكل قد عرض علىَّ قبلها بثلاثة أشهر أن أنتقل للعمل فى أخبار اليوم - وكان يشرف عليها وقتها - ولهذا حدثته وحددت معه موعداً للقائه فى مكتبه فى الأهرام الثامنة صباح اليوم التالى ، وأخذنى إلى أخبار اليوم لأتولى رئاسة تحريرها .

يواصل أحمد بهاء الدين حديثه قائلاً : أذكر على العكس ، ففى حوالى عام ١٩٦٦ ، وكنت رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال وانتدبت لأعمل رئيسا لمؤسسة روزاليوسف ، وكان إحسان عبد القدوس وقتها يتعرض لمضايقات فى النشر فى روزاليوسف وعرضت عليه أن يكتب ما يشاء فى مجلة المصور ، وقد نشر ما شاء فى المصور ، وأنا لا أستطيع أن أذكر شيئاً من هذا القبيل قد حدث إطلاقا .

ومن حيث المبدأ أريد أن أقول إن رئيس التحرير له ولاية على ما يكتب فى الجريدة أو المجلة سواء أكان خبراً أو مقالا ، وله حق الاعتراض وإلا لا يكون رئيس تحرير ولكن على سبيل القطع والتأكيد فإنه ليس من ملكى الشخصى أن أحذف لأحد أكبر منى سنا أو أقدم منى فى المهنة ، إلا إذا كان مثلا بعد استئذانه أو بعد التفاهم معه وهذا حدث مع الأستاذ محمد التابعى عندما كنت رئيسا لتحرير أخبار اليوم مع الأستاذ فكرى أباظة عندما كنت رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال ولكن فى كل مرة كنت أرى ان هناك وجها للتحفظ على بعض ما يكتبه ، فكان هذا الموضوع يتم بإخطارهم وموافقتهم وبعد استئذانهم .

وأنا لا أتصور أننى سلكت مع الأستاذ إحسان عبد القدوس مسلكا يختلف عما سلكته مع الآخرين وظروف ذهابه إلى أخبار اليوم ـ لا أريد أن أتحدث عنها ـ لأنه لا علاقة لها إطلاقا بمثل هذا الأمر ، والذى حدث بالضبط أنه عندما تولى الأستاذ هيكل مسئولية مؤسسة أخبار اليوم أراد أن يقويها بعدد من الناس ، فعرض على الأستاذ يوسف السباعى أن يرأس تحرير مجلة « آخر ساعة » وعرض على إحسان عبد القدوس أن يرأس تحرير أخبار اليوم ، وعرض على جلال الدين الحمامصى أن يرأس جريدة الأخبار وهذا ما حدث ..

● قلت : طالبت ذات يوم بأن يكون للإعلام « حصانة » وأن يكون له « ضمير » كيف ؟

قال : المطالبة بحصانة للصحفيين شىء غير متعلق بى وحدى ، وأعتقد أنه لا يوجد صحفى إلا وطالب بهذه الحصانة لأن ذلك مطلب لكل الصحفيين ، ولكن فى الوقت الذى نطالب فيه بحصانات قانونية فأنا ـ على الأقل ـ من الذين يعرفون جيداً أن الحصانة لا تأتى من أى نصوص مكتوبة ، لأنه ثبت بالتجربة أن النصوص تجدها متشابهة فى كل دساتير العالم ولكن فى واقع الأمر التطبيق هو الذى يختلف ! حصانة الصحافة الحقيقية تأتى من قوتها مدعمة بقوة المؤسسات الأخرى فى الدولة كالقضاء . المجالس البرلمانية ، المنظمات النقابية والمهنية ، قوة ضغط الرأى العام ، وهذه الأشياء حقيقة هى التى تحمى الصحافة ، ولكن حين تكون هذه المؤسسات ضعيفة فالصحافة تبقى عارية بلا حماية مهما وضعنا من نصوص وقوانين .

وهذه هى القضية ، إن حصانة الصحافة لن تأتى إلا مع الوقت ، حين تصبح لكل المؤسسات درجة معقولة من الحصانات .

● ضحك الأستاذ أحمد بهاء الدين طويلا حين قلت له : على مدى هذا العمر كله ماهى متاعبك مع الرقابة ؟

ساد الصمت للحظات قال بعدها أحمد بهاء الدين : أحيانا كانت الرقابة معتدلة ، أى رقابة بالنسبة لقضايا محدودة . فكانت فرصة الكتابة متوافرة ، وأحيانا كانت الرقابة فى ظروف حرجة يمر بها البلد فتصل الرقابة إلى أقصاها . وأنا شخصيا كنت دائما أحرص على شيئين .. الأول هو ألا تجعلنى الرقابة أكتب غير ما أعتقد به . فأنا لست من الكتاب الذين بسهولة ينكرون ما كتبوه ، أى أنا أفهم أن أقول إننى كنت مخطئا عندما قلت كذا وكذا .. ولا أفهم أن أقول إننى كنت مضطرا أن أكتب كذا .. لأنه لم يكن هناك أحد مضطرا .. هناك الصمت !

الشىء الآخر أننى كنت أعتقد أنه مهما كانت ظروف الرقابة . ففى بلادنا يستطيع الكاتب أن يكتب فى أى موضوع آخر ، مثلا كتابى « أيام لها تاريخ » كتبته فى مرحلة كانت الرقابة فيها بالغة الشدة ، كان ذلك عام ١٩٥٤ « أثناء أزمة مارس » وكنت أريد

أن أقول أنه لابد للبلد من دستور ومن حد أدنى من الديمقراطية رغم موافقتنا على الاتجاهات الاجتماعية الأساسية للثورة .. فلجأت للتاريخ . كان أحد المخارج هو التاريخ ، وهكذا كتبت فصوله ، والتى كانت تتحدث عن حرية الرأى وضرورة الدستور من خلال قصص ومواقف من تاريخ مصر الحديث يقرأها الناس ويستفيدون . وبها ثقافة ومعلومات . لأنه مثل ما قلت إن الكاتب فى بلاد مثل بلادنا عليه واجب تثقيفى إزاء القارىء إلى جانب أنه يجب أن يعبر عن رأيه .

● ظروف ترشيحك لمنصب نقيب الصحفيين المصريين ثم اتحاد الصحفيين العرب ؟

أجاب الأستاذ بهاء : تقدمت لانتخابات منصب نقيب الصحفيين المصريين فى ظل ظروف نكسة ١٩٦٧ وكان ذلك تحت ضغط كثير من الزملاء ، وكنت أعتقد أن المهمة الأولى للنقابة فى تلك الفترة هى عدم إضافة عناصر تمزق وصراعات أخرى ، حتى أننى اشترطت على زملائى أن افوز بالتزكية أو لا أتقدم للانتخابات وبالتالى قابلت المرشحين الآخرين الذين كانوا فى ذهنهم الترشيح ، ووافقوا على هذا المنطق ، وأنه ليس هذا وقت خوض معارك انتخابية وهزيمة ٦٧ لم تمض عليها شهور ، وتمت الانتخابات بهذا الشكل ، وكان هذا هو السبب الوحيد الذى من أجله رشحت نفسى للانتخابات لأننى أعتقد أنه تكمن فى الصفات الجماهيرية التى تجعلنى أفضل من يقوم بأعباء هذا المنصب .

بالنسبة لاتحاد الصحفيين العرب . فقد كانت هناك عشرون دولة عربية تمثلها عشرون نقابة صحفية ، وقد كانت لى علاقات بكثير من الزملاء الصحفيين العرب الذين قالوا لى يومها : إننى إذا رشحت نفسى فستكون رئاسة اتحاد الصحفيين العرب فى مصر ، وقد كانت مصر فى ذلك الوقت محتاجة إلى أن تكون موجودة فى الساحة بأكبر قدر ممكن . وبالتالى انتخبت رئيسا لاتحاد الصحفيين العرب .

ثم تجدد الانتخاب بعد أربع سنوات ثم بعد ٨ سنوات (مدتين رئاسة) استقلت من رئاسة اتحاد الصحفيين العرب وكتبت إلى المؤتمر رسالة أقول فيها : فى هذه السنوات الثمانى تراجعت الحقوق الصحفية والحريات الصحفية فى العالم العربى بدلا من أن تتقدم للمزيد . وأنا أشعر أن الاتحاد عاجز عن عمل شىء . وأنا أؤيده و« تحت أمره » لكن قد يكون غيرى أقدر على عمل شىء !

قلت وأنا أتحسس حروف الكلمات : يحتار الإنسان القارىء لك فى تصنيفك فكريا ـ إن صح التعبير ـ فاليسار يزعم أنك يسارى . والناصريون يؤكدون على كونك ناصرياً ، فماذا ترى نفسك بالضبط من كل هذه التيارات السياسية ؟!

يقول : فى البداية أريد أن أقول إننى لست ضد الإنسان الذى يتغير فكره ، فأنا دائما أقول لزملائى الشباب غير ممكن أن يأخذ الإنسان القرارات النهائية فى حياته وهو فى سن العشرين من عمره ، إنما لابد ستطرأ عليه تعديلات ، إذن فمبدأ أن

الإنسان فكره يتغير من مرحلة لأخرى هذا شيء وارد ويكاد يكون طبيعيا .

لكن فيما يتعلق بي أنا ، فإن ما حدث منذ البداية وأنا في ذهني أن تكويني هو تكوين « اشتراكي ديمقراطي » هذا من ناحية الموقف الأيديولوجي النظري البحت ، فما أتوقع أنه النظام الأمثل هو النظام الاشتراكي الديمقراطي خصوصا لبلاد مثل بلادنا ، هذا عن الجانب الأيديولوجي بالنسبة للصحفي فعليه أن يتفاعل وتكون ردود أفعاله مع مواقف معينة قد لا تكون هي بالتحديد ما في ذهنه أيديولوجيا . فمثلا أذكر وأنا طالب في كلية الحقوق ، أنه كان من بين زملائي من أصبحوا بعد ذلك من البارزين في الإخوان المسلمين وكان تيار الإخوان المسلمين قويا جداً في الجامعة وأيضا تيار الشيوعيين كان قويا جداً في الجامعة وكلاهما فشل تماما في أن أنجذب إليه ، إنما كان هواي مع حزب الوفد ، أنا في حياتي لم ادخل أي حزب أو تنظيم . وأنا لا أقول هذا على سبيل الفخر ، لكن كل إنسان له طبيعته .

أنا في ناحية التفكير وتكوين الرأي ، أستطيع أن أقول إنني أميل إلى النزعة الفردية . أي أحب أن أكون رأيا لنفسي ، ولا أتصور في أي عمل تنظيمي كيف تخضع لرأي الأغلبية وعليك أن تقبله وتتبناه . وهذا من مبادىء التنظيم أيا كان التنظيم السياسي أنا لا أتصور كيف أمارس هذه الحكاية وبالتالي يمكن يكون مثل هذا الأمر عقبة حالت طوال حياتي بيني وبين الالتحاق بأي تنظيم سياسي .

إنما قبل الثورة كان هواي دائما مع الوفد ، ويمكنني القول في وصف هذا أنه كاشتراكي ديمقراطي في تلك المرحلة قبل الثورة ، كان حزب الوفد هو الحزب الشعبي الأول الذي استوعب واقعيا آمال الجماهير ، وهو القادر على فعل تغيير إذا كان يوجد أمل في التغيير رغم كل عيوبه . وقامت الثورة .. وحلت الأحزاب وجاءت الثورة بمبادىء وأهداف أقرب إلى تفكير الإنسان من قبل الثورة ، فالثورة في الواقع لم تأت بأي شعار مخترع ، مثلا تحديد الملكية الزراعية . القومية العربية ، الحياد الإيجابي ، كل هذه الشعارات الأولى للثورة كانت آراء كتبها عدد من المثقفين في وقتها .

أريد أن أقول إن الثورة لم تأت بجديد . إنما جاءت بشعارات كان هناك من تبناها من قبل ، فلما جاءت الثورة كنت من مؤيدي شعاراتها التقدمية الجديدة .

يسرح أحمد بهاء الدين ببصره ثم يقول لي : أريد أن أقول إن هناك الاقتناع المذهبي الخالص . إنما مثلا على ضوء هذا الاقتناع المذهبي جاءت الثورة وكان فيها العنصر الديمقراطي ناقص في معظم فتراتها ، لكن أيضا حين نقارن بين الثورة وبين الإنجازات الاجتماعية الهائلة والتي قصد بها القفز بحياة الأغلبية الساحقة من الشعب المصري وهي الفقراء والبسطاء . فهذا شيء لابد من تأييده . لأنه يصعب دائما على الإنسان أن يقوم بعمل صيغة نظرية تماما ويجدها بالضبط لأن هذه تحتاج

إلى درجة من تعدد الأحزاب بحيث إن كل إنسان يكون لديه « البدلة » التى على مقاسه بالضبط ، وهذا ليس موجوداً دائما .

إذن هناك الموقف الفكرى المحض أو العقائدى وهناك الموقف السياسى التطبيقى . فى موقف معين مثلا أنا كاشتراكى ديمقراطى قد يكون لى أولويات تختلف عن أولويات الديمقراطى الليبرالى . فأنا أرضى بالتضحية ببعض الليبرالية إذا كان هذا يحقق تحولا اجتماعيا فى المجتمع نحو مزيد من العدل . فى حين أن الليبرالى الصميم لن يرضى بهذا مثلا . إذن الأولويات هنا تختلف .

● قلت : ألم تتأثر بالفكر الماركسى أو الإخوانى فى مرحلة ما ؟

قال بإصرار : أنا قرأت كل شىء وتأثرت بكل شىء . والذى يقول إنه لم يتأثر بشىء فلم يكن هناك داع لأن يقرأ . لكن فى الواقع الذى يهتم ويقرأ يتأثر . فأنا كنت ومازلت أتابع قراءة كافة التيارات المختلفة لأنى كما قلت لست فى تنظيم أو حزب أو تيار معين ألتزم به . ولكنى مستقل فى تفكيرى ، ولكن جزءاً أساسياً من مكوناتى هو اطلاعى المستمر على الجديد فى هذه الشئون . مثلا أنا أفهم تماما دور الإسلام فى تكوين المجتمع المصرى العربى بصفة عامة لأن هذا هو التراث ووعاء الحضارة وله دور أساسى وله أيضا قيم معينة .

بالنسبة للماركسية فهى قد أدخلت على التفكير العالمى أشياء حتى أمريكا أخذت بها اليوم بمعنى أن كل فكرة التخطيط يمكن إرجاعها للماركسية فلم يكن هناك شىء اسمه التخطيط الاقتصادى . وضع حد أدنى للأجور ، تدخل ضخم من الدولة فى كل اقتصاد الدولة .. وعندما ينفذون التأمين الصحى . هذه الأشياء كانت مرفوضة تماما هناك أشياء كثيرة جداً فى الماركسية لا يمكن تجاهلها ولا يمكن إنكارها وهى مساهمة فى التفكير الاقتصادى ضخمة جداً وأساسية .

● قلت : غالبية كتبك مقالات متفرقة أعيد جمعها فى كتاب !

قال : هذا صحيح ، فأنا لم أكتب كتابا بذاته إلا « فاروق ملكا » و« إسرائيليات » و« ما بعد العدوان » أما باقى كتبى فكانت مقالات متفرقة طلب الناشرون تجميعها . ومنذ بدأت الكتابة وأنا دائما فى ذهنى مشروعات كتب أريد أن أكتبها ولا أكتبها .

● قلت : لو عادت بنا الأيام .. وكانت لديك اختيارات هل كنت ستسير فى نفس المشوار ؟

قال : أعتقد ذلك ، وإن كنت أحيانا أفكر فى أمرين أحس أننى حبذا لو سلكتهما فى الحياة . الأول الاهتمام بالتاريخ والعمل كمؤرخ ، والثانى الاشتغال كمهندس لأن أغلب الناس لا يعرفون أنى أهوى الهندسة المعمارية ، لأن الهندسة علم اجتماعى .. ليست الهندسة بمعنى . مسلح ، وبناء .. وتخطيط المدن . وأنا نصف مكتبتى فى هذا الموضوع .

● قلت : إحدى مشكلات البلاد النامية ومن بينها مصر مشكلة « الأصالة والمعاصرة » أى كيف نكون معاصرين دون أن نفقد أصالتنا . كيف ترى الخروج من هذا المأزق الفكرى ؟

قال : هذا سؤال يصعب الرد عليه ببساطة ، لأنه فى الواقع هذه مشكلة المشاكل التى تواجه مصر وتواجه العالم العربى وتواجه العالم الإسلامى ، فهذه القضية طرحت منذ أيام الشيخ محمد عبده . والأسئلة التى طرحت منذ مائة سنة وأكثر لم يجب عليها بعد ، لم يجب عليها بمعنى أن المجتمع لم يصل إلى حل فيها . بالطبع هناك آراء فأنا لى رأى وغيرى له رأى . لكن لم تصبح هناك صيغة مقبولة لدى المجتمع أنه كيف يجمع بين الأصالة والمعاصرة أو ماهى الترجمة الحقيقية لهذا .

لأن كل إنسان يقبل من حيث المبدأ الجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ولكن المشكلة كيف ، المشكلة ما الذى تعتبره أصيلا وغير أصيل . فمثلا هناك من يعتبر كل ما سلف فى الزمان أصالة سواء مصرية أو إسلامية أو عربية فى كل هذه الحضارات المتداخلة ، هى فى بعض القيم الأساسية ، وهناك قيم أخرى كثيرة جداً لحقت هذا التراث كله فى عصور الاضمحلال والضعف والانحلال التى كانت هى أغلب الوقت ، فالـ ١٤٠٠ سنة إذا أخذنا التاريخ الإسلامى وبدء هذا الكيان العربى الإسلامى سنجد أن معظم تلك الفترة كانت فترة حروب وانحلال واضمحلال واضطهاد وتخلف مئات السنين والقرون ، فهنا سنجد قيما كثيرة ، إذن لا يمكن أن نتقدم دون إعادة نظر إلى هذا التاريخ نظرة موضوعية جريئة وصريحة ، تنظر للأشياء فى علم وتميز بين ماهو حقيقة أساسى وهى القيم الأساسية فى أى تراث أو أى حضارة أو أى جيل وبين التطبيقات والتفسيرات التى لحقت به فى قرون مختلفة .

فمثلا أنا حقى فى التفكير بالنسبة لهذه القضايا ـ فى رأيى ـ لا يختلف عن حق أى شخص فى التفكير ابتداء ـ ولنقل ـ منذ عصر معاوية ، فإذا كان هناك فقيه أو مفكر بعد الخلفاء الراشدين ونحن نعتبرهم فترة خاصة وهى فترة قبل قيام الدولة بمعناها المعقد ـ إذا كان من حقه أن يفكر ويفسر فأنا من حقى ـ خصوصا المجتهدين ـ الآن نفس الأحقية فى التفسير ربما أكثر لأننا نعرف الظروف الجديدة .

أما اعتبار كلام فقهاء أو أناس مهما كانت قيمتهم ولكنهم بشر وكانوا فى ظروف مختلفة وتعرضوا لكل ما يتعرض له بشر من إغراءات أو من الإرهاب أو القوة أو الضعف ، أن نعتبر هذه أشياء مقدسة فأنا ضد هذا !

هنا كل إنسان يقبل الأصالة ولكن نختلف فى تفسير الأصالة ، هناك من يعتبرون أن العصر الذهبى هو الذى كان ، أنا أقول الذى كان لم يكن كله عصراً ذهبياً ، وإنما كان فيه .. وفيه .. هذه إذن قضية خلافية كبيرة ، وأنا أرى أن الحياة الواقعية ستحلها رغم أنف كل أصحاب الآراء .



○ عبد الناصر وهيكل فى الهند يداعبان احد النسانيس !

● قلت : بعض علماء الاجتماع الأمريكيين يؤكدون على حقيقة مؤداها أن البلاد النامية يمكن أن يحدث فيها التغيير الاجتماعى دون الحاجة إلى المثقفين ! ما رأيك ؟

يقول : ظهور المثقفين هو جزء من التطور . وعندما نقول إن بلداً ما يتطور فهذا معناه أن جزءاً من التطور يعنى أن يتقدم فى الإنتاج « زراعى أو صناعى » يتقدم فى التعليم وهذا معناه أن سيفرز فئة مثقفة ، بعد ذلك يأتى وزن الفئة المثقفة وبأى حجم ، إذن هى عملية متفاعلة والمثقفون فى بلد متخلف ليسوا ملائكة يهبطون من السماء . أو من كوكب آخر ، المثقفون هم إفراز الواقع والواقع يفرزهم وهم يؤثرون فى هذا الواقع ويحاولون شده وجذبه إلى الأمام .

وأنا كنت أقول باستمرار إن الكاتب فى البلاد المتخلفة عليه أن يكتب تحت كل الظروف ولا يمتنع عن الكتابة ، وإذا استحال عليه أن يكتب فى السياسة ، فعليه أن يكتب فى التاريخ أو الجغرافيا ، فى الفن فى الأدب فى أى شىء . فى كل ما هو تثقيف عام .

● قلت : المثقفون العرب متهمون بأنهم مصابون بمرض الهروب من الواقع أو الشعور بعقدة الذنب فيعبرون عنها بطريق غير مباشر فيدينون الإرهاب الفكرى الواقع فى أمريكا اللاتينية أو يدافعون عن المثقفين المعتقلين فى سجون جنوب أفريقيا .. ويتجاهلون الواقع العربى ! ما رأيك ؟!

يبتسم قائلا : هذه فى الواقع حيلة يلجأ إليها الكاتب فى معظم الأحيان ، فإذا كان الكاتب فى بلد ما لا يستطيع التحدث عن المعتقلين السياسيين فى بلده ، لأن هذا ممنوع منعا ماديا ، فهو يشعر أنه حين يتحدث عن الاضطهاد السياسى أو قمع حرية الرأى فى أى بلد آخر ، فهنا فيه نوع من الإسقاط على الموقف الداخلى ، وعلى الأقل فهو يشعر قراءه أن هذا الشىء مبتكر من حيث المبدأ ، لأنه بهذا يكون يحاول أن يقول شيئا فى حدود الممكن ، وبرنارد شو كان له كلمة أثناء الحرب العالمية الأولى على ما أظن وكانت توجد رقابة فى انجلترا وكان « شو » ضد الحرب فكتب يقول :

إننى أذهب فى الكتابة إلى أن أصل إلى سور الأسلاك الشائكة ! « لكنه يعلم أنه لن يستطيع القفز فوق الأسلاك الشائكة ليكتب ما يريد » .

● قلت : هل لك عادات معينة فى الكتابة ؟

كثير من هذه العادات تتغير بحكم الظروف ، وعموما أنا لست ضعيفا أمام وسائل الترف إلا فى مسائل الورق والأقلام ، فأنا لا أحب الكتابة على ورق الجرائد مثلا وطوال عمرى أشترى ورقاً أبيض من أوروبا لأكتب عليه .

● قلت : ألم تستخدم أسماء مستعارة لبعض ما كتبت ؟

قال : استخدمت أسماء مستعارة وكانت فقط من باب الضرورة الصحفية لبعض الأبواب ، لكن لم أكتب أبداً مقالا سياسيا وأوقعه باسم مستعار .

● قلت : المجال الذى لم تكتب فيه إطلاقاً ؟

قال : الرياضة والمطبخ والموضة .

● قلت : لو كتبت سيرتك الذاتية ماذا تسميها ؟

ابتسم قائلاً : إذا وجدت اسما سأكتبه !

● قلت مُصِرّاً : ألم تفكر فى كتابة قصتك مع الصحافة ؟

قال : الحقيقة لم يخطر هذا على بالى ، إنما الذى أتمنى أن أكتبه ليس سيرة ذاتية لى شخصيا لأن هذا عمل محدود إنما فى ذهنى أن أكتب شيئا مختلفا ، ليس مألوفا ، أقصد سيرة ذاتية للجيل الذى أنتمى إليه ، فنحن جيل مر بظروف معينة ومراحل معينة ، أقصد المثقفين بالتحديد (الكتاب ، الصحفيين ، الصحفيات) وأعتبر هذا نوعا من التاريخ لهذه المرحلة ، والتاريخ هنا سيرة قصة حياة جيل وليس قصة حياة شخصية معينة .

وأتمنى لو استطعت أن أقوم بهذا العمل .



٨ د . يوسف ادريس

قصتي مع صحافة عبد الناصر والسادات !

« الصحافة » واحدة من محطات د . يوسف إدريس الهامة !

كانت« الجمهورية » محطته الأولى ، والأهرام محطته الثانية والأخيرة !!

« الجمهورية » جريدة الثورة ولسان حالها وصاحب امتيازها جمال عبد الناصر . والنموذج المصغر لصراع الكواليس والدهاليز فى السلطة !

ما بين « الجمهورية » و« الأهرام » كانت ليوسف إدريس رحلة طويلة .

وإذا كانت الفترة التى امضاها فى الجمهورية بمثابة« قصة قصيرة » فالمدة التى قضاها فى الأهرام (١٨ سنة) هى « رواية طويلة » ..

الصفحات القادمة شهادة من د . يوسف إدريس على صحافة مصر عبد الناصر والسادات . شهادة تجعلنا نتوقف كثيراً أمامها بالتأمل والدهشة

● قلت له : كم عدد المرات التى قابلت فيها جمال عبد الناصر ؟ وظروف كل مقابلة ، وما الذى تذكره عنها ؟؟

قال : طوال ١٨ عاما هى مدة حكم جمال عبد الناصر ، لم أقابله سوى ثلاث مرات فقط . أول لقاء كان بعد قيام الثورة مباشرة ، وكنت أيامها أعمل فى جريدة « المصرى » قبل أن تغلق فيما بعد . وكانت المقابلة فى بيته وكان معنا المرحوم الأستاذ مرسى الشافعى مدير تحرير المصرى وقتها ، أذكر أن عبد الناصر استقبلنا فى غرفة نومه البسيطة للغاية وكان يرتدى بيجامة مقلمة ، فى ذلك الوقت كان المرحوم محمد نجيب هو الواجهة والرئيس ، أما سبب زيارتى لعبد الناصر مع مرسى الشافعى فكان لسبب أدبى خاص بى . كنت قد نشرت قصة قصيرة فى المصرى اسمها « الهجانة » واحتج على القصة أخواننا السودانيون ، « وزعل » منها محمد نجيب نفسه ، وقبل هذه الأزمة بقليل حدثت أزمة مماثلة عندما كان الزميل عبد الرحمن الشرقاوى ينشر رواية الأرض مسلسلة فى المصرى وكان يرسمها له الفنان حسن فؤاد ، وبعد نشر فصلين فقط ـ على ما أذكر ـ كتب فصلاً عن تصرفات عساكر الهجانة مع الفلاحين . وثار محمد نجيب على الشرقاوى وغضب وأمر باعتقال الشرقاوى لفترة ، ثم أفرج عنه بعدها !!

يبتسم د . يوسف إدريس .. يتنهد .. ثم يقول : فلما حدثت أزمة القصة التى كتبتها عن الهجانة قال لى مرسى الشافعى بجدعنة ولاد البلد : ولا يهمك أنا عارف مين اللى يقدر يحل المشكلة دى !! وعندما سألته : مين يامرسى ؟! قال : هتعرف لما تقابله !

وذهبنا لعبد الناصر فى بيته كما سبق أن قلت لك ، واستقبلنا فى غرفة نومه ، وفى ذلك الوقت لم يكن اسم جمال عبد الناصر موجوداً بالمرة على الخريطة الأساسية !! لكننى أحسست أن هذا الشاب هو « الرجل القوى » ، وتأثرت بشخصيته جداً ، واستغربت جداً أنه كان يستمع إلينا بطولة بال شديدة .. وصبر أشد .. وكان لا ينظر

فى عينيك وأنت تتحدث إليه .. ثم فجأة تنقض عيناه على عينيك فى أقل من لمح البصر . كان لون عينيه غريباً .. كانت غامقة بشكل أقرب إلى لون العسل الأسود .. وتحس أنها نظرة غدرت بك فجأة ، نظرة أخذتك وأنت غير مستعد أو مش واخد بالك ! فإذا خطر ببالك أن تكذب فى وجوده أو تقول شيئاً ينتابك خوف مجهول على الفور ! وكأنما كانت نظرات عينى عبد الناصر تقول لك : أنا عارف أنت هتقول إيه ! ربما لا يقصد عبد الناصر هذه المعانى التى انتابتنى ولكن إحساسى ترجم نظراته لى كما أرويها لك الآن . بالإضافة لهذا كان مستمعاً جيداً ومدهشاً ، لذلك كان الشاعر الرقيق كامل الشناوى يقول عنه دائماً : أذناه كبيرتان !!

مع إعجابى بشخصيته ، فقد آليت على نفسى ألا إن تكون بينى وبينه مسافة ألف كيلو متر .

● لم أمنع عقلى من أن يبدى دهشته فقاطعته قائلاً : ولماذا ؟!

قال : شوف ياسيدى .. كان عبد الناصر النقيض لشخصيتى . بمعنى أنه كان منظماً . كتوماً . مدبراً . يأخذ ما يديش فى الكلام . وأنا صريح ، فوضوى ، ساخط ، لا أكتم .

ولا تنس أن موقفنا من ٢٣ يوليو كان مشوباً بشىء من القلق ، وشاب فرحتنا بقيام الثورة خوف أن تكون مجرد انقلاب عسكرى لضرب الحركة الوطنية .. لذلك كتبت القصة التى سببت الأزمة وهى قصة « الهجانة » . وكانت تروى كيف أن قرية مصرية صحت ذات صباح لتجد عساكر الهجانة وقد استولوا عليها وزرعوا الرعب فى القلوب « وارتجت قلوب كثيرة ، وبكت نساء ، ونهنهت عجائز ، والآذان تشرخها الصراخات التى عمت القرية .. وتلسعها أصوات الاستجارة والهرولة والركض » !

وأذكر أننى قلت فيها ما معناه : وكانت البلد حين يسلمها يوم كئيب إلى آخر أشد منه كآبة يزداد شعورها بأنها كانت فى نعمة إلى أن سرق الفلاحون بنادق الهجانة وقاوموهم وسيق الهجانة بعدها لخارج القرية والناس تتساءل : هل يجىء هجانة آخرون أم يكتفى الحكام بالذى مضى ؟! .

طبعاً كان الرمز واضحاً جداً فى قصة الهجانة ، لأنى بدأت أشك ـ وكذلك المثقفون يتشككون ـ وفعلا تحققت شكوكى فيما بعد وبالذات فى أزمة مارس ١٩٥٤ .. وأيامها فقدت ثقتى فى التنظيم الشيوعى الذى كنت أتعاطف معه وهو « حدتو » ، كانت أزمة مارس كما تعلم بسبب موقف عبد الناصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة من قضية الديمقراطية وكان فى الجانب الآخر محمد نجيب وخالد محيى الدين . كان الغريب فى موقف تنظيم « حدتو » الشيوعى ، أنه فى الصباح يصدر بياناً بتأييد جمال

عبد الناصر ، وعند الظهر يصدر بيانا بتأييد محمد نجيب فى موقفه . وهكذا كانت النتيجة أننى قلت لنفسى هذا موقف « مش تمام » ومن يومها بدأت أزمة الثقة بينى وبين الشيوعيين تزداد ! إلى أن اعتقلت فى أغسطس ١٩٥٤ .

● وأنا أستعيد شهادته على ثورة يوليو والتى يقول فيها أنا شخصياً جزء من ثورة يوليو ، وكنا معتقلين وأيضاً نؤيدها ، ومن داخل المعتقل أيدناها فى خطواتها التقدمية ، ووجدتنى أسأله عن ظروف صدامه الأول مع ثورة يوليو ذلك الذى جرى عقب أزمة مارس ١٩٥٤ .

قال د . يوسف إدريس : كما قلت لك قبل ذلك أننا فرحنا جداً بالثورة ثم سرعان ما شاب تلك الفرحه خوف وقلق أن تكون هذه الثورة مجرد انقلاب عسكرى يجهض الحركة الوطنية الشعبية ، وعبرت عن مخاوفى بكتابة قصة الهجانة ، فلما جاءت أزمة مارس ١٩٥٤ تحققت شكوكى ومخاوفى ، إلى أن تم اعتقالى فى أغسطس ١٩٥٤ ، وقبل اعتقالى بفترة قصيرة رأيت منظراً لا أنساه على الإطلاق ، وهو منظر إغلاق جريدة المصرى ، وقد كنت أسكن وقتها فى شارع محمد سعيد حيث كان يوجد مبنى روز اليوسف القديم ، فى ذلك اليوم رأيت مجموعة من العساكر وهم ينتزعون لافتة جريدة المصرى ، وهى لافتة عزيزة جداً على قلبى لأنها كانت على هيئة علم مصر الأخضر الذى طالما حملناه قبل الثورة وطفنا به نهتف بسقوط الملك وطرد الإنجليز ، فإذا بهذا الرمز العزيز يسقط على الأرض ، ثم قام العساكر بإغلاق الجريدة بالسلاسل ، فأحسست وقتها أن حقبة فى حياة مصر قد أغلقت واتحبست معاها أحلى سنوات عمرى . واحسست فجأة أننى لابد أن أخوض حرباً شعواء ضد الثورة .

فى ذلك الوقت كنت قد سافرت إلى دمشق ـ فى أغسطس ١٩٥٤ ـ لأنى كنت مشتركاً فى مؤتمر الأدباء الشبان الذى انعقد هناك ، وفوجئت بكاتب تقدمى كبير ولامع أرسل للمؤتمر برقية يعتذر فيها عن حضوره إلى دمشق ويقول أيضاً ما معناه : أحذروا ممن سيحضر من مصر ! والغريب أنه لم يسافر من مصر غيرى وحدى ، فلما وصلت دمشق فوجئت بأنهم يعاملونى كما لو كنت باشتغل فى المباحث أو المخابرات ، مثلا بعد أن قرأوا برقية هذا الرجل التقدمى الكبير ـ ولا تسألنى عن اسمه ـ لأننى بعد ذلك كنت ها أضربه بحذائى فى جريدة الجمهورية !

المهم بعد انتهاء المؤتمر وفى طريق عودتى سافرت إلى بيروت ، وهناك قابلت الأستاذ « أحمد أبو الفتح » الذى كان رئيس تحرير « المصرى » الصحيفة التى أغلقتها الثورة ودردشنا معا حول إمكانية أن نكتب منشورات ونطبعها فى بيروت ويتم تهريبها إلى مصر عن طريق دمياط ؛ فلما وصلت القاهرة ، قلت هذا الكلام لبعض الناس الذين

كانوا مسئولين عن التنظيم الذى كنت أتعاطف معه .. فطلبوا منى كتابة تقرير بهذا كله على أن يكون التقرير من أصل وصورة وفعلاً كتبت التقرير وأعطيت المسئول صورة منه ليعرضها على القيادة ، وترك لى الأخرى .

بعد هذه الحكاية بيومين أو ثلاثة أيام .. وجدت نفسى أقرأ التقرير بينى وبين نفسى ، فلما انتهيت منه وجدته وكأنه اعتراف كامل باشتراكى فى مؤامرة لقلب نظام الحكم !! يانهار أسود !! وبسرعة أخفيت صورة التقرير فى قلب تمثال أجوف كان شقيقى الطالب بكلية الفنون الجميلة قد صنعه بنفسه ، وهذه الحركة أنقذتنى من عشر سنوات .

بعد ذلك بثلاثة أيام كان الصديق صلاح حافظ مختبئًا عندى فى البيت ، وكانت المباحث العامة قادمة كى تعتقل صلاح حافظ وبالمرة تعتقلنى لأنها تعلم بوجود هذا التقرير الذى كتبته ، بالطبع متلبسا بتهمة « قلب نظام الحكم » طبعا دى تهمة غير تهمة الشيوعية . المهم : جاء أفراد المباحث حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل .. وجدت نفسى أمام رجل ذى شعر أبيض يقول لى : ممكن نفتش الشقة ؟! فسألته إذا كان معه إذن تفتيش ! فأخرج لى ورقة صغيرة عليها إمضاء زكريا محيى الدين الذى كان وقتها وزيراً للداخلية ، ومع أن هذا لا يعتبر إذن تفتيش لأنه صادر عن وزارة الداخلية ، إلا أنهم هيفتشونى سواء وافقت أو اعترضت ، ولكن كان سؤالى لرجل المباحث عن إذن التفتيش مجرد نوع من إثبات الذات !

كان أول ما فعله ضابط المباحث أن اتجه ناحية مكتبى ، ما أدهشنى أنه لم يدخل أى غرفة من غرف المنزل على الإطلاق ، إنما اتجه على الفور ناحية المكتب وأخذ يفتش فيه ! كان مكتبى مليئًا بأوراق لا حصر لها .. مقالات .. قصص قصيرة .. مشاريع لقصص .. خطابات .. فأخذ الرجل بصبر عجيب يرتب كل هذا .. وضع المقالات مع بعضها .. والقصص فى ناحية .. والخطابات فى ركن منفصل ، باختصار رتب لى المكتب بشكل أثار إعجابى ، وأنا الذى أريد ترتيبه منذ ثلاث سنوات ولم أفلح .

طبعاً أنا أحسست من طريقة بحثه ثم فرزه لهذه الأشياء أنه يبحث عن شيء محدد ومن الصدف الغريبة أنه فى ذلك اليوم كان أخى يقيم عندى وبصحبته فلاح من بلدنا يقيمان عندى كى أذهب معه فى صباح اليوم التالى إلى قصر العينى ليجرى عملية جراحية ، وبعد تفتيش رجل المباحث كان أخى قد استيقظ من نومه ، فى الوقت اللى أخونا بتاع المباحث جلس على أحد المقاعد وعمل نفسه نايم ، متصوراً أنه سيحدث حوار بينى وبين أخى فيسمعه وقد نخرج ذلك الشيء الذى جاء يبحث عنه .. وأذكر أننى أشرت لأخى على التمثال وحاولت أن أفهمه بالإشارة أن يأخذ التقرير ليتخلص

منه .. ولكن أخى تصور أننى أطلب منه خنق العسكرى .. لأنه لاحظ أننى أشير على رقبتى ورأسى .. !!

ثم اعتقلت ، ووجدت نفسى متهما بقلب نظام الحكم ، ودى على الأقل فيها عشر سنوات سجن .

قال د . يوسف إدريس : بعد أن اعتقلت تم ترحيلى مباشرة إلى سجن القلعة ، وبعدها بحوالى شهر جرت محاولة الإخوان المسلمين لاغتيال جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالاسكندرية ، وحدثت اعتقالات واسعة للإخوان المسلمين وتم ترحيلهم إلى السجن الحربى ، فى ذلك الوقت كان قد تم ترحيلى إلى « أوردى » أبو زعبل ووضعت مع الشيوعيين وظللت فيه حوالى ثمانية شهور ثم رحلونى إلى سجن مصر مع الإخوان المسلمين ، لأن تقرير مباحث السجن اعتبرنى خطراً على الشيوعيين ! لأنى كنت قد أصبحت مندوب ما يسمى العلاقات العامة فى السجن ، وقمت بتنظيم إضراب للمساجين حتى تستجيب لنا إدارة المعتقل وتنقل أحد المعتقلين إلى المستشفى .

ومكثت حوالى سبعة أشهر معتقلا مع الإخوان المسلمين فى زنازين منفصلة إلى أن جاءت حكاية السودان وصلاح سالم ، فتم الإفراج عن أربعة من المعتقلين وهم : الكاتب إبراهيم عبد الحليم والفنان زهدى وفتحى خليل رحمه الله . وأنا . المهم ياعزيزى أن فترة السجن دى أفادتنى جداً جداً !

فى داخل المعتقل مثلاً ثبت وتأكد لى أن الإنسان مش مجرم ، إنما الإنسان تمر فى حياته لحظات إجرام وبعد كده يبقى إنسان طبيعى خالص ، بمعنى أنك تكون ظريفا ومؤدبا ومهذبا وعندما تغضب بيبقى كأن واحد تانى ركبك .. كأن عفريتاً ركبك !

ومن الأيام الكئيبة فى حياتى على الإطلاق عندما جاءت زوجة أحد الشيوعيين لتزوره فى السجن لتطلب منه الطلاق ، وكان زوجها إنسانا رقيقا ودمثا وطيبا جداً ، وأحسست أن الرجل فى نهاية النهار يكاد يبكى ولكنه لا يستطيع ! لأنى زى ما قلتلك أننى كنت أتصور أن الزعماء دول من طينة أخرى غير طينتنا ، كأنهم من صخور البازلت مثلا !!

وأذكر أن العنبر الذى كنا نقيم فيه كان اسمه « عنبر طنجة » وكان يضم غير المنتمين لتنظيم ، وكانت الشتائم والاتهامات بين العنابر على قدم وساق .. أذكر أن أحد العنابر الثلاثة أصدر بيانا بأن أحد الصحفيين المعتقلين معانا جاسوس إنجليزى ! فانتابتنى رغبة عارمة فى الضحك الشديد على هذه العقلية الاتهامية ! يعنى واحد غلبان وماشى حافى وجنب الحيط زى الصرصار كده ومضروب ويتهم بأنه جاسوس للإنجليز وفين فى قلب معتقل الشيوعيين ، طبعاً شىء كوميدى جداً ، ودى

"كوميديا الاتهامات المصرية التقليدية ! وبالذات المركزة فى الشيوعيين .

ورأيت بعينى حواديت التعذيب الرهيبة التى كنا نتعرض لها .. وكان الإخوان المسلمون يأتون بى لأكون شاهداً على هذا التعذيب من نفخ وضرب وجلد ، ورأيت شبابا صغارا من شدة التعذيب تبدو ظهورهم وكأنها محفورة من لسع السياط ، وعيال صغيرين لابسين ملابس السجن الواسعة عاملين زى الكتاكيت ويكشف لك ظهره وجسمه ببساطة ويقول لك : شوف .. شوف !

● قلت له : هل عن هذه المرحلة جاءت رواية « العسكرى الأسود » التى تدين الاعتقال السياسى ؟!

قال : طبعا .. يعنى كانت الرواية « استحياء » للحقيقة ، لأنى مش بكتب عن وقائع .. لأن الأدب مش تسجيلى .. وخرجت فى عام ١٩٥٥ لأجد د . طه حسين يبحث عنى ليكتب مقدمة مجموعة« جمهورية فرحات » !

● قبل بدء الحوار قال د . يوسف إدريس : الصحافة أخذت منى الوقت والانشغال اللى كان مفروض أن يخصصا للقصة !! ولكنها جزء مهم جداً فى حياتى فى عالم الكتابة !

وطلبت منه أن تكون بداية الحوار حكايته مع الجمهورية أولى محطات احترافه للصحافة !!

قال د . يوسف إدريس : قصتى مع جريدة « الجمهورية » بدأت فى أيام المرحوم « صلاح سالم » الذى كان عضو مجلس قيادة الثورة ، وفيما بعد عينه جمال عبد الناصر رئيساً لمجلس إدارة دار التحرير التى تصدر عنها « الجمهورية » ، وكان صلاح سالم لا يملأ فمه سوى الكلمة الحلوة والإحساس العميق بالناس ، وكان ذكيا حاد الذكاء . وأميز ما فيه شهامته ، تحس فى شهامته تراث هذا الشعب فى إغاثة الملهوف والوقوف مع الضعيف ..

وفى إحدى الفترات جاءت « هوجة » تعيين الكتاب والأدباء فى الجمهورية وأذكر فى أحد الأيام وكنت أصعد فى الأسانسير وتصادف أن يكون معى فى نفس الأسانسير صلاح سالم وسألنى : أنت عايز تتعين فى الجمهورية بكام ؟!

وكما قلت فإن شهامة صلاح سالم تغريك أنت الآخر على الشهامة ! فوجدتنى أقول لصلاح سالم ونحن فى قلب الأسانسير : عايز مائة جنيه مرتب !! وفوجئت بالرجل يقول لى ببساطته الآسرة ورجولته الحقة : خلاص .. أنا موافق !!

واكتشفت بعد ذلك أن هذا المبلغ الذى قلته لصلاح سالم هو بالضبط نصف ما يتقاضاه الزملاء الآخرون فى الجريدة ، لأن صلاح سالم كان يعين الناس بالمرتب الذى

يقترحه كل منهم بلا مناقشة وبشهامة مثيرة .. طبعاً طوال فترة اشتغالى فى الجمهورية عانيت نتيجة شهامتى لأن الفرق بين مرتبى وبين مرتب أى زميل كان دائماً لا يقل عن مائة جنيه !

وأذكر عندما كتبت قصة « العسكرى الأسود » والتى كانت صرخة احتجاج على مبدأ الاعتقال السياسى والهوان والتعذيب الذى يلقاه المسجون السياسى .. وأردت أن أنشرها ضمن مجموعة قصصية تضم معها أربع قصص أخرى .وحدث اعتراض على نشر المجموعة كلها بسبب العسكرى الأسود ، ولم تنشر إلا بتدخل من صلاح سالم نفسه وعلى مسئوليته الشخصية !

وبعد وفاة صلاح سالم تم تعيين كمال الحناوى رئيسا لمجلس إدارة دار التحرير ، فقام بتعيينى رئيساً لتحرير الجمهورية بشرط عدم كتابة اسمى على ترويسة الجريدة ، ومارست رئاسة التحرير ثلاثة أيام فقط وقامت القيامة بين المحررين والصحفيين اللى ماسكين الجمهورية فى ذلك الوقت وكنا نسميهم مجموعة الوكالة ، وذهب وفد من هذه المجموعة وقال لجمال عبد الناصر : الحق ياريس كمال الحناوى سلم الجمهورية ليوسف إدريس وعوضك على الله !!

طبعاً معرفتش أشتغل خالص فى هذا الجو ، لأن هذه المجموعة نجحت فعلاً فى عرقلتى !!

● سألت د . يوسف إدريس : ولماذا قبلت إذن رئاسة التحرير ؟!

قال : بينى وبينك يا عزيزى أنا كان هدفى من قبول هذا المنصب هو أن أعطى لنفسى حرية أن أكتب دون أن يراجع كتابتى أحد ، حتى لو كان رئيس التحرير نفسه ! لأنى بأتضايق جداً من عملية المحاسبة التكتيكية على ما تكتبه ، يعنى ييجى رئيس تحرير يحاسبك على جملة .. أو يحاسبك على كلمة فى جملة أو على عدة سطور فى مقالة ! لأن أحياناً أنا ككاتب باسمح لنفسى أن « أمد » فى التعبير عشان يرجع ينكمش تانى لأؤكد من خلال هذا المد التعبير والمعنى الذى أريده ! هذا تكتيك للكاتب فى الكتابة !

ثم إذا كنت أنت كرئيس تحرير تسلم ومقتنع بأن هذا الكاتب معك .. فلماذا إذن تخاف منه حتى إذا انتقدك ؟! الذى أفهمه ولا أناقشه أن تراقب العدو أما الصديق .. لماذا تراقبه ؟!

ضحك د . يوسف وهو يوضح ما يريد قوله : يا أخى حتى لو الحبيبة حاسبت حبيبها بالكلمة التى يقولها فى كل لحظة ، بالخاطر الذى يجول فى ذهنه ، بالحلم الذى تحلمه فى منامه ! مثل هذه الحبيبة قد تصيب حبيبها بالجنون المطبق ! فمادامت هذه

الحبيبة قد ارتضت ووافقت على هذا الحبيب ، خلاص انتهينا وأى تصرف منه يبقى مقبول طالما فى حدود المعقول والمقبول !!

والغريب أنه بعد تأميم الصحافة عام ١٩٦٠ وبعد أن أصبحت الدولة هى المالكة للصحف وأصبحت تعين رؤساء التحرير بنفسها .. كانت دائما تقوم بتعيين رجالها ، بل كانت أحيانا تختار رؤساء التحرير من الذين كانوا يعملون فى المخابرات أو الأمن القومى .

وليس سراً أن اثنين من رؤساء التحرير الذين عملت معهم فى الجمهورية كانا أساساً فى المخابرات والأمن القومى ، فلما خرجا تم تعيينهما فى الجمهورية لضمان الولاء وهما مصطفى المستكاوى وكمال الحناوى رحمهما الله . وحلمى سلام هو الآخر كان من شلة عبدالحكيم عامر . أقصد أن كل هؤلاء كانوا على اتصال بأجهزة الدولة ، بل إنهم كانوا تابعين لهذه الأجهزة وينفذون سياسة الدولة مباشرة !

وباقى الصحف كانت فى حالة تبعية مطلقة للسلطة زى الأخبار ، وروز اليوسف ودار الهلال أمّا الأهرام فكان لها وضع خاص شوية ، لأن هيكل لم يكن «تابع مباشر» وإنما كان فى حالة حوار مع السلطة .

ومن هنا أقول لك إن أحد الأسباب الكبرى لهزيمة النظام فى يونيو ١٩٦٧ كان عدم وجود صحافة حرة ، ولذلك عندما قرأت كتاب «عبد المجيد فريد» الذى تضمن محاضر نصوص ومناقشات جمال عبد الناصر بالقيادات والمسئولين بعد ١٩٦٧ . اندهشت جداً عندما قرأت أن عبد الناصر كان يطلب من هذه القيادات أن تتكلم وتناقش وتنقد الأوضاع . فيؤثرون الصمت ! ليه .. لأن النقد كان يجب أن يقال فى وقتها ولحظتها ومن أول قيام الثورة ، حتى لا تتراكم الأخطاء يوماً بعد يوم وتكون النتيجة ما حدث فى يونيو ١٩٦٧ .

● وسألته عن حكاية محددة لما يقول ؟!

فقال : أذكر حادثة غريبة وقعت لى شخصيا عندما كنت أكتب فى جريدة الجمهورية . وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد ألقى خطاباً سياسياً فى مناسبة عيد العمال ، الذى كان يقام بحلوان وقتها ، وقال عبد الناصر ضمن خطابه عبارة توقفت أمامها طويلاً بالتفكير . كانت عبارة عبد الناصر تقول : « إن الحرية الحقيقة هى حرية لقمة العيش» ! بينى وبينك الجملة دارت فى مخى ، واحتجيت بينى وبين نفسى عليها ، وكتبت مقالة قلت فيها : « إذا كانت الحرية الحقيقية هى حرية أكل العيش ، فيبقى كلنا لازم ندخل السجن لسبب بسيط هو أن داخل السجن مكفولة حرية أكل العيش !! » .

كان المعنى الذى كتبته لا يزيد على ربع عمود بالضبط ، وليس أكثر من هذا . المهم أننى سلمت هذه الكلمة تمهيداً لنشرها فى الجمهورية . وبعد نشر الكلمة وعند قراءتها ، اكتشفت كارثة لا مثيل لها إطلاقا . لأن رئيس تحرير الجمهورية فى ذلك الوقت - ولن أذكر اسمه للقراء - أمسك بربع العمود الذى كتبته ، وأعاد ترتيب سطوره وكلماته من أول وجديد . أقصد قام بعمل مونتاج فى غاية الذكاء بحيث أصبح ما كتبته كله تأييداً لما قاله جمال عبد الناصر فى عيد العمال ، طبعا ثرت وغضبت ووجدتنى أقول لنفسى : مابدهاش بقى .. مادام وصل الأمر إلى أنى أستكتب من مقالاتى .. فالحكاية ما تنفعش .. ونشوف حتة تانية نكتب فيها !!

لأنه فعلاً قد أصابنى نوع من الارتكاريا من شدة الرقابة وأن كل كلمة تكتبها يتم تفتيشها لدرجة مذهلة .

ومن أجل هذا دعنى أقول لك بوضوح شديد إن أكبر جهاز شعبى من أجهزة الدولة عانى فى عصر عبدالناصر أو عصر السادات هو الصحافة المصرية ، وستظل صحافتنا تعانى لفترة طويلة لأنها «اتمرمغت» فى الوحل ، ولم يترك صحفى واحد شريف أو غير شريف إلا وتم إذلاله وإهانته واضطهاده ! ولم تكن الفرصة متاحة أبدا للصحفى النابغ ! وإنما كانت الفرصة متاحة باستمرار للصحفى «الذيل» والعميل ، ولم تترك المسألة أبدا لكونها مباراة فى الإجادة والنبوغ وإنما كانت مباراة فى الخضوع والولاء ..

الصحافة اتبهدلت جداً ياعزيزى . والسبب أن الثورة كانت تبحث عن الصحفيين أهل الثقة وليس أهل الكفاءة ، ولهذا عندما كانت تطرح فكرة الثقة أم الكفاءة على الساحة الصحفية فدائما كنت تجد أن صاحب الكفاءة هو الذى يفشل فى اكتساب الثقة لسبب بسيط جداً أنه يعتمد على كفاءته وقدراته الخاصة ، بينما الصحفى الفاشل والضعيف الكفاءة يسعى دائما لأن يكون مصدر ثقة ، وذلك عن طريق كتابة تقارير ضد زملائه أو أن يكون عينا عليهم ، بهذه الوسائل سرعان ما يصل ويكبر !!

ما أريد قوله باختصار : إن الثورة اتعبت الصحافة وأتعبت أصحاب الرأى من الكتاب والمبدعين ، حتى الازدهار الثقافى فى فترة الستينيات حدث رغم أنف أجهزة الدولة وأجهزة المباحث ، وتصور معى لو أن الثورة كانت تشجع وترعى الكتاب والفنانين - هل بالفعل رعت وشجعت وأنشأت أكاديمية الفنون .. و .. و .. ولكن هذه كلها تكنيكيات الفن ، إنما ما أقصده لو أنها قامت برعاية روح الفن التى هى حرية الإبداع ، تصور بقى كنا وصلنا لغاية فين دلوقتى ؟!

● قلت : أعرف أن الرئيس السادات كان لسنوات طويلة مسئولاً عن دار التحرير

ويكتب بصحفها ومجلاتها !! هل اقتربت منه ؟! هل كانت لك معه « قصة ما » أو « رواية ما » .. قل مالديك ؟!

قال د . يوسف إدريس : فعلاً .. أنا تعرفت على السادات وقابلته في الجمهورية ، والحقيقة أنه انبسط منى ككاتب جداً وعهد إلى أن أعد له كتاباً عن العدوان الثلاثى الذى وقع عام ١٩٥٦ ، وكانت إحدى دور النشر الإنجليزية قد طلبته منه ، وعملت هذا الكتاب وكان اسمه « القصة الداخلية لحرب السويس » ، وكتبت له كتابا آخر اسمه « معنى الاتحاد القومى » عن فكرة الثورة كتنظيم ، أو محاولة العثور على شكل آخر غير الشكل الحزبى القديم ..

واشتغلت معه أيضا كسكرتير مساعد للاتحاد القومى ـ التنظيم السياسى الوحيد وقتها ـ وفى نفس الوقت كان السادات قد انتدبنى معه للعمل فى المؤتمر الإسلامى الذى كان يرأسه . واذكر أنه طلب منى أن أعد له مشروع هيكل التنظيم ، ونشر الأستاذ مصطفى أمين عن هذا المشروع فاتلخبطت الدنيا !! وفى مرة أخرى أجريت مع السادات حواراً عن فكرة « الاتحاد القومى » لأن المشكلة المثارة وقتها هل يسمح بدخول الاتحاد القومى لمن زاولوا نشاطا سياسياً من قبل أم لا .. ونشر الحديث فى الجمهورية ، وعندما قرأه جمال عبد الناصر لم يعجبه وغضب منه !

● قلت : ولماذا غضب عبد الناصر من ذلك الحديث ؟!

قال : كان سبب غضب عبد الناصر من هذا الحديث أننى قلت على لسان أنور السادات رداً عن التساؤل المطروح حول من يدخل الاتحاد القومى ؟! إن كل إنسان لم يزاول السياسة قبل قيام الثورة وسوف ينضم إلى الاتحاد القومى فهو رجل انتهازى ، لسبب بسيط جداً أنه إذا كان يريد بالفعل أن يضحى وأن يعمل بالسياسة كان من الطبيعى أن يعمل بالسياسة من خلال أحد الأحزاب التى كانت موجودة قبل الثورة ! ولكن كونه يبتعد عن العمل السياسى حتى تصبح السياسة مربحة فينضم إلى الاتحاد القومى ، فهذه انتهازية سياسية لا تقبل المناقشة ! ولابد إذن أن نفتح الاتحاد القومى لكل الاتجاهات والآراء والأفكار ، بشرط أن يقوم العضو الذى يريد الدخول فى عضوية الاتحاد القومى بحل نفسه من أى تنظيم يكون قد ارتبط به من قبل !!

كان هذا الرأى الذى كتبته على لسان السادات هو ماضايق عبد الناصر ، ولذلك اتصل عبد الناصر بالأستاذ هيكل وسأله : هل قرأت حديث السادات مع يوسف إدريس ! فأجابه هيكل بنعم ، فقال عبد الناصر : ده مش رأى السادات .. ولكنه رأى الشيوعيين فى الاتحاد القومى !

ابتسم د . يوسف وقال لى موضحاً : هذه التفاصيل علمتها فيما بعد من المرحوم كامل الشناوى والتى حكاها له الأستاذ هيكل نفسه !

وجدتنى أستوضح د . يوسف : أفهم من حديثك أنك قد عينت بالفعل فى الأهرام بعد هذا الحديث وتركت الجمهورية ؟!

قال لى : هذا الحديث الذى أجريته مع السادات نشر فى مقدمة للأستاذ هيكل ، وبسبب هذا الحديث أيضاً عينت فى الأهرام ؛ لأجرى سلسلة أحاديث مماثلة مع شخصيات سياسية حول فكرة الاتحاد القومى ، فكان أول حديث مع السادات ، وكان المفروض أن يكون الحديث الثانى مع أكرم الحورانى السياسى السورى الشهير ، حيث كانت الوحدة قائمة بين مصر وسوريا ، المهم قبل أن أجرى حواراً مع الحورانى ذهبت إلى مكتب هيكل - كان فى مبنى الأهرام القديم - وطلبت مقابلة هيكل لأتفق معه على نقاط الحوار ، فقالت لى سكرتيرته السيدة نوال المحلاوى - الله يمسيها بالخير - الأستاذ هيكل مش فاضى !

فقلت لها : يعنى إيه رئيس تحرير مش فاضى ! أنا محرر ولازم أقابل الأستاذ هيكل ! وفوجئت بالسيدة نوال تقول : لا .. مش هتدخل .. والأستاذ هيكل مش فاضى ومش هيقابلك !

وجننت من هذا الأسلوب غير المتوقع فقلت لها : انت بتتكلمى إزاى .. يعنى إيه مش هيقابلنى فردت قائلة بهدوء : زى ما قلتلك بالضبط ؟!

المهم يا عزيزى الشهامة أخذتنى وقلت لنوال المحلاوى : أنا صحيح لسه متعين امبارح بس فى الأهرام .. إنما استقالتى أهه !! ووضعت على مكتبها خطاب استقالة .

ولدهشتى وجدتها تبتسم ابتسامة متشفية قائلة : استقالة إيه ؟! انت مرفود !!

ولم تدع لى نوال المحلاوى لحظة لأستغرب فواصلت كلامها : على العموم .. إنت ليك عندنا مرتب شهر .. موجود فى الخزينة .. يمكنك أن تقبضه الآن !!

مرفود ليه .. ومفصول عشان إيه .. هكذا سألت نفسى - أيامها - ومن مكتب هيكل ذهبت فى الحال إلى مبنى المؤتمر الإسلامى حيث يوجد مكتب أنور السادات الذى أجريت معه الحديث ، وحاولت أن افهم نفسى أن سبب المشكلة خاصة بالحديث الذى أجريته مع السادات ! وعندما وصلت إلى مبنى المؤتمر الإسلامى وجدت كشفاً معلقاً على الباب يتضمن فصل خمسة أسماء . كان اسمى أول هذه الأسماء الخمسة . رغم أننى كنت معاراً إلى المؤتمر الإسلامى كما قلت لك ، لأنى كنت أساساً أعمل طبيباً فى وزارة الصحة !!

المهم - ياعم رشاد - ولا أريد أن أطيل عليك ، دخلت على أنور السادات وقلت له

بهدوء شديد : صباح الخير .. ورد هو الآخر بهدوء وابتسامة : صباح النور يادكتور يوسف ! وسألته : إيه حكاية فصلى من المؤتمر الإسلامى .. فقال بهدوء : أنا رفدتك يايوسف !!

الحقيقة اتغظت جداً .. مش لأنه رفدنى ، إنما لأنى كنت متعشى معاه قبل ذلك بيوم واحد فقط وكان فى غاية الظرف واللطف فى حديثه معى ، بل كان مبسوطاً من الحديث الذى أجريته معه ووجدتنى أقول للسادات : أنت مالكش حق ترفدنى ، أنت ممكن تلغى إعارتى فقط !

وفوجئت به يقول لى : ليه .. أنت بتشتغل فين ؟! واندهشت من السؤال لأنه يعرف أننى معار من وزارة الصحة وأنه هو نفسه الذى طلب إعارتى .. ولما قلت له ذلك قال لى
- وكمان أنت مرفود من وزارة الصحة !! ها .. ها .. ها !!

وتصورت أن السادات يمزح معى ، وذهبت مسرعاً إلى وزارة الصحة فوجدت نفسى بالفعل مرفوداً !! وقلت لنفسى إذن فلأذهب إلى وزارة الثقافة التى كنت منقولاً إليها من وزارة الصحة ، ووجدتنى باختصار شديد مفصولاً أو مرفوداً فى كل من هذه الجهات الأربع : الأهرام أولاً ثم المؤتمر الإسلامى ثم وزارة الصحة ثم وزارة الثقافة .

نسيت أن أقول إننى عندما كنت معاراً إلى المؤتمر الإسلامى ، أعطونى عربة « فولكس » صغيرة لزوم الانتقالات فلما أترفدت سحبوها منى !!

وهكذا فجأة أصبحت بلا عمل .. بلا نقود .. وعدت لزوجتى خالى الوفاض ، وكنت قد أنجبت منذ شهور .. وظللت على هذه الحال حوالى سبعة شهور إلى أن عدت إلى وزارة الثقافة بواسطة الأستاذ حسين فوزى والأستاذ فتحى رضوان ، ومن يومها استقلت نهائياً من وزارة الصحة ثم بعد فترة عينت فى الجمهورية كما سبق أن رويت لك بداية هذه الحلقة ، أيام هوجة صلاح سالم إلى أن حدثت الواقعة الشهيرة التى أعاد فيها رئيس تحرير الجمهورية ما كتبته بشكل جديد .. بحيث إن « ربع العمود » الذى كتبته نقداً لعبد الناصر أصبح بعد المونتاج الذكى تأييداً لما نادى به عبد الناصر .

وبعد هذه الواقعة مباشرة طرحت على نفسى سؤالاً فى غاية الخطورة والأهمية : من هو رئيس التحرير الذى يستطيع أن يحمينى من الرقابة وعنتها وتعسفها ؟! ولم أتردد فى الإجابة عندما قلت لنفسى : هيكل !.. وكان ذلك صيف عام ١٩٦٩ واستقر رأيى على الاتصال بهيكل ، وصباح أحد الأيام ذهبت إليه فى مكتبه ، كانت الساعة حوالى الثامنة صباحاً على ما أذكر . قالت لى السيدة نوال المحلاوى سكرتيرة مكتبه إنه لم يصل بعد ، فتركت لها رقم تليفونى وقلت لها : عندما يأتى الأستاذ هيكل تبلغيه أن فلاناً

أتى لزيارته وهذا رقم تليفونه فى المنزل إذا رغب يتصل بى . وعدت إلى المنزل . وبعد ساعة تقريباً دق جرس تليفون بيتى . كان المتحدث هو الأستاذ هيكل . قلت له على ما أذكر الآن : بدون مقدمات ياأستاذ هيكل أنا عاوز أشتغل فى الأهرام ! فقال لى بسرعة وحسم وكأنه اتخذ قراراً : خلاص اعتبر نفسك بتشتغل فى الأهرام !

وجدتنى أقول له عبر التليفون : يعنى ماسألتنيش عن الأسباب ؟!! فقال بسرعة : مفيش أسباب ! شوف أنت بتاخد مرتب كام من الجمهورية وسيعطيك الأهرام أكثر من هذا المرتب شوية ! وسألته يومها : ما شروطك فى العمل ؟!

وأجابنى بنفس السرعة : أنا معنديش أى شروط !

وفى نفس تلك المحادثة التليفونية قال لى الأستاذ هيكل جملته الشهيرة جداً : ما دمت تجد فى نفسك الشجاعة لتكتب ، فأنا عندى الشجاعة لأنشر !

وانتهت المكالمة .. وعندما ذهبت بعد ذلك لمقابلة هيكل وسألنى عن مرتبى الذى كنت أتقاضاه من الجمهورية اندهش وقال : بس ده مرتب صغير جداً ! فقلت له : ما هو كلما نشرت شيئاً دفعوا لى ! فقال لى : يعنى كله على بعضه كام ! فقلت : كذا . فقال : خلاص اتفقنا !

ويضحك د . يوسف إدريس وهو يسترسل فى ذكرياته : وكما قلت لك من قبل فإن أول قصة نشرت لى فى الأهرام وهى « الخدعة » تسببت فى فصلى من الأهرام عندما فسرها رجال الاتحاد الاشتراكى لعبد الناصر بأنه المقصود منها ، وأنقذنى هيكل بتفسيره لها تفسيراً مغايراً .

لمست فى سنوات تعاملى مع هيكل فى الفترة التى كان فيها رئيساً لتحرير الأهرام حتى خروجه فى عام ١٩٧٤ أنه أرسى مبادىء للتعامل مريحة جداً للكاتب ، فهو أولاً كان يحترم جداً ما تكتبه حتى لو اختلفت معه فى الرأى . وأذكر مرة أننى كتبت مقالاً وفوجئت بتصرف هيكل معى .. طلبتنى السيدة نوال وأبلغتنى أن الأستاذ هيكل يريد أن أتحدث معه لأمر ما ! وعندما تحدثت معه قال لى : الكلمة دى مش قوى فى المقال ! هل تحب أن تغيرها ! ولا تحب نشيلها !

تصور - ياصديقى - كلمة واحدة لا أكثر يستأذننى فيها هيكل وأنا لسه كنت قادم من غابة الجمهورية التى كان رئيس التحرير فيها ببساطة « يفك » ما تكتبه ويعيد ترتيبه من جديد كى تؤدى معنى مغايراً لما كتبته وأردته !

وببساطة قلت له : خلاص ياأستاذ هيكل غير هذه الكلمة !

فقال لى بدماثته المعهودة : لا .. أنا هاأبعتلك المقال وأنت تتصرف فى الكلمة بمعرفتك يادكتور !



○ هيكل يسمع باهتمام للصحفى الكبير حافظ محمود ، وفى الخلف عبد الناصر .

ابتسم د . يوسف وأضاف : إلى هذا الحد كان احترامه للكلمة !

أذكر مرة قال لى كنوع من المداعبة : أنت أغلى كاتب فى مصر والعالم العربى ! سألته ليه ياأستاذ هيكل فقال : أنت تكتب قليلاً .. ولما حسبتها وجدت أن المقالة الواحدة تقف عند الأهرام بكذا ..

أما يوم الأربعاء من كل أسبوع فكان يدعونى للغداء على حسابه فى كافيتريا الأهرام - أنا وآخرين - وتدور مناقشات فى الأدب والفكر والسياسة والاقتصاد وكان متذوقاً عظيماً للكلمة .. ولديه تقييم حقيقى للكاتب ، ولا أعرف إذا كان يعملها بتواضع أو بخبث فهو يقول : احنا ناس صحفيين بتوع صحافة إنما أنت شاعر أو كاتب عظيم ، يعنى يضعك فى مجال الخلق والابتكار والإبداع بينما يضع نفسه فى مجال التوثيق والرسم بالكلمات .

ومنذ عرفت« هيكل » عام ١٩٥٨ أحببته جداً . وأذكر عندما اشتغلت فى جريدة الجمهورية أننا خصصنا الصفحة الأخيرة لنشر حديث صحفى طويل مع شخصية لامعة أو ثلاثة أحاديث قصيرة مع ثلاث شخصيات .. وأذكر أننى اخترت« هيكل » لإجراء حوار معه نشر بالفعل واخترت له عنوان « أنا أزاول السياسة كصحفى » ومن يومها أحببته وأحببت طريقته فى الحديث والحوار فهو سريع الحركة .. سريع الفهم .. سريع الإجابة ، ومن الثانية الأولى تجد نفسك منجذباً إلى ملامحه الدائمة التغير والانفعال ، المشحونة بكم وافر من الاطلاع وحب الاستطلاع ! وأعجبنى مثلاً أنك إذا أردت أن تتكلم يلمحك ، فيقطع عليك التهيؤ وترتيب الأفكار وأية مقدمات قد تفكر فيها ويقول لك : شوت ! ومعناها تكلم !

أذكر أننى سألت« هيكل » فى ذلك الحوار : هل نجاح جريدة يغلق جريدة أخرى ؟! فقال لى بذكاء : بالعكس الجرائد كالمذاهب .. كالأحزاب .. كالآراء ، لا تلغى بعضها بعضاً ، الواقع أنها تقوى بعضها بعضاً ! وعندما سألته عن رأيه فى نشر الروايات المسلسلة فى الصحف اليومية ؟ قال إنها تجربة ناجحة بدليل نشر الأهرام رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ . وأذكر أنه قال لى أنا أزاول السياسة كصحفى ولكنى أبداً لا أزاول الصحافة كسياسى ! وقال : أنا لا أستطيع أن أعمل إلا بالصحافة فهى ليست إلا مجرد عمل وهواية أو أكل عيش . إنها حياتى . إنها أنا .

على صفحات « الأهرام » قرأنا لك عشرات القصص القصيرة ، ويفخر الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام بأنهم فى الأهرام كتبوا جميعاً آراء حرة تعرضت للكثير من المشاكل فى الصميم ، فهل حدث وأسىء فهم واحدة من قصصك المنشورة فى الأهرام ؟!

قال : أول قصة قصيرة أنشرها فى الأهرام بعد التحاقى به تسببت فى أزمة كبرى . كانت القصة اسمها « الخدعة » وكنت قد كتبتها فى أبريل سنة ١٩٦٩ ونشرت فى هذه الفترة نفسها ، كانت القصة ببساطة عن « رأس جمل » يظهر للناس فى كل مكان ، فى منازلهم .. فى الحمام .. فى غرف نومهم .. فى الأوتوبيس !! ونشر الأستاذ هيكل القصة ثم سافرت إلى الأسكندرية ، ومكثت بها عشرة أيام ثم عدت فى اليوم التالى لعودتى ذهبت كالعادة إلى الأهرام ، وجدت الناس هناك ينظرّون لى نظرات كلها دهشة ، ثم اقترب منى واحد منهم وسألنى كمن يريد التأكد منى شخصياً : صحيح أنت اترفدت ؟ ضحكت وقلت له : اترفدت إيه يابنى .. دنا يادوب اتعينت من أسبوع واحد

فقال لى مؤكداً : لا يادكتور يوسف أنت فعلاً اترفدت !! قلت له : مش ممكن ! ثم دخلت إلى مكتب الأستاذ هيكل سعيداً ضاحكاً منتشياً وقلت له : تصور ياأستاذ هيكل الناس العبط اللى بره قالوا لى أنى اترفدت من الأهرام !! فقال لى هيكل ببرود شديد : انت فعلاً اترفدت ! لم أتمالك نفسى من الدهشة وسألته : ليه ؟ دعانى للجلوس وقال لى بمنطقه المرتب الذكى : الجماعة فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ذهبوا للرئيس جمال عبد الناصر وأفهموه أن قصة الخدعة بتاعتك كتبتها عليه شخصياً ، وأنه المقصود برأس الجمل الذى يظهر للناس فى كل مكان !

وجدتنى أقول لهيكل : يانهار أسود ، طب وأنت قلت إيه ؟ فقال لى هيكل : أنا قلت أن رأس الجمل معناه النكسة التى تظهر للناس فى كل مكان ، وغير قادرين على نسيانها !! هه إيه رأيك !! على العموم بعد شهر كده هترجع الأهرام تانى ومرتبك

ماشى واعتبر مفيش حاجة حصلت !

- الحقيقة يارشاد - يقول د . يوسف - انبسطت من تفسير هيكل لقصة الخدعة لأنه تفسير منقذ لى ، لأن هذه القصة كانت أول عمل ينشر على بلاطة ضد عبد الناصر أو ضد وجوده شديد الوضوح فى الحياة ، أذكر أن سطور النهاية فيها كانت تقول : إلى أمامه يتطلع ولا يتحرك ، ولا يغضب ولا يرضى ولا يحفز ولا يثبط ، لا يفعل شيئاً أبداً إلا أن يطل ، مجرد يطل .

وجدتنى أسأل يوسف إدريس : عبارة الأستاذ هيكل القائلة : « إذا كان عندك الشجاعة أن تكتب فعندى الشجاعة أن أنشر » هل كانت هى القاعدة فى الأهرام ؟!

قال : هذه العبارة كانت بمثابة مبدأ يدين به هيكل ! وبالتالى فإن توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وأنا وآخرين نشرنا فى الأهرام مقالات وقصصاً فى عصر عبد الناصر وكلها نقد عنيف لنظام عبد الناصر ، يعنى مثلاً توفيق الحكيم نشر بنك القلق ، ونجيب محفوظ نشر روايات مثل ميرامار وثرثرة على النيل .. بالنسبة لى شخصياً كتبت ونشرت قصصاً كلها نقد مباشر عن عبد الناصر .. مثل « الخدعة » وسبق أن حدثتك عنها وكيف حمانى هيكل . ونشرت أيضاً قصصاً مثل « العملية الكبرى » و « الرحلة » وقصة الرحلة نشرت فى يونيو عام ١٩٧٠ ، وإذا عدت لقراءتها من جديد ستجد المعنى الذى أردت قوله . والقصة نشرت بعد ذلك ضمن مجموعة « بيت من لحم » .

ملحوظة : « القصة تحكى عن شخصين خرجا معاً فى رحلة .. لا تعرف إلى أين بالضبط « فليظل الأمر إذن سراً بينى وبينك » .. تعرف أنها ليست المرة الأولى التى اجلسك فى عربتى وأسوق أنا تريد أن أكون أنت .. وأريد أن أكون أنا .. تطابقنا . وهانحن نطير . وبالعربة وبك أطير . الأمس الأرض وأطير .. أتلوى جذلاً وأسوق . أنت لا تعرف كيف تسوق . أنت من جيل القطار . القطار الذى لا خيار فيه . لا تختار إلا عبوديتك . أنا من جيل العربة . الحرية عربة . الرأى عربة . وحدك تحدد متى وأين . وحدك تعدل . تمضى تلف . تدور . النهاية فى يدك لحظة تريد . طبعاً أنت لا تريد أن تعرف إلى أين . متعتك الكبرى مثل متعتى أن تفاجأ . أنك لا تعرف . المعرفة قيد . طبعاً فى رأيك المعرفة قيد . المعرفة وصول . وأنت وأنا لا نريد أن نصل . الآن أنا فى حاجة إلى سيجارة . ألا تلاحظ أننا لا نختلف وانك لأول مرة توافق أن أدخن أمامك . لماذا كنا نختلف ؟ لماذا كنت تصر وتلح أن أتنازل عن رأيى وأقبل رأيك ، لماذا كنت دائماً أتمرد ؟! لماذا كرهتك فى أحيان ؟ لماذا تمنيت فى لحظات أن تموت لأتحرر .. يريدونك أهل الحى جثة يدفنونها . مستحيل يقتلوننى قبل أن يأخذوك ، ففى أخذك موتى ، فى اختفائك نهايتى . وأنا أكره النهاية كما تعلم . أكرهها .

لم يعد هناك مناص . إما حياتى أو موتك . لم يعد هناك مناص . لابد أن تنتهى أنت لأبدأ أنا » .

● وجدتنى أطلب [illegible] ف « هيكل السياسى »

قال : هيكل سياسى حتى النخاع . بس سياسى بظرف يعنى ، لأن فيه ناس إذا أخرجتهم من السياسية يحصل لهم جنان وفزع ، إنما هيكل أبداً ، يعنى ممكن نقول له رأياً سياسياً أو غير سياسى مخالفاً لرأيه ١٨٠ درجة ـ وهو يشجعك على هذا ـ وميزة هيكل أن لديه باستمرار وجهة نظر متكاملة ، فلا نفاجئه بسؤال مباغت فيطير منطقه المتكامل . هيكل باستمرار لديه منطق ، لذلك من يريد أن يدخل معه فى حوار أو مناقشة لابد أن يكون مستعداً له بمنطق متكامل زيه وإلا يخسر النقاش معه من أول جولة ! ولذلك أقول إن البحث عن نقطة الضعف فى منطق هيكل فى غاية الصعوبة ، ولكنه مهم جداً فى الحقيقة . لأنه أحياناً يبنى نظرية كاملة على حاجة مش صحيحة ! وأقصد غير صحيحة من وجهة نظرك أو نظرى ، فأنا مثلاً كنت بأقول إنه من المحتم لدولة فى مرحلة التحرر الوطنى زى مصر ، وأن أمريكا تؤيد إسرائيل فلابد أن نواجه أمريكا ولازم نعمل حسابنا على هذه المواجهة ، وثبت بعد كده أنه ممكن جداً مواجهة أمريكا ياأخى يعنى إيران واجهت أمريكا ، لبنان واجهت أمريكا ، فيتنام واجهت أمريكا .. يعنى أمريكا مش أسطورة . إنما هيكل لما يعمل حساباته على الورق وبالمنطق المتكامل الذى يتبناه يجد أنه مستحيل فعلاً مواجهة أمريكا ، يعنى هو صادق جداً مع تفكيره إنما اللى جاى من الشارع السياسى زى حالاتى يقول له : ممكن جداً مواجهة أمريكا ، يعنى أن تكتشف الخلل فى تفكير هيكل مسألة صعبة جداً لتكامل منطقه فمحتاج لنظرة مختلفة تماماً إنما فى نفس الوقت مسلحة بمنطقها الخاص !

● لم يكن فى نيتى أن أسأل د . يوسف إدريس هذا السؤال ، ولكن السؤال خرج من فمى دون إرادتى . كان السؤال يقول : هل كان حتماً أن ينتهى شهر العسل بين السادات وهيكل شتاء ١٩٧٤ بقرار السادات إبعاد هيكل عن الأهرام .

قال بعد لحظات تفكير : نعم .. لأن هيكل كان لقمة كبيرة على السادات ! ولما تيجى تحسبها بأن تضع كلا من السادات وهيكل لوحدهما فى غرفة مغلقة ، تأكد أن هيكل سيأكل السادات بمنطقه المتكامل ثم أن الأمور تغيرت ، فالسادات صار رئيساً للجمهورية ثم أنجز حرب أكتوبر وأصبح كبيراً فى حق نفسه ومحتاجاً لأحجام أقل من هيكل بكثير ، فى نفس الوقت هيكل لم يكن لديه الاستعداد أن يحجم أو يصغر نفسه ! أو يعمل نفسه علي علي أو زكى جمعة مثلاً .. إنما فيه ناس جاهزة لكده باستمرار .. فكان من المحتم أن يختلفا .



٩ حلمى سلام

من حرب فلسطين إلى مذبحة الصحفيين!!

كان حلمى سلام اقرب الصحفيين إلى جمال عبد الناصر !!
بدأت سنوات المعرفة قبل ثلاث سنوات من قيام الثورة ، وكانت حرب فلسطين قد انتهت إلى مانعرفه

خاض حلمى سلام على صفحات المصور قبل الثورة معارك عديدة دفاعاً عن جيش مصر وبطولات افراده .. ولأول مرة يذكر على صفحات المصور أسماء هؤلاء الأبطال وعلى راسهم محمد نجيب وجمال عبد الناصر !

وبعد الثورة باسابيع كان اول صحفى مصرى يكشف للقراء عن أسماء اعضاء مجلس قيادة الثورة ودورهم فى ثورة ٢٣ يوليو !!

□□

قلت له : فى حوار جرى بين الصحفى اللبنانى سليم اللوزى رئيس تحرير مجلة « الحوادث » وبين الأستاذ محمد حسنين هيكل ، ونشرته مجلة الحوادث فى عدد ٢٥ يونيو ١٩٧١. سأل سليم اللوزى هيكل .. هل كان فى استطاعتك تحقيق هذا النجاح لو لم يكن لك ذلك المركز الممتاز عند جمال عبد الناصر ؟!

وأجاب هيكل يومها :

ـ من الذى صنع لى مركزى عند عبد الناصر ؟ شىء واحد ، هو قدرتى على خدمة الهدف العام الذى كان يسعى إلى تحقيقه ، ليس هناك أى سبب آخر ! قبل الثورة لم نكن أصدقاء ، لم اكن أعرفه إلا قبل ٣ أو ٤ أيام من قيام ثورة ٢٣ يوليو (تموز) . لم اكن اقرب الناس إليه ، كان هناك غيرى أقرب . كان هناك أحمد أبو الفتح ، وكان هناك إحسان عبد القدوس ، وكان هناك « حلمى سلام » . كذلك لم أكن واحداً من الضباط الأحرار ، وأى حيز أخذته من تقديره مرجعه شىء واحد هو قدرتى على خدمة الهدف الذى يسعى إليه ..

ثم إن أى صحفى فى الدنيا من « سالزبرغر » إلى جيمس ريستون .. يعرف أن أحسن وسيلة للاقتراب من الأخبار هو الاقتراب من مراكز صنعها ، وهذا هو الوضع الطبيعى .

● كيف صرت قريباً من جمال عبد الناصر ؟ كيف تعرفت عليه ؟

ـ بدأت علاقتى بجمال عبد الناصر فى أوائل عام ١٩٤٩ ، بعد توقف حرب فلسطين مباشرة وعودته من حصار الفالوجا . كنت على صلة وثيقة جداً بواحد من الضباط الأبطال الذى قدم استقالته من الجيش فى المرحلة الأولى من الحرب وقبل أن تدخل القوات المصرية الحرب بشكل نظامى . كان اسم هذا الضابط هو « معروف الحضرى » .

وحدث أيضاً أن استقال من الجيش بعض الضباط وتطوعوا لدخول الحرب ، منهم البطل « البكباشى احمد عبد العزيز » الذى صحب معه « كمال الدين حسين » وحسن

فهمي عبد المجيد الذى صار فى عهد الثورة سفيراً لنا فى المغرب .

المهم أثناء الحرب وقبل الهدنة الأولى عاد معروف الحضرى إلى القاهرة جريحاً . وهناك حيث كان يعالج فى مستشفى الحلمية العسكرى ، قابلته وتحدثت معه ومع عشرات الأبطال المصابين ، ونشرت هذه المقابلات والأحاديث فى مجلة « المصور » .

فى تلك الجلسة مع « معروف الحضرى » بدأت ونمت علاقة وطيدة . وانتهت الحرب ، وانتهى حصار الفالوجا ، وعاد معروف الحضرى إلى القاهرة ، وبهذه المناسبة وجهت إليه الدعوة لتناول الغداء معى فى المنزل .. وفى ظهر اليوم التالى جاءنى معروف الحضرى ولم يكن وحده .. كان بصحبته شاب ضابط طويل أسمر اللون قدمه لى قائلاً : الصاغ جمال عبد الناصر !

رحبت بالبطلين وجلسنا فى الصالون ، وقال لى معروف الحضرى .. جمال عبد الناصر صديق حميم جداً لى ..

ثم التفت معروف الحضرى ناحية جمال عبد الناصر وأشار بيده نحوى قائلاً .. حلمى سلام من الصحفيين المهتمين بحرب فلسطين .. وله مقالات كثيرة فى هذا المجال . فى تلك الجلسة طرح الصاغ جمال عبد الناصر علينا أسئلة كثيرة جداً .. كان معظمها متعلقاً بما يجرى فى البلد .. وما جرى فى حرب فلسطين .. والأسلحة الفاسدة .. و.. و..

وما لفت نظرى أن عبد الناصر كان يسأل فقط .. ثم يصغى باهتمام لما أقوله أو يقوله معروف الحضرى .. كان مستمعا جيدا جداً .. وذهنه مرتب جداً . أما أهم ما لفت نظرى فى شخصيته فكان عينيه النافذتين اللتين يشع منهما بريق غريب ، وعادة عندما تتحدث تجد عينيه مركزتين فى مواجهة عينيك .

فى تلك الجلسة لم أسمع رأياً لعبد الناصر فى كل ما تبادلناه من حوار .. كان مستمعاً أكثر منه متحدثاً .. وفى نهاية الزيارة وأنا أودعه عند باب الشقة .. أحسست من مصافحته لى وضغطه على يدى أننا صرنا أصدقاء .. وشعرت أيضاً أنه سعيد بهذه المقابلة أو الزيارة .

● عدت لأسأل حلمى سلام : هل تكررت اللقاءات بعد ذلك ؟!

قال : نعم .. ولكن بدأ جمال عبد الناصر يزورنى فى بيتى بمفرده ! كان يزورنى مرة كل يومين أو ثلاثة أيام .. وطالت جلساتنا .. وفى كل جلسة لم تكن الموضوعات التى نتكلم فيها تخرج عن إطار الحرب وما جرى فيها بسبب فساد الملك فاروق والحاشية ..

بعد ذلك عَرَّفنى جمال عبد الناصر بالصاغ عبد الحكيم عامر صديق عمره وأخيه الروحى. وأذكر أنه قال لى عندما عرفنى به : خللى بالك ياحلمى ده خاله يبقى حيدر باشا القائد العام للقوات المسلحة .. رجل الملك فاروق رقم واحد !

وعندما لمح عبد الناصر الدهشة ترتسم على ملامح وجهى من هذا التناقض الغريب ان ابن أخت رجل الملك صديق لعبد الناصر .. قال لى جمال : ما تخافش منه ياحلمى !

واتصلت علاقتى أيضاً بعبد الحكيم عامر .. ثم حدث تعارف آخر مع عدد من الضباط الأحرار .. عبد اللطيف البغدادى .. حسن إبراهيم .. صلاح سالم .. وأنور السادات .. وبالمناسبة كنت أعرف السادات قبل ذلك منذ قضية اغتيال أمين عثمان وكنت اتابعها صحفياً فى المحكمة ، وأكتب تحقيقاتها فى مجلة « المصور » .

● قلت : كيف كانت علاقتك بأنور السادات ؟

قال : كان اهتمامى بأنور السادات عند تغطيتى لمحاكمة مقتل أمين عثمان لها عدة أسباب .. السبب الأول أن أنور السادات كان أكبر المتهمين سناً فى القضية ، إذ كان عمره وقتها ٢٧ عاماً ، السبب الثانى أن السادات كانت له خلفية سياسية ؛ فقد كان مطارداً سياسياً وسبق اعتقاله ، كما انه نقيب سابق فى الجيش .. من هنا واجبى كصحفى أن اقدم للقراء تلك الشخصية .. واقترحت عليه أن يكتب مذكراته وهو داخل السجن .. وكان سعيداً جداً بذلك الاقتراح !

وحكيت للأستاذ أميل زيدان اقتراحى للسادات فوافق . واتفقنا ألا ننشر تلك المذكرات إلا بعد النطق بالحكم فى القضية . لأنه إذا أدين فمن الصعب النشر . أما إذا حكم عليه بالبراءة يبقى ننشر .. فهى فى النهاية خبطة صحفية مثيرة وطريفة . ثم أن هذه القضية كانت مثار اهتمام الرأى العام بالكامل ، لأنها كانت أول قضية اغتيال سياسى . استمرت المحاكمة ٣٣ شهراً ، وكان السادات يكتب هذه المذكرات حلقة بحلقة . كنت أتسلم منه كل حلقة من خلال قفص الاتهام وفى نفس الوقت يتسلم أجر الحلقة المتفق عليه .

● سألت بدهشة : كم يتقاضى السادات ثمنا للحلقة الواحدة من هذه المذكرات !

قال .. عشرة جنيهات فى الحلقة الواحدة . وعلى ما أذكر فإنه قد كتب تسع حلقات تقاضى فيها تسعين جنيها .

وبعد أن صدر الحكم ببراءة أنور السادات فى ٢٤ يوليو ١٩٤٨ بدأنا نشر الحلقات فى « المصور » وكان عنوان المذكرات « ٣٠ شهرا فى السجن » بقلم أنور السادات .

أكثر من هذا أننى كتبت سطورا اقدم فيها أنور السادات إلى القراء ، وقلت فيها بالحرف الواحد .. « اليوزباشى محمد أنور السادات هو أحد المتهمين فى قضية الاغتيالات السياسية مع حسين توفيق وحكم ببراءتهم ، وهو أقوى المتهمين شخصية ، وأكثرهم ثقافة وتجربة . وكان قد عكف أيام سجنه على تدوين مذكراته تصور الحياة داخل السجن أصدق تصور ، وهذاهو الفصل الأول من تلك المذكرات التى سنوالى نشرها تباعا » .

ونشرت الحلقات بالفعل فى المصور ..

● قلت : كان جمال عبد الناصر يتردد عليك فى بيتك من حين لآخر .. هل حدث وزارك فى مكتبك بدار الهلال فى ذلك الوقت ؟!

قال : نعم زارنى عبد الناصر فى مكتبى بدار الهلال مرة واحدة فقط . كان ذلك فى يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٥٠ وكانت مناسبة طريفة بالفعل . ففى ذلك اليوم اقمنا فى دار الهلال حفل تكريم لأبطال مصر الرياضيين الذين أحرزوا بطولات عالمية . وكنت أقود حملة صحفية ضخمة هدفها تحسين الأوضاع الاجتماعية لهؤلاء الابطال . حيث كانت أوضاعهم الأسرية متردية جدا . وعندما عاد هؤلاء الأبطال من الخارج نظمنا لهم حفل تكريم فى دار الهلال ..ودعت دار الهلال المسئولين . ومن جانبى فقد دعوت أصدقائى وكان على راسهم اللواء فؤاد صادق . والأميرالاى محمد نجيب والصاغ جمال عبد الناصر .

وهذه الصورة الفوتوغرافية هى أول صورة تلتقط لعبد الناصر فى مكان عام قبل ١٩٥٢ . ولو كان رجال الأمن أو السراى يعلمون فى ذلك الوقت من هم هؤلاء الأبطال لأحسوا بمدى خطرهم على النظام الملكى ..فقد كان فؤاد صادق هو المرشح الثانى لقيادة الثورة عندما اعتذر عزيز المصرى ، وكان محمد نجيب هو المرشح الثالث الذى قبل مهمة القيادة .. وكان جمال عبد الناصر هو العقل المدبر وصانع الثورة الحقيقى ورئيس اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار . وصلاح سالم عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار . ورغم وجود بعض عيون الأمن فى ذلك اليوم .. الا أن أحدا منهم لم يشك لحظة فى هؤلاء الاشخاص .

قلت : الآن فقط نعرف أن المرة الأولى التى نشرت فيها الصحافة المصرية اسم جمال عبد الناصر كان على صفحات جريدة « الجهاد » لصاحبها ورئيس تحريرها الكاتب الوطنى توفيق دياب فى ١٢ نوفمبر ١٩٣٥ . عندما قاد جمال رئيس اللجنة التنفيذية لطلبة المدارس الثانوية مظاهرة ضخمة احتجاجا على بيان السير صمويل هور وزير خارجية بريطانيا الذى قال فيه : إن بريطانيا لا تريد عودة الدستور فى مصر ..وأثناء سير المظاهرة ناحية بيت الأمة أطلق الضباط الإنجليز النار على « الطالب الاسمر جمال عبد الناصر » فأصابته رصاصة فى جبهته ، فأسرع به زملاؤه إلى دار جريدة « الجهاد » وهناك ضمدت جراحه ، وفى اليوم التالى نشرت الجهاد تفاصيل المظاهرة وأسماء الجرحى ومن بينهم « جمال عبد الناصر » تحت عنوان .. « جرحى يلجئون إلى دار الجهاد » .

كان الصحفى الكبير حلمى سلام يصغى لهذه السطور ، كثفت كلماتى وقلت له :

● فى المقالات التى كتبتها فى المصور قبل ١٩٥٢ عن حرب فلسطين وبطولات الفدائيين هل ذكرت اسم عبد الناصر بصراحة فى إحدى هذه المقالات وكنت قد أصبحت قريبا منه؟!

ـ قال : فى عام ١٩٥٠ وكنت أعمل مديراً لتحرير مجلة « المصور » .. أثيرت قضية لجنة المشتريات الخاصة بالأسلحة الفاسدة . كان على رأس هذه اللجنة اللواء المهندس إبراهيم المسيرى ومجموعة من الضباط الذين حوكموا فى قضية الأسلحة الفاسدة وطلعوا براءة . وثار الرأى العام داخل الجيش ، وتكونت لدى الرأى العام نفسه فكرة خاطئة مؤداها أن كل الضباط لصوص ومرتشون وسماسرة وفاسدون .. وأذكر أننى كتبت مقالاً عنوانه « فلنحن رؤوسنا لجيش مصر « إجلالاً » . نشر المقال فى عدد المصور الذى صدر بتاريخ ٢٢ سبتمبر عام ١٩٥٠ كان المقال الذى استغرق صفحتين يقول بالحرف الواحد :

« نعم .. فلنحن رؤوسنا لجيش مصر إجلالاً .. ولنحنها رغم كل شىء .. فإن مثول عشرة أو عشرين ضابطاً أمام المحققين لا ينبغى أن ينسينا أن كثرة الجيش الكبرى لا تزال بخير .. لا تزال قوية الخلق والقلب والضمير ..

ويوم يقول أناس إن ضابطاً فى جيش مصر باع بلاده ليشترى عزبة سنقول لهم .. إن فى جيش مصر مئات من الضباط باعوا حياتهم ليكسبوا لوطنهم متراً أو أقل من أرض القتال . سنقول لهم عندكم « سيد طه » ورجاله .. لقد صمدوا للحصار والقتال أربعة أشهر سوياً .. وثبتوا أمام اليهود الذين كانوا يصلونهم ناراً من السماء وناراً من الأرض ، وناراً من كل مكان ! ولكن هذه النيران كلها لم تزدهم إلا حباً لمصر وثباتاً فى سبيلها ، واستهتاراً بالحياة وأعراضها .

ويوم يقول أناس إن فى جيش مصر « لواء » قبل على نفسه أن يشترى لبلاده ـ وهى فى أقسى أيام محنتها ـ ذخيرة تالفة .. سنقول لهم عندكم هذا اليوزباشى الصغير « محمد مجدى حسنين » إنه هو الآخر أسطورة من أساطير الشجاعة المجنونة

ويوم يقول أناس إن فى جيش مصر ضباطاً تهربوا من ميدان القتال ، ومرضوا أو تمارضوا ، ولم يكونوا رجالاً وقتما نادت مصر على الرجال ، سنقول لهم .. عندكم « فؤاد صادق » و « محمد نجيب » و « سيف الدين » و « الرحمانى » و « الدغيدى » و « أبو زيد » و « وجيه خليل » .

....

....

عندكم من الشبان « جمال عبد الناصر » وصلاح سالم وكمال الدين حسين .. وأستطيع لو اتسع المجال أن أعدد مئات الأسماء ، كان أصحابها أسوداً لا مجرد رجال ، واسألوا عنهم رمال فلسطين ترو لكم من ألوان رجولتهم ما يزرى بخيالات القصاصين » !

....

....

فلنحن رؤوسنا لجيش مصر إجلالاً

بقلم الاستاذ حلمى سلام

الشهداء « فهيم بيومى » و ...
... و « أبو زيد » و « وجيه خليل » ..
... من الشبان « جمال عبد الناصر » ...
... صلاح سالم » و « كمال الدين ...
... لو اتسع المجال ،
... كان أصحابها
... لا مجرد رجال ،
... ترد لكم من ألوان رجولتهم
... خيالات القصاصين !!

مصر بخير .. !

جيش مصر الذى لا ..

● مقال المصور فى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٠ ويظهر اسم عبد الناصر لاول مرة بوصفه احد ابطال حرب فلسطين . من بين الاسماء ايضا : مجدى حسنين ، صلاح سالم ، كمال الدين حسين ●

ولم أكن أعرف أن معظم هذه الأسماء تشكل اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار التى قامت بالثورة !

وكانت هذه هى المرة الأولى التى قرأ فيها الناس اسم جمال عبد الناصر قبل الثورة بوصفه واحداً من أبطال حرب فلسطين .. وهذه المقالة وغيرها من المقالات التى كتبتها عن الجيش والأسلحة الفاسدة وفساد الأحزاب ضمنتها كتاب لى صدر ونفد، اسمه « دقات الأجراس » وكتب مقدمة هذا الكتاب الأستاذ الكبير « فتحى رضوان » وقال :

« فحلمى سلام بحق كاتب حساس ذو بصيرة صافية وهو بلا منازع أول كاتب ذكر اسم قادة ثورة يوليو قبل أن تقع الثورة ، فاسم « جمال عبد الناصر » نشر أول ما نشر فى مقاله المعنون « فلنحن رؤوسنا لجيس مصر إجلالاً » وهو لن ينفك يرشح من قادة الثورة المدنيين فى مقالاته قبل الثورة أكثر من وزير من وزرائها الذين شاركوا فى حمل أعبائها من اليوم الأول » .

● قلت : فى ديسمبر ١٩٥٢ صدرت الطبعة الثانية من كتاب « حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر » للدكتور راشد البراوى أشار فيه إلى أنك أول من أزاح الستار عن أسماء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ، وكيف أنها بدأت بخمسة ثم صارت تسعة هم : البكباشى جمال عبد الناصر ، الصاغات : عبد الحكيم عامر ، كمال الدين حسين ، خالد محيى الدين ، صلاح سالم ، قائد الأسراب حسن إبراهيم ، قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى ، وجمال سالم والبكباشى أنور السادات .

وأشارت الكاتبة الصحفية « مى شاهين » فى كتابها شارع الصحافة أيضاً إلى أن قادة الثورة أملوا فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٢ قصة الثورة على الأستاذ حلمى سلام .

كيف نشرت قصة الثورة .. من أين جئت بالمعلومات ؟

ـ بعد حوالى شهرين من قيام الثورة بدأت أنشر فى مجلة المصور حلقات مسلسلة جعلت عنوانها « قصة ثورة الجيش من المهد إلى المجد » ولم يعترض على نشرها أحد فى دار الهلال ، وللحق والتاريخ كانوا سعداء جداً بها ، ونشرت على مدى ١٢ أسبوعاً إلى أن طلب منى جمال عبد الناصر التوقف عن كتابتها .. وأذكر أنه قال لى وهو يبلغنى بذلك : لغاية كده كفاية يا حلمى .. قال :وكنت قد وصلت فى كتابة هذه الحلقات إلى كيفية تحديد ساعة الصفر وكيف تم تنفيذ خطة الثورة .. وقال عبد الناصر : أنا ما أحبش إن أى حد يعرف كيف توصلنا إلى تحديد ساعة الصفر حتى لا تتكرر .

● قلت : من كان مصدرك الأساسى فى معلومات هذه الحلقات ؟

قال : جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر .. كانت لى جلسة أسبوعية مع جمال عبد الناصر يحكى لى أسرار الثورة على مدى ساعات .. أحيانا كانت تتم هذه الجلسة فى بيتى أو فى بيت عبد الناصر ، وأحيانا فى مكتبه بمبنى مجلس قيادة الثورة ، وأحيانا كان عبد الحكيم عامر يأتى إلى مكتبى فى دار الهلال لأنه لا يجد الوقت الكافى لأجلس معه فى مكتبه ليحكى لى وهو بعيد عن الهموم .

كانت الجلسة مع عبد الناصر يوم الخميس أو الجمعة من كل أسبوع وفى كل مرة كنا نتحدث حوالى ساعتين أو ثلاث كى يحكى لى معلومات الحلقة التى سوف تنشر ، وفى هذه الحلقات نشر لأول مرة بعد قيام الثورة عن العملاق الأسمر ونشرنا له صورة كبيرة بطول صفحة المصور وحددت دوره فى ثورة ٢٣ يوليو .

● قلت : هل كان لعبد الناصر ملاحظات حول هذه الحلقات ؟ هل أغضبت البعض من أعضاء مجلس قيادة الثورة ؟ هل أسعدت البعض ؟

قال : جمال عبد الناصر كان معجباً بهذه الحلقات .. ولم يحدث طوال نشرها أن طلب منى على سبيل المثال أن اطلعه على ما سوف أنشره .. ولكن فى أعقاب صدور إحدى الحلقات اتصل بى تليفونيا وأبلغنى أننى نسيت أن أذكر دور خالد محيى الدين وقال : إن دور خالد فى الثورة دور هام جداً .. وكان عبد الناصر يحب

خالد محيى الدين حباً شديداً ويحترمه إلى أبعد الحدود ويعتز به . ومن هنا فقد اطلق على ابنه الأكبر اسم خالد !

وطلب منى أن أشير إلى هذا الدور فى الحلقة التى أستعد لنشرها ، وفعلا أذكر أننى نشرت صورة لخالد محيى الدين

فقط استاء أنور السادات من هذه الحلقات وقال إن دوره غير موجود فى هذه الحلقات ، وفيما بعد تحولت هذه الحلقات إلى مسلسل اذاعى أعده للاذاعة محمد على ماهر ، كان يذاع يوميا حوالى الساعة التاسعة والنصف وأوقف بناء على طلب السادات .

● قلت : هل فى نفس هذه الفترة الزمنية كان الأستاذ مصطفى أمين ينشر « قصة التسعة » فى الأخبار وتروى أيضاً تفاصيل الثورة وأسرارها كما رواها له عبد الناصر وراجعها السادات قبل النشر ثم طلب عبد الناصر إيقاف النشر بعد أن أثارت غضب الضباط ؟!

● قال بحسم : لا .. ما نشره مصطفى أمين كان فى مرحلة أخرى جاءت بعد نشر حلقاتى بفترة طويلة .

● قلت وأنا أضبط أوتار كلماتى بدقة : يلقى محمد حسنين هيكل باتهام محدد حول تلك الحلقات والمسلسلات التى كانت تنشر وقتها ، ويقول فى حواره مع فؤاد مطر وحدث فى النصف الثانى من عام ١٩٥٢ ، قيلت وكتبت أمور كثيرة تتعلق بالثورة كان عبد الناصر يقرأ ما ينشر ويبدى استغرابه .. ما هو تعليقك ؟!

قال بهدوء شديد : ردى ببساطة أن هذه الأسرار كانت تنشر أسبوعيا على مدى أسابيع طويلة (١٢ أسبوعا) والذين كنت أستقى منهم المعلومات كانوا على قيد الحياة ولم يكذبوا أو يعترضوا على ما كتبته ، ولم يوقف عبد الناصر نشرها ، لأنها لو كانت غريبة أو غير حقيقية أو بعيدة عن الصدق كان فى استطاعة عبد الناصر أن يطيح ليس بى فقط بل بالمصور بأكمله وكان فى إمكانه ذلك ، واستمر النشر حتى وصلت إلى ساعة الصفر فطلب منى التوقف ، واحترمت رغبته . لأن المسألة ليست مجرد اثارة صحفية ، ولا تنس أن ارتباطى الشديد بالضباط الأحرار لدرجة أننى كنت أعتبر نفسى واحدا منهم . فأنا لست صحفيا يريد تحقيق كسب صحفى إنما ما كان يهمهم يهمنى أيضاً . ولو انضربوا فسوف أنضرب بالتأكيد .

● منذ سنوات نشر السيد « عبد اللطيف البغدادى » مذكراته فى جزءين أذكر أنه قال بالحرف الواحد : أنه بعد أن استعرض خلافات الثورة مع الرئيس محمد نجيب بعد قيام الثورة بقليل أنه قال : « علمت من جمال عبد الناصر نفسه أنه قد تكلم مع محمد حسنين هيكل المحرر بجريدة الأخبار وأحمد أبو الفتح بجريدة المصرى وطلب منهما عدم نشر أحاديث وصور محمد نجيب بجريدتيهما إلا فى الحدود الضيقة جداً ، وأن

أنور السادات قد لمح هو الآخر إلى أحمد الصاوى بجريدة الأهرام لاتخاذ نفس الاتجاه . ولما تساءلت عن مدى علم مصطفى وعلى أمين بذلك الأمر أبلغنى جمال عبد الناصر أن هيكل قد أبلغهما ومن أنه - أى جمال - يثق بهما .

انتهى ما كتبه عبد اللطيف البغدادى فى الجزء الأول من ذكرياته . وعدت أسأل حلمى سلام بهذه المناسبة :

ما هى حكاية محمد نجيب بالضبط مع الثورة ؟ كيف اقترب من ثوار يوليو ؟ كيف اختير ليرأس الثورة ؟! ولماذا ابتعد ؟!

- فى عام ١٩٥١ أجريت انتخابات نادى الضباط .. وفاز محمد نجيب بمنصب رئيس مجلس إدارة النادى .. ولا أحد يختلف حول محمد نجيب وطنيا أو عسكريا .

وفى ذلك الوقت كنت أكتب بابا اسبوعيا فى المصور بعنوان « يتحدثون عن » وبهذه المناسبة كتبت عن محمد نجيب أقول فيه - ويمكنك أن ترجع للمصور فى عدد ١٨ يناير ١٩٥١ - « إن محمد نجيب أمل ضخم من آمال الجيش ، وأمل الجيش اليوم منحصر كله فى المستقيمين الأوفياء ونجيب على رأسهم » .

وزارنى اللواء محمد نجيب فى مكتبى بدار الهلال ولم أكن أعرفه شخصيا ، وشكرنى على هذا المقال ونشأت بينى وبينه علاقة وثيقة . وكنت أعلم قبل ذلك التاريخ أن الرأى كان قد استقر تماماً على محمد نجيب كى يكون الوجه الناضج الذى يتصدر الثورة ، لانهم فى ذلك الوقت كانوا شبانا .. وكان عبد الناصر أكبرهم سنا ، كان عمره يوم قامت الثورة ٣٤ عاما .

كان الضباط الأحرار قد فكروا قبل ذلك فى اسمين . فى البداية الفريق عزيز المصرى باعتبار أن له تاريخا وطنيا مجيدا مع العسكريين وفى محاربة الانجليز وموقفا خاصا من الملك فاروق ، وحين فوتح فى هذا الأمر اعتذر لكبر سنه ، وأنه قانع بدور الأب الروحى للثورة .

ثم نأتى للشخصية الثانية وهى اللواء فؤاد صادق ، ثم عدلوا عنه واتجهوا إلى اللواء نجيب ولم يكن حول اسمه الوطنى أدنى غبار .. حيث كان فى حرب فلسطين قائدا ثانيا لجبهة القتال ، وجرح ثلاث مرات ، ومنح وسام النجمة العسكرية وهو أرفع وسام عسكرى وقتها .. فى نفس الوقت كان عبد الحكيم عامر يعمل معه كواحد من أركان حربه .. ويوما بعد يوم اقترب منه وزاد اقترابه ، وعندما اطمأن عامر من ناحية نجيب قال لعبد الناصر : لقد اكتشفت لك كنزا .

وبعد انتهاء حرب فلسطين بدأ عبد الناصر يتعرف على نجيب وتزداد صلته به ، وعندما قرر الضباط الأحرار دخول انتخابات نادى الضباط كان اسم محمد نجيب يتصدر هذه القائمة وكان هناك أسماء بعض الضباط الأحرار مثل : زكريا محيى الدين وحسن إبراهيم ، وجمال حماد وأمين شاكر .

وفاز نجيب وكذلك الأعضاء الذين رشحهم تنظيم الضباط الأحرار.

● قلت : وقامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأعلن بيان الثورة الأول من محمد نجيب بلسان أنور السادات .. وصار نجيب يتصدر كل جريدة .. ثم فجأة اختفى .. لماذا ؟!

قال : أنا متذكر كويس جداً جداً ، أنه بعد قيام الثورة ، أن قال لى جمال عبد الناصر أرجو تركيز كل الأضواء على محمد نجيب . ونحن - أى مجلس قيادة الثورة - غير موجودين فى الصورة بالنسبة للجماهير . وبالفعل كان المصور فى تلك الفترة لا يخلو عدد من أعداده من خبر أو مقال أو صورة عن محمد نجيب . وذلك منذ أول عدد صدر من المصور بعد قيام الثورة .

وفى تلك الأيام هاجمنى المرحوم جمال سالم - عضو مجلس قيادة الثورة - فى اجتماعات القيادة بتهمة اننى دائم التركيز على أخبار محمد نجيب . ولم يكن جمال سالم يعلم أن هذا الاهتمام الصحفى بمحمد نجيب ليس سببه فقط إعجابى وصداقتى بالرجل بل تنفيذا لرغبة جمال عبد الناصر نفسه الذى كان يرى أن الوقت لم يحن بعد لتقديم أعضاء مجلس قيادة الثورة للناس .

● قلت ضاحكا : ومن هذا المنطلق مثلا قال أنور السادات فى استفتاء نشرته مجلة المصور فى مايو ١٩٥٣ : إن محمد نجيب يأتى على رأس أعظم عشرة رجال فى العالم . بل هو أعظم رجل فى العالم .

- كان كل شىء بالنسبة لعبد الناصر محسوبا بدقة مذهلة ، وأن كل خطوة يقررها لابد أن تجىء فى وقتها السليم تماماً .. وساعده على ذلك أنه كان مناورا ذكيا بطبيعته .

وأذكر مرة أن عبد الناصر تحدث معى فى شأن محمد نجيب - وكان ذلك فى الشهور الأولى للثورة - كان نجيب أحيانا يستقل عربة مكشوفة ويطوف بها وسط التكنات العسكرية ، ويقوم بتحية الجنود والضباط .. وقال عبد الناصر ببساطة مذهلة لى : هو فاكر نفسه انه بهذا التصرف بيمتلك العساكر .. وبيكسب القوات المسلحة .. طيب خليه يعمل اللى هو عايزه .. واحنا هنعمل ثورة ثانية !

وبعد ذلك - عقب أزمة مارس ١٩٥٤ - كان نجيب قد اختفى تماما من الصورة

● قلت : كما اختفى كثيرون بعد ذلك ؟!

قال : نعم .. وأذكر اننى بعد فترة قصيرة من قيام الثورة أقنعت جمال عبد الناصر أن يقوم مصور دار الهلال بالتقاط صورة جماعية لأعضاء مجلس قيادة الثورة ونقوم بتوزيعها بمثابة هدية مع مجلة المصور .. وافق عبد الناصر على الاقتراح ورحب به أصحاب دار الهلال .

تم تصوير أعضاء مجلس قيادة الصورة ، وأعدت الصورة الهدية .. وذات مساء - قبل نزول المصور إلى الشارع بيوم واحد - اتصل بى جمال قائلا : يا حلمى الغى فكرة الصورة الهدية .. وقلت بدهشة : لكن أحنا طبعناها فعلا وجاهزة للتوزيع غدا !

فرد بحدة : لا .. الغى الهدية وتعال حالا عندى هنا .

اصدرت أمرا إلى المسئولين بدار الهلال بعدم توزيع الصورة مع المصور . وذهبت فى الحال إلى جمال عبد الناصر . وشرح لى الأسباب التى دفعته إلى إلغاء الصورة الجماعية قائلا : ماتتضايقش يا حلمى .. « لأن فيه اثنين من الذين يظهرون فى هذه الصورة وسيراهم الناس غدا ، سوف يختفون بعد فترة .. وأنا لا أريد الناس أن ترانا اليوم ١٥ شخصا وبعد فترة يجدوننا وقد نقصنا اثنين » .

وسألته عن الاسمين ، فقال : يوسف صديق وعبد المنعم أمين .

وبعد أن عدت إلى مكتبى طلبنى أميل زيدان وكان قد علم بحكاية إلغاء الصورة فقلت له : الحقيقة أننى لم أكن قد استأذنت جمال عبد الناصر فى نشرها ، وحين علم طلب تأجيلها لفترة .

واضطررت لاختراع هذا التبرير لأن عبد الناصر طلب منى أن أبقى هذه الحكاية ـ حكاية ابتعاد يوسف صديق وعبد المنعم أمين ـ سرا .

● قلت : فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ تم إلغاء النظام الملكى وإعلان الجمهورية . وعندما أعاد محمد نجيب تشكيل الوزارة أختير عبد الناصر لمنصب وزير الداخلية ! ألم يكن ذلك مفاجأة ؟!

قال : فى عام ١٩٥٣ أصبح جمال عبد الناصر وزيرا للداخلية . ولأنى أعرف شخصيته معرفة عميقة منذ عام ١٩٤٩ ، وحتى ذلك التاريخ كتبت مقالا عنوانه « عبد الناصر لا يصلح وزيرا للداخلية » .. كان العنوان مثيرا بالطبع ويختلف تماما مع مضمون وجوهر المقال . اذكر أننى قلت فى هذا المقال إننا نعرف أن وزير الداخلية فى الماضى شخص كريه الصورة . يحاول شراء ذمم العمد والمشايخ فى القرى .. و .. و.. ولأن أخلاق عبد الناصر وصفاته أبعد ما تكون عن هذه الأشياء كلها فهو لا يصلح لأن يتولى هذا المنصب !

وفى نفس يوم صدور مجلة المصور اتصل بى جمال عبد الناصر تليفونيا وقال لى : مقالك كويس قوى يا حلمى .. عجبنى مضمونه .. بس عنوانه مثير شويه ! ما تنساش أن فيه ناس مش بتقرأ إلا العناوين »، وأستطيع أن أؤكد لك أن جمال عبد الناصر كان حريصا على قراءة كل ما ينشر عنه حتى لو أغضبه .

●●

● قلت له : وأنا أعيد على مسامعه سطورا للكاتب الأستاذ مصطفى أمين .. جاءت فى كتابه الصادر عام ١٩٧٩ (لكل مقال أزمة) : كان جمال عبد الناصر فى أيام الثورة الأولى مؤمنا بحرية الصحافة مدافعا عن حقها فى النقد وإبداء رأيها . ولكنه كان يقول لى دائما إنه يلقى معارضة شديدة من زملائه أعضاء مجلس الثورة الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أنصاف آلهة وذات مقدسة لا تمس !

وكان المشير عبد الحكيم عامر يقول لى إن حل مشكلة الصحافة فى مصر هو أن تقبض الثورة على جميع الصحفيين بغير استثناء ، وأن تضعهم جميعاً فى السجن الحربى ، وبذلك تستريح الثورة ، وتستريح مصر !

قال الأستاذ حلمى سلام : كان جمال عبد الناصر حريصا على أن تكون الصحافة المصرية صحافة قوية وليست صحافة ضعيفة . وعندما أعود بذاكرتى إلى ماقبل قيام الثورة بسنوات وكان عبد الناصر يقرأ ما كنت أكتبه فى المصور أو يكتبه غيرى فى جرائدهم ومجلاتهم كان سعيداً بوطنية الصحافة المصرية ، وكنا جميعاً كصحفيين وكتاب نغلى بأفكار وطنية .. وكان غليانى أنا وغليان إحسان عبد القدوس لحساب الجيش والقوات المسلحة .كما سبق أن قلت لك .

ومنذ قيام الثورة لم ألمس ضيق جمال عبد الناصر مما كانت تنشره الصحافة بشكل عام أو ما كان ينشر فى المصور بشكل خاص . نعم كان عبد الناصر مؤمنا بحرية الصحافة وبخطورة دورها ومن هنا أنشأت الثورة صحفاً ومجلات تنطق باسمها.. أصدرت مجلة التحرير ثم جريدة الجمهورية وكان صاحب الامتياز هو عبد الناصر نفسه ، وأصدرت كذلك المساء وبناء الوطن .. إلخ .

وأذكر حواراً جرى بينى وبين عبد الناصر فى بيتى عصر أحد أيام نهاية عام ١٩٥٢ وكنت مسئولا عن باب فى مجلة المصور اسمه « بين المصور وقرائه » حيث كانت تأتينى رسائل القراء والقارئات متضمنة شكاواهم ومعاناتهم مع الأجهزة الحكومية وغير الحكومية .. وقال لى عبد الناصر يومها : عندما لا تصلك شكوى من قارىء لينشرها فى بابك ياحلمى .. يومها تكون الثورة قد نجحت بالفعل !!

● عدت لأقول بإلحاح : هل كان أعضاء مجلس قيادة الثورة يعتبرون أنفسهم أنصاف آلهة وذات مقدسة لا تمس ياأستاذ حلمى ؟ اعطنى إجابة تدعمها وثائق !!

قال : معك حق ، وتركنى لدقائق عاد بعدها يحمل ملفات عديدة وفتحها وأخذ يقول

فى سبتمبر ١٩٥٣ نشرت مجلة الاثنين ـ وكانت تصدر عن دار الهلال أيضا ـ تحقيقا صحفيا طريفا عن الهواية التى يحبها ويمارسها كل عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وقامت قيامة أحدهم وقال غاضبا : إن هؤلاء الرجال أكبر من أن تكون لهم هواية من أى نوع !

والحقيقة أن الغيظ ملأنى وكتبت فى المصور مقالاً أتساءل فيه : هل قادة الثورة آلهة ؟!

وقلت فى هذا المقال : إن هذا السيد المتحمس يريد أن يقول للناس إن رجال الثورة ليسوا بشرا ، ولذلك فلا يليق بهم أن يهووا شيئا مما يهواه البشر ، لا يليق بهم أن يهووا التنس ، ولا السباحة ، ولا الكرة ولا المشى ولا أى لون من ألوان الرياضة التى قالوا لنا عنها فى المدرسة أنها الطريق الوحيد إلى صحة العقل .

إننى أستطيع أن أذكر للسيد الكبير إن قادة هذه الثورة لا يعتبرون أنفسهم فوق مستوى البشر .. لا يعتبرون أنفسهم « آلهة » ، ولو كانوا يعتبرون أنفسهم كذلك لما وقفوا جميعاً أمام الميكروفون ليقول أحدهم ـ البكباشى حسين الشافعى ـ إن أحب أغنية إليه هى أغنية « على بلدى المحبوب وديني » وليقول آخر وهو السادات ان أغانى « أسمهان » هى أحب الأغانى إليه وهى أغانٍ مملوءة ـ وقد لا يعلم ذلك السيد الكبير ـ بمعانى الحب والشوق والهيام والخصام .. وما إلى ذلك من المعانى التى تعيش فى صدور البشر جميعا ، وتحسها قلوب البشر جميعا ، حتى من كانوا منهم أعضاء فى مجلس قيادة الثورة .

إن الذى يجب أن يكون مفهوما أن الزعماء مهما كبرت أقدارهم ليسوا فى نهاية الأمر إلا بشرا !

كان الأستاذ حلمى سلام قد فرغ من قراءة بعض سطور المقال الذى كتبه ثم عاد ليضحك بسعادة بالغة . ابتسمت وسألته : لماذا تضحك ؟!

قال : فى عام ١٩٥٣ بعد إعلان تشكيل الوزارة التى رأسها اللواء محمد نجيب ، كان صلاح سالم قد تولى وزارة الإرشاد وقتها ، وعندما ذهب إلى مكتبه بالوزارة ذهب إليه زملاؤه الضباط يهنئونه بالمنصب وجلس معهم فى غرفة مكتبه .. وبعد فترة أراد مغادرة مكتبه لأمر هام ومد يده وأمسك بكاب أحد الضباط الموجودين ولبسه فوق رأسه ، واكتشف أنه ليس الكاب الخاص به فقال : أمال فين الكاب بتاعى ؟! وأخذ الجميع يبحثون عن كاب صلاح سالم فى الغرفة .. وفجأة التفت ناحيتى وقال : خبيت الكاب بتاعى فين ياحلمى ؟! فضحكت وقلت له : شوف نفسك كويس ياسعادة الوزير .. ونظر إلى نفسه وأخذ يضحك فقد كان يرتدى الملابس المدنية ! وليس الزى العسكرى ! والذى أذكره أننى نشرت هذه الحكاية الطريفة ولم يغضب !!

● قلت له : دعنى أسألك سؤالاً ساذجاً .. هل لا حظت مثلاً أن واحداً من ثوار يوليو حريص على قراءة باب الحظ أو البخت فى الجرائد ؟

ابتسم وقال : الحقيقة لا .. إطلاقا .. ولكن أذكر واقعة طريفة فى هذا الصدد كانت فى أوائل الثورة تعرفت على فلكية هاوية وهى آنسة اسمها « بيوجيليد » وقابلتها زميلة لنا فى المصور هى « إيزيس فهمى » وعرضت عليها أبراج أعضاء مجلس قيادة الثورة كى تتنبأ لكل منهم بالمستقبل وأعددنا موضوعا طريفا بالفعل ، وقبل النشر عرضنا ما قالته الفلكية عن كل منهم فقالت تعليقا معينا . ونشر الموضوع فعلاً فى المصور عام ١٩٥٣ .

قالت عن محمد نجيب : طريقه حافل بالعقبات والمصاعب ولكنه سيتغلب على كل شىء بالعمل وبالصبر ومغالبة الزمن .

وعلق نجيب قائلاً : يبدو أن أغلب ما تنبأت به هذه السيدة صحيح ولكن الشك



○ المشير عامر والكاتب الصحفى حلمى سلام .

داخلنى فى صحته وعندما وجدته خاليا من المساوىء .

وقالت عن البكباشى جمال عبد الناصر : حالته المالية عرضة دائما للصعود والهبوط .. رزقه كثير وإنفاقه كثير أيضا .. لا يسمح لأحد بأن يخدعه. سنة ١٩٥٣ سنة سعد وتوفيق بالنسبة له ، سيكون موفقا فى كل ميدان ، والنجاح سيكون عسيراً عليه . من يناير ١٩٥٤ إلى يناير ١٩٥٦ فسيجد نفسه أمام عقبات جسام .. والكفاح سيكون أعنف .

وكان تعليق عبد الناصر : أنا لا أومن بالطالع .. ولا أهتم بمعرفته أبداً .

وقالت عن زكريا محيى الدين : يؤمن بالنتائج الواضحة الملموسة ، عمله موضع الرضا دائما ولكنه لا يجد نفسه دائما فى الجو المناسب .

وعلق زكريا قائلاً : الطالع من الناحية العملية معقول ، فقد لعب الحظ دوراً كبيراً ، وكان أهلى دائما يؤكدون أننى « المحظوظ » بين أخوتى .

وقالت عن عبد اللطيف البغدادى : كثير من التوفيق ينتظره ، وابتداء من سبتمبر عليه أن يوطن نفسه على كفاح أكبر وأشد ، سيدوم ذلك سنتين ثم يسهل كل شىء ويبتسم الحظ من جديد .

وعلق البغدادى : على العموم .. كويس ..

وقالت عن أنور السادات : صلب لا تفتر مقاومته أبداً .. قادر على التنظيم .. موهوب فى الإدارة ، لا ينثنى أمام عقبة ، ويعرف كيف يتغلب على كل شىء بالدبلوماسية حيناً وبالعنف حينا حسب الظروف ، لا يؤمن إلا بكل ماهو عملى ممكن مفيد . أصدقاؤه كثيرون . وأعداؤه كثيرون أيضا . له القدرة على النضال إلى النهاية .. لأنه يؤمن بها إيماناً تاماً .

وعلق السادات : الله أعلم ..

● قلت له : ولكن ماذا عن نقد تصرفاتهم كوزراء ؟! ولا تنس أنهم كانوا شباناً قليلى الخبرة فى تلك الأيام ؟!

قال : فى نفس تلك الفترة والتى يقول فيها البعض إن ثوار يوليو كانوا أنصاف آلهة كتبت أقول إننى أشكو الوزراء لأنفسهم ، أذكر أننى قلت : هل حاول وزراؤنا أن ينتزعوا من المصريين تقديرهم ، وإعجابهم بالأعمال الباهرة التى يقدمونها إليهم ويغرونهم بها ، ويشعرونهم أن انقلابا قد حدث ، وأن لونا من الحكم قد تغير ، وأن دماً جديداً قد سرى فى كل مكان . أسف إذ أرانى مضطراً لأن أطاطىء رأسى حزيناً خجلاً ، وأقول والأسى يملؤنى : لا !!

ولم يغضب أحد من الوزراء ، ولم يغضب عبد الناصر . بل أنه بعد أسبوع واحد أرسل أحد الوزراء رداً على مقالى نشر كاملاً عنوانه وأنا أشكو الصحفيين لأنفسهم !! وقال فيه : « واجب الصحفيين أن يحفزوا أفراد الشعب أن يتمسك بحقه وأن يكون هو عين الدولة الساهرة فيرشدونها ويدلونها ويأخذون بيدها فلتضع الصحافة يدها فى يدنا ، ولتوجه الكلام إلى الشعب دائما ، لتهيب به أن يقوم بواجبه لتدعيه إلى اليقظة الروحية ، ولترسم له إلى هذا السبيل الطرق العملية .. » وكان الرد من فتحى رضوان وزير شئون الدولة .

● عدت لأقول : أليس غريبا ويدعو للدهشة فى نفس الوقت أنه بعد قيام الثورة ظلت عشرات الأقلام الصحفية الكبيرة تكتب وتنشر ، وهى التى كانت من رموز العهد الملكى .. مثلا مصطفى وعلى أمين ، محمد التابعى ، فكرى أباظة ، كامل الشناوى .. وغيرهم ؟!

قال : معك حق فى أن هذه الأسماء الصحفية كانت رموزا لعهد مضى ولكن عبد الناصر حرص على أن يستبقيها لأنه كان يعتمد عليها فى خدمتها للنظام . ولا تنس الثقل والوزن الصحفى لهذه الأسماء عند القارىء ، مثلا كانت كل كتابات محمد التابعى بعد الثورة تأييداً مطلقاً للثورة وتمجيداً لعبد الناصر ..

وفى نفس الوقت كان محمد نجيب وعبد الناصر يعلمان علم اليقين أن بعض هذه الأقلام لا يؤيد عن اقتناع كامل ولكن مجرد ركوب الموجة .

وأذكر أننى فى عيد الثورة الأول أجريت حواراً مع الرئيس محمد نجيب ونشر فى

المصور فى يونيو ١٩٥٣.وقال لى : لسنا نريد من الصحافة والصحفيين أن يتحولوا إلى فرقة من المطبلين تسير فى موكبنا فليس فى ذلك إرساء لقواعد هذا النظام ولا إعلاء لبنيانه ، وإنما نريدهم أن يعينونا إذا رأونا على حق ، وأن يسددونا إذا رأونا على باطل ، وأن لا يكتبوا الكلمة إلا بعد أن يستفتوا ضميرهم الوطنى فيها ، ولا ينشروا المقالة إلا بعد أن يستأذنوا مصر - لا الرقيب ولا محمد نجيب - فى نشرها .. ولا أحسب صحافة مصر إلا مقدرة لخطر رسالتها وخطر آثرها فى حياة الأمة .

عاد حلمى ليقول لى : أستطيع أن أؤكد لك أننى طوال اقترابى من جمال عبد الناصر لم ألمس منه ضيقا بالصحافة .. كان ضيقه فقط عندما يقرأ مقالاً أو تحقيقا صحفيا يحس أن كاتبه لا يبتغى من ورائه وجه الله أو وجه الوطن .

● قلت له : ومع ذلك ياسيدى كان المرحوم صلاح سالم وزير الإرشاد وقتها دائم الهجوم على الصحافة والصحفيين فى كل مؤتمر كان يعقده ؟!

قال : فى الشهور الأولى للثورة تعرضت الثورة لهجوم مرير من بعض الأقلام الصحفية وكافة الأحزاب ، وكتبت يومها معاتبا صلاح سالم قائلاً : من حق الوزير على الصحافة أن تثبت له أنها ليست أقل منه حرصا على الأمانة وتقديرا للقيم العالية ، وتقديسا للخلق القويم ، وليس فى مبادرة صاحبة الجلالة إلى سحب ثقتها ممن ثبت أنهم لا يستحقون هذه الثقة أى عار عليها ، فقد سبقها الجيش صاحب الثورة وطهر من البعض صفوفه ، من حق الوزير على الصحافة أن يطلب منها أن تصون العهد وأن تحمى الثورة وأن تكون الدرع الذى يذود الضربات عنها .

هذا هو حق الوزير على الصحافة ! فهل ليس للصحافة على الوزير حقوق ؟! إن للصحافة على خطيب الثورة حقوقا كثيرة ، فمن حقوقها عليه أن يحميها بعدله من أولئك الذين قد يسيئون فهم بيانه الأخير عنها . ويتصورون أن ما يطلب إليهم هو تحطيم الأقلام كلها ، وخنق الأنفاس كلها ، من حق الصحافة على الوزير أن تطالبه بأن يبادر فيعلن على الملأ أسماء أولئك الذين ثبت لدى الثورة أنهم خانوا عهد المهنة ، وعبثوا بشرفها ، ومن حق الصحافة على الوزير أن يفهم الموظفون فى الدولة - كباراً وصغاراً - أن الصحافة حينما تقصدهم فى عون أو مساعدة ، فإنها بهذا العمل لا تتسول ولا تستجدى ، ولا تبحث عن غذاء،يصيبها الموت إذا لم تنله .. ومن حق الصحافة والصحفيين الوطنيين الصادقين أن يطالبوا الوزير بأن يعيد للقيم الخلقية اعتبارها ، بأن يضع أولئك الصحفيين الذين قال عنهم - هو - أنهم كانوا يهللون ويكبرون وخلقوا منه - بإصرار وعناد وأباحية أيضا - إلههم المعبود ، من حق الصحافة على الوزير أن تطالبه بأن تضع الثورة هؤلاء فى أماكنهم التى يستحقونها بما ارتكبت أقلامهم .. وإلا فلا قيمة لخلق ، ولا قيمة لاستقامة ، ولا شىء أكثر مما هو حادث الآن .

سكت حلمى سلام ثم قال : هذا بعض ما كتبته عام ١٩٥٣ بالتحديد .

● عدت لأقول : وبعد ذلك بشهور قليلة أذاع صلاح سالم كشفا بأسماء صحفية لامعة كانت تتقاضى مصروفات سرية قبل الثورة ! وكان الغريب أن الكشف تضمن عشرات الأسماء اللامعة . ومجلات لعبت دوراً وطنيا لا أحد ينكره مثل روز اليوسف !

قال : بالنسبة لروز اليوسف بالتحديد فلم تكن مصاريف سرية بالمعنى السيىء للكلمة ولكنها كانت فيما أعتقد تعويضات عن الأعداد التى كانت تصادر . وتحضرنى واقعة معينة جرت فى أواخر العصر الملكي عندما أصدرت دار الهلال كتابا للمؤرخ العظيم عبد الرحمن الرافعى عن الزعيم « أحمد عرابى » .. وأجازت إدارة المطبوعات نشر الكتاب ثم عادت فصادرته بأمر من السراى نفسها ! وبعد حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ تولى مرتضى باشا المراغى وزارة الداخلية والحربية ، وكان أيضا هو المسئول العام عن النشر . وكنت فى زيارة له وحدثته فى أمر هذا الكتاب الذى صودر بعد أن تمت الموافقة عليه بالفعل ، وهذا يكبد الدار خسائر فادحة !

وقال لى المراغى باشا : إنه لن يستطيع أن يعيد طرح الكتاب فى السوق ، ولكنه يمكن أن يعوض دار الهلال ماليا بأن يدفع تكاليفه ، وفعلاً سدد المراغى التعويض وكان على ما أظن حوالى ألفى جنيه على أقساط شهرية ، قيمة كل قسط حوالى ٥٠٠ جنيه .

ولذلك فإن روز اليوسف لم تتقاض مصاريف سرية ، ولكنها كانت تعويضات مالية عن الأعداد التى صودرت فى عهود ما قبل الثورة .

● قلت : وباقى الأسماء هل كانت الثورة متجنية عليها ؟!

قال : عندما كنت أعد كتابى « أيامه الأخيرة » كانت هناك واقعة خاصة بالأستاذ عبد الفتاح حسن ، وكان قبل الثورة مسئولاً عن شئون الصحافة فى آخر وزارة وفدية قبل حريق القاهرة ، كانت الواقعة خاصة بالتصريح الذى حصلت عليه الراقصة « سامية جمال » كى تسافر إلى دوفيل لتلحق بالملك فاروق ، وكيف أنه رفض الموافقة على إعطائها تصريح السفر .. وأذكر أننى عندما سألته عن الواقعة قال لى : خذ هذا الملف تجد فيه كل ما يتعلق بالواقعة .. وبالصدفة البحتة وجدت ضمن الملف كشفا بأسماء بعض الصحفيين الذين كانوا يتقاضون مصاريفا سرية من وزارة الداخلية وأمام كل اسم مدون المبلغ الذى كان يتقاضاه . إذن لم يكن هناك تعليق من الثورة فى قضية المصاريف السرية ولم تكن الثورة محتاجة إلى تلفيق مثل هذه الأمور . إنما خطأ الثورة وقتها أنها جمعت (الشامى على المغربى) ولم يكن أمامها وقتا كى تفرق بين المصاريف السرية وبين التعويضات !

ابتسم حلمى سلام وقال : ذكرياتى أو تجربتى مع موفق الحموى ـ رحمه الله ـ لم تكن مشجعة ، ورغم أننى كنت أعتبر نفسى جزءاً لا يتجزأ من ثورة ٢٣ يوليو بكتاباتى

ومقالاتى إلا أننى لاحظت شيئا غريبا جداً بعد قيام الثورة . فعندما كنت أرأس تحرير مجلة التحرير لاحظت أن الرقيب المقيم فى الدار يأخذ مقالاتى إنا بالذات ويدخل إحدى الحجرات ثم يقرأها عبر التليفون لموفق الحموى الرقيب العام وقتها .

وأذكر فى ذلك الصدد واقعة وحيدة معه جعلتنى أتخذ منه موقفاً حتى مات . كان ذلك بعد أن انتهى الخلاف بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر وعاد بعده محمد نجيب إلى سلطاته وقبل أن يختفى نهائيا من الصورة فى مارس ١٩٥٤ . المهم أننى اخترت صورة فوتوغرافية يتعانق فيها رئيس الجمهورية محمد نجيب ، ورئيس الوزراء جمال عبد الناصر وكانا واقفين فى شرفة هيئة التحرير بميدان عابدين يلوحان للجماهير المحتشدة ويعلنان لهم انتهاء الخلاف بينهما وهما رافعان أيديهما !! وكانت هذه الصورة هى غلاف مجلة التحرير ، وأذكر أننى كتبت تحتها عبارة : الرئيسان يتعانقان !

واتصل بى بعدها مباشرة الرقيب العام « موفق الحموى » قائلاً : رئيسين مين اللى بيتعانقوا ياأستاذ حلمى ؟! فقلت له : رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ؟! فقال لى بسخرية : البلد ما فيهاش غير رئيس واحد هو جمال عبد الناصر .. أما التانى فابن كذا (!!!) .

الحقيقة أننى صدمت واستنكرت ما قاله موفق الحموى وفى هذه اللحظة سقط الرجل من نظرى ، ليس لأننى كنت أحب واحترم محمد نجيب ، فقد كنت أيضا أحترم وأحب عبد الناصر ، ولكن لأنه من غير المقبول أخلاقيا وسلوكيا أن يتفوه ضابط بهذا اللفظ على رئيس الجمهورية حتى لو كان بالفعل قد استقر الأمر على عزله .

ورغم كراهيتى لموفق الحموى فأنا أذكر أنه عندما أصيب بأزمة قلبية وتأخر الطبيب على حسن سرور .. أستاذ القلب فى إنقاذه كتبت مقالاً عنوانه « حاكموا هذا الطبيب » عن تقصيره الذى أدى إلى وفاة موفق الحموى !!

● قلت : فى ظل سنوات التوتر والقلق كيف كانت الرقابة ؟!

قال : كانت الرقابة فى حالة « مد وجذر » . ارتفاع وهبوط . بشكل عام كانت الرقابة تتوقف على شخصية الرقيب العام . فإذا كان الرقيب العام على النشر واسع الأفق ، مثقف ، مستنير ومرن وحسن التفاهم مع رؤساء التحرير يكون ذلك فى صالح الصحافة والنشر وتكون الأمور كلها سلسة . أما إذا كان الرقيب ذا شخصية متسلطة غير مرنة ويتصور أن كل ما يكتب هو ضد الثورة أو طعن الثورة أو أن الصحفيين يريدون الانقضاض على الثورة والنظام فهنا تبدأ المشاكل .

● قلت له : أعلم من حواراتى مع نجوم الصحافة المصرية أن فى الفترة الأولى لقيام الثورة كان « موفق الحموى » هو الرقيب العام وهو أيضا مدير مكتب عبد الناصر . كيف كان تعاملك معه ؟ .

● قلت : بعد قيام الثورة استمرت الصحف تؤيدها تأييدا كاملا .. ومع ذلك أنشأت الثورة صحفا خاصة بها مثل « الجمهورية » و « التحرير » بل إنك أحد الذين تولوا مسئولية رئاسة تحرير إحدى مجلاتها وهى التحرير .. لماذا تركت المصور ؟ وكيف أصبحت رئيس تحرير مجلة الثورة ؟!

قال لى : سبق أن قلت لك إننى على صفحات المصور وطوال أربع سنوات كاملة (١٩٤٨ ـ ١٩٥٢) حولت المصور بالكامل إلى مقالات وتحقيقات عن بطولات حرب فلسطين ثم الأسلحة الفاسدة والقيادات الفاسدة .. بل نشرنا أسماء أبطال حرب فلسطين وكان من بينهم ثوار يوليو أنفسهم فيما بعد ..

ولما قامت الثورة انفردنا بنشر قصة ثورة الجيش كاملة من المهد إلى المجد حتى طلب عبد الناصر شخصيا إيقافها .. المهم استمر نفس الحماس الملتهب للثورة فى كل ما كنت أكتبه ..

بالطبع كنت أعرف أن أصحاب دار الهلال كانوا مرتبطين بصلات صداقة عميقة وحميمة مع أركان النظام السابق الذى غيرته يوليو .

وبدأ الخوف يدخل قلوب أصحاب دار الهلال .. فيما لو فشلت الثورة فماذا سيكون مستقبلهم .. وهم الذين حولوا المصور بالكامل ـ من خلالى ـ إلى التمهيد للثورة ثم عندما تحققت أيدناها بغير تحفظ !

وبعد حوالى سنة تقريبا من قيام الثورة أحسست بمناخ دار الهلال يتغير .. بدأ أميل زيدان يمنع لى مقالات بكاملها .. بدأ فكرى أباظة يشطب فقرات كاملة من مقالاتى وكل هذه المقالات عن الثورة وماكان يجزى . وبصفتى مدير تحرير ، فقد كنت أنا الذى أختار موضوعات العدد وأكلف المحررين بأفكار الموضوعات . وكان فكرى أباظة يراها بروفات . وأميل زيدان يراها فوق ماكيت العدد بنفسه . أى أننى كنت مسئولا مسئولية كاملة عن المجلة .

فجأة ساد مناخ متحفظ .. وطلب أميل زيدان أن يطلع على أفكار الموضوعات قبل تنفيذها ، وأن يقرأ مقالاتى قبل نشرها .. و .. بل إنه كان يطلب رؤية كل الصور الفوتوغرافية والكلمات التى تكتب مصاحبة لها .. وفجأة صرت مجرد « مراسلة » بين المحررين وصاحب الدار .. أحمل إليهم مقالاتهم وموضوعاتهم ليختار منها مواد المجلة . باختصار شديد تغير خط دار الهلال تجاه الثورة عما كان قبلها ..

● قلت : هل كان عبد الناصر على علم بهذه الأشياء ؟!

قال : نعم .. فقد كانت العلاقة مستمرة والصداقة تنمو يوما بعد يوم .. وفاتحته ذات يوم بأننى أفكر فى تقديم استقالتى من دار الهلال لأنى أكاد أختنق داخلها .. ولم يعد لى دور فيها فى ظل هذه الفرملة أو التكتيف الذى يتبعه أصحابها معى .

كانت المفاجأة أن عبد الناصر قال لى : إنه لايريدنى أن أترك المصور الآن .. لماذا

لا أدرى .. المفاجأة الأخرى أن أصحاب دار الهلال علموا بأمر تفكيرى فى الاستقالة .. أميل زيدان وفكرى أباظة رئيس التحرير والأستاذ « الببر انكونا » مدير عام دار الهلال علموا بأمرتفكيرى فى الاستقالة ، وحاولوا إثنائى عنها إلا أننى تشبعت وامتلأت بفكرة ترك دار الهلال .

● قلت مستفسرا : وماذا كان موقف عبد الناصر هذه المرة ؟!

قال حلمى سلام : أخبرنى وقتها بوجهة نظره فى عدم رغبته فى أن أترك دار الهلال الآن ، لأنه لايعلم على وجه اليقين من الرجل الذى سيتولى مكانى وهل هو سخص موال ومؤيد للثورة أم معادٍ لها ، فإذا تولى المصور رجل غير مؤيد للثورة فإن هذا قد يضطره لأن يضرب ضربته وهو غير مستعد بالمرة الآن لتوجيه ضربة إلى الصحافة .

● قلت فجأة : كان ذلك قبل ضرب « المصرى » وأغلاقها إلى الأبد ؟!

قال : نعم قبلها بشهور تقريبا .. المهم أن عبد الناصر قال لى : على أى حال ياحلمى إذا كنت قد امتلأت تماما من دار الهلال ـ وقالها بالإنجليزية « Fade Up » ففى هذه الحالة اذهب إلى دار التحرير امسك مجلة التحرير لتصدرها أسبوعية بدلا من نصف شهرية ولكن اجلس مع نفسك وفكر بهدوء شديد فى الأمر !

وجلست مع نفسى وفكرت فى الأمر جيدا واتخذت القرار .. لا مكان لى فى دار الهلال فى ظل خطها الجديد .. وفى اليوم التالى أخبرت عبد الناصر بقرارى . وقال لى يومها : اذهب غدا إلى أنور السادات وبلغه بما تحدثنا فيه ثم تعود ثانية وتبلغنى ماذا جرى بينكما .

كان السادات وقتها هو مدير عام دار الهلال !

● قلت : ماذا قلت لمدير عام الدار أنور السادات؟ وماذا قال لك ؟

قال : ذهبت إلى السيد أنور السادات فى مكتبه بدار التحرير ورويت له اتفاق عبد الناصر معى بشأن تولى رئاسة تحرير مجلة التحرير وأن أتولى إصدارها أسبوعية . فوجئت بالسادات يبادرنى فى بداية الحديث بقوله : إن مرتبى الذى كنت أتقاضاه من المصور كبير وأن هذا سوف يسبب له Troubles متاعب مالية مع الآخرين وأذكر أننى قلت له : أنا لاأدرى أن مرتبى ـ وكان ١٧٥ جنيها فى الشهر ـ كبيرا بالدرجة التى تتصورها . ثم إننى وصلت إلى هذا المرتب بجهدى وكفاءتى الصحفية فى دار الهلال .. ولاتنس أن منطق صاحب رأس المال لن يعطينى هذا المبلغ إلا إذا كان جهدى يساوى أربعة أضعاف هذا المبلغ .

وعندما لاحظ المرحوم السادات نبرة غضب فى كلامى ، قال محاولا تخفيف حدة غضبى : على أى حال ياحلمى مش هنختلف حوالين الفلوس !!

فى نفس اليوم وعقب مقابلتى للسادات ذهبت فى الحال إلى عبد الناصر ورويت له ماجرى بالكامل ولاحظت أن عبد الناصر غضب عندما رويت له عما قاله لى السادات

بشأن مرتبى . ولاأنسى عبارة قالها : هو هيدفعلك حاجة من جيبه !!

وبحكم معرفتى بطبيعة عبد الناصر ، أدركت أنه لن يترك هذه المسألة تمر هكذا ، وماحدث بعد ذلك أكد لى أن عبد الناصر تحدث مع السادات بشأن هذه المسألة . لسبب بسيط للغاية هو أن السادات تغير جدا من ناحيتى بعد ذلك . لأنه ربما تصور أننى ذهبت لأشكوه لعبد الناصر من تلقاء نفسى ولم يكن يعلم أن ذهابى كان بناء على طلب عبد الناصر نفسه لأخبره بما جرى مع السادات بشأن العمل لابشأن المرتب !! وحملها السادات فى نفسه .

● عدت لأقول له : هل كان صراع الكواليس يظهر أحيانا على صفحات « التحرير » مجلة الثورة ؟!

قال : بعد أن تسلمت العمل بالفعل فى مجلة « التحرير » حدثت أزمة طريفة . كان المرحوم صلاح سالم قد عاد من جولة فى لبنان وسوريا والعراق . كان وقتها يتولى منصب وزير الإرشاد . وكنت أسميه وزير دعاية صلاح سالم وليس وزير دعاية الثورة . المهم أن المرحوم صلاح سالم أرسل لى ٣٨ صورة فوتوغرافية له فى هذه الرحلة ، وطلب نشرها بالكامل فى المجلة . تصورت فى البداية أن صلاح سالم يمزح . لأن المنطق السياسى والصحفى كان يرفض ذلك ببساطة . وأن نشر هذه الصور بالكامل فسيكون ذلك مثار سخرية الناس . لأن معناه أنه عدد خاص عن صلاح سالم ورحلته . كما أن القارىء نفسه لايتحمل هذه الجرعة من الصور !!

● قلت مبتسما : هل رفضت نشر الصور مثلا ؟!

قال : ماحدث أننى اخترت مجموعة من هذه الصور ، أعتقد أنهم كانوا عشر صور منها . اخترت واحدة لتكون غلاف « التحرير » والباقى داخل المجلة فى حوالى أربع صفحات بالإضافة إلى مقال كتبته عن هذه الرحلة .

وصدرت المجلة بهذا الشكل ، وفوجئت بالسماء تنطبق على الأرض . ففى مساء ذلك اليوم كان هناك اجتماع لمجلس قيادة الثورة برئاسة جمال عبد الناصر ، وكان صلاح سالم أحد الحاضرين وفوجىء به أعضاء المجلس يقول بعنف وبغضب : أنا عندى موضوع واحد سوف أتكلم فيه ! تكهرب الجو بالطبع وتصوروا أن هناك كارثة سياسية مثلا .. ومالبث أن سأل عبد الناصر : موضوع أيه ياصلاح ؟!

وسأله عبد الناصر : ما الحكاية بالضبط . فأكد له صلاح سالم إننى أحاربه .. وسأله عبد الناصر كيف يحاربك حلمى سلام ؟ فقال له : أرسلت له ٣٨ صورة فوتوغرافية عن رحلتى لينشرها لى فلم ينشر سوى عشر فقط .. بماذا تسمى تصرفه هذا سوى أنه حرب تجاهى !!

ابتسم عبد الناصر وجذب نفسا عميقا من سيجارته وقال له : ياصلاح ده لو بيحاربك زى مابتقول كان عمل فيك مقلب ونشرها كلها .

وفشل عبد الناصر فى تهدئة صلاح سالم الذى هدد عبد الناصر قائلا : إذا لم تفصل حلمى سلام من التحرير سأستقيل من مجلس قيادة الثورة الآن ؟!

● قلت بدهشة : هل تجاهل عبد الناصر تهديد صلاح سالم أم رضخ له ؟!

قال حلمى سلام : فى ذلك الوقت بالضبط كان صلاح سالم يتمتع بشعبية كبيرة

لهذا كله انحنى عبد الناصر لعاصفة صلاح سالم بعد أن فشل تماما فى تهدئته . رغم أنه كان مقتنعا بما فعلته صحفيا . ولكن هذه إحدى صفات عبد الناصر الانحناء للعاصفة إلى أن يختار هو الوقت المناسب ليضرب ضربته . وطلب منى أن أبقى فى أجازة مفتوحة حتى يهدأ صلاح سالم . وأن يتولى رئاسة التحرير بعدى « سامى داود » .

وطلب جمال عبد الناصر من السادات أن يبلغنى بنفسه بقرار الأجازة المفتوحة حتى يخفف عنى وقعه ويشرح لى ملابسات القرار .. ولكن ماحدث كان شيئا مختلفا . فلم يتكرم بإبلاغى هذا القرار كما طلب منه عبد الناصر ، بل كلف سكرتيره اليوزباشى « حسن نايل » ـ صار سفيرا لنا فى لاهاى ـ بإبلاغى قرار الأجازة المفتوحة . إن حسن نايل ـ وهو مازال حيا ويملك الرد على هذه الواقعة ـ قال لى تليفونيا جناب البكباشى أنور السادات بيطلب منك أن تلزم بيتك فى أجازة مفتوحة لأن سامى داود حيتولى المجلة بدلا منك !!

● قلت لحلمى سلام : هل كنت تعرف أسبابا لذلك القرار المفاجىء ؟

قال : حتى تلك اللحظة التى أخبرنى فيها بالقرار لم أكن أعرف على وجه التحديد أسباب هذا القرار ؟! فكان من الطبيعى أن أسأل لماذا ؟ وأذكر أننى ذهبت لزيارة عبد الحكيم عامر ورويت له كيف أبلغنى حسن نايل بالقرار .. وفجأة انتفض عبد الحكيم عامر وقال : سكرتير أنور السادات هو الذى أبلغك بالقرار وليس السادات ؟! قلت : نعم ولكن لماذا ؟ فقال : لقد كان اتفاق عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة أن يبلغك السادات بنفسه !! وأثناء ذلك الحوار جاء السادات وحيانا .. بادلته التحية . وسكت عبد الحكيم وانفجر فى السادات قائلا : إزاى تسيب حسن نايل يبلغ حلمى .. ألم يكن إتفاقنا أن تبلغه أنت ؟!

ابتسم السادات وقال لعبد الحكيم عامر أنت ثائر دلوقتى وهاسيبك لغاية ماتهدى !

وكان من الطبيعى أيضا أن يتصور السادات أننى شكوته لعبد الحكيم عامر مثلما تصور أننى شكوته لعبد الناصر فحملها فى نفسه أيضا !

● ومن أين هذا التصور للرئيس السادات ؟!

قال : كان السادات يعتبرنى ـ وهذا حقيقة ـ قريب من عبد الناصر وعبد الحكيم بدرجة كبيرة جدا .. سواء قبل الثورة أو بعدها .. وتأكد له ذلك عندما كنت أجلس معهما ليرويا لى أسرار الثورة والتى نشرتها فى المصور .. وعندما لم يكن يمر أسبوع

دون أن يزورنى عبد الناصر أو عبد الحكيم فى بيتى .. ومن هنا أحس السادات أن طريقى إليهما مفتوح دائما ، فتصور أننى شكوته لهما .

والغريب فى الأمر أن علاقتى بأنور السادات قبل الثورة كانت أفضل بكثير منها بعد الثورة .

وربما كان أكثر ماآلمنى من السادات ، مثلا أنه فى أوائل الثورة أجرت مجلة « الجيل الجديد » وكانت تصدر عن دار أخبار اليوم حديثا معه قال فيه للمحررة .. خيرية خيرى : إنه عندما خرج من السجن وجد أن « القصر » هيأ له عملا فى دار الهلال .. أنا صدمت من هذا الكلام لأنه يعلم دورى فى تعيينه بمجلة المصور وقبلها اقتراحى عليه أن يكتب مذكراته لننشرها ، وفعلا نشرت .

● قلت : ماذا فعلت خلال تلك الفترة ؟ هل اتصلت بعبد الناصر ؟ هل حاولت أن تعرف ماذا جرى بشأنك فى الكواليس ؟!

قال : ظللت فى هذه الأجازة حوالى ١٤ شهرا .. شغلت نفسى فيها بالقراءة .. وأعددت المقالات التى سبق أن نشرتها قبل الثورة عن الجيش ، وحرب فلسطين ، وتحقيقات الأسلحة وصدرت فى كتاب اسمه « دقات الأجراس » كتب مقدمته الكاتب الكبير فتحى رضوان .

وذهبت إلى جمال عبد الناصر أزوره ومعى نسخة من كتابى لأهديها له .. وأخذ عبد الناصر يقلب صفحات الكتاب وسألنى : ماذا تفعل هذه الأيام ؟! فقلت له : قمت بتجميع المقالات التى كتبتها قبل قيام الثورة وطبعتها فى هذا الكتاب .. وأقتل الوقت بالقراءة !

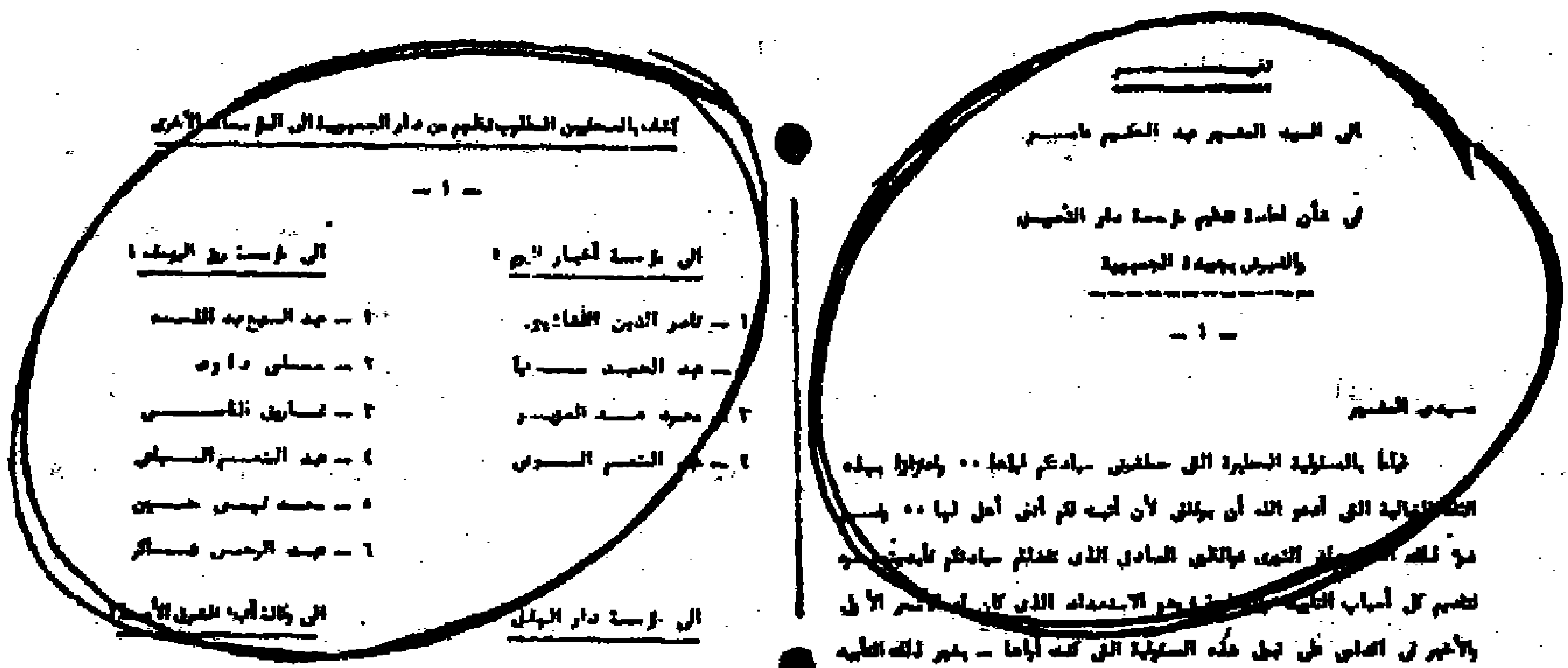
أعاد عبد الناصر تقليب صفحات الكتاب حتى وصل إلى مقال « فلنحنى رؤوسنا لجيش مصر إجلالا » والذى ذكرت فيه اسمه لأول مرة بوصفه واحدا من أبطال حرب فلسطين ، وتنهد تنهيدة عميقة وقال : كانت أيام ياعم حلمى !

ثم عاد ليقول لى ببشاشته المعهودة ماتتضايقش ياحلمى ، الأيام بتحل حاجات كتير قوى !! بتحل حتى محمد نجيب !

● قلت : فى تلك الأيام كانت أزمة مارس ١٩٥٤ على الأبواب .. وانتهت الأزمة بخروج محمد نجيب وبروز جمال عبد الناصر .. وكنت قريبا من عبد الناصر .. كيف بدأ التمهيد لإبعاد نجيب ؟! وقد روى البغدادى فى مذكراته ص ٨٠ أنه خلال صيف ١٩٥٣ كانت مظاهر الخلاف بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر قد بدأت تظهر على السطح وذلك على إثر إبراز بعض الصحف المصرية لجمال عبد الناصر على أنه هو الرجل القوى فى مجلس قيادة الثورة وجمال نفسه كان يحاول إبراز هذه الصورة !!

● كيف أحسست ببوادر التمهيد لإبعاد نجيب عن الثورة ؟!

قال لى حلمى سلام : كان قد مر حوالى عام على قيام الثورة .. وذات يوم دعانى


إلى السيد المشير عبد الحكيم عامر

كشف بالمحررين المطلوب نقلهم من دار الجمهورية إلى المؤسسات الأخرى

- ١ -

إلى مؤسسة أخبار اليوم

إلى مؤسسة روز اليوسف

إلى وكالة أنباء الشرق الأوسط

إلى مؤسسة دار الهلال

صفحة من التقرير الذى كتبه حلمى سلام الى المشير عبد الحكيم عامر

المرحوم صلاح سالم إلى تناول طعام الغداء معه فى مبنى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة . وبعد تناول الطعام قال لى صلاح سالم : أريد منك أن تقطع علاقتك بمحمد نجيب .

وشرحت له أن علاقتى بمحمد نجيب هى علاقة صداقة قوية وليست علاقة مع رجل يمتلك نفوذاً أو سلطة لأنى أعلم علم اليقين أن أعضاء مجلس قيادة الثورة يملكون من أمر محمد نجيب أكثر مما يملك هو من أمر نفسه . وأن الذى يحكم مصر ليس محمد نجيب ولكن جمال عبد الناصر .

وعدت لأقول له : لو أن محمد نجيب فى المركز الأقوى وطلب منى الابتعاد عنكم وقطع علاقتى بكم واستجبت فماذا سيكون حكمك على وقتها ؟!

ورد صلاح سالم غاضباً بعد أن خبط المائدة بقبضة يده : أنا ما أعرفش فى المثل العليا .. فقلت له : ولكنى أعرفها ! فقال بغضب : خلاص اعتبر الموضوع منتهى !!

بالطبع نقل صلاح سالم ما جرى لعبد الناصر ، وربما كان عبد الناصر هو الذى كلفه بذلك . أما بالنسبة لى فقد كنت ملتزماً الحياد بين الرجلين محمد نجيب قائد الثورة وعبد الناصر صانع الثورة الحقيقى ومنفذها .

● قلت لحلمى سلام : سبق أن قال هيكل : إن الأقرب لعبد الناصر كان أحمد أبو الفتح ، إحسان عبد القدوس ، حلمى سلام ؟ لماذا ابتعدتم ؟! وانفرد هو بالقمة

قال : لعلك تعرف أنه بعد قيام الثورة بيومين فقط اعتقلت الثورة مصطفى وعلى أمين ووضعا فى الكلية الحربية مع رجال العهد البائد ، وأذاعت القيادة العامة للقوات المسلحة بياناً جاء فيه : إن الأستاذين مصطفى وعلى أمين على اتصال بأفراد يهدفون إلى هدم حركتنا الوطنية المباركة ، ولم يسعنا فى هذه الظروف الدقيقة التى نجتازها سوى اعتقالهما . المهم أن مصطفى أمين وعلى أمين عرفا أين مكانهما من

الثورة أو بدقة عرفا رأى الثورة فيهما . لكن كان لابد أن تكون هناك جسور بين أخبار اليوم وبين الثورة . بذكاء شديد وخارق دفع مصطفى أمين بهيكل إلى الصورة باعتباره صحفيا لا غبار عليه عند هؤلاء الثوار .

● قلت : كان وقتها الأستاذ هيكل رئيسا لتحرير آخر ساعة ؟!

قال : نعم ومع ذلك أفرد مصطفى أمين لهيكل صفحات الأخبار اليومية ليكتب فيها ، وكانت جريدة المصرى المنافسة للأخبار قد اختفت بعد محاكمة أسرة أبو الفتح ، فتحول قراؤها بالكامل إلى الأخبار ويندفع هيكل بالكامل فى تأييد جمال عبد الناصر ـ أثناء أزمة مارس ـ ولا أحد يختلف حول ذكاء هيكل الوقاد .. ومنذ اللحظة الأولى راهن هيكل أن الجواد الرابح فى أزمة مارس هو عبد الناصر ، وكتب مؤيداً عبد الناصر . وهنا نقطة المفاضلة بينى وبين هيكل . فقد التزمت من جانبى الحياد فى ازمة مارس .. بينما أيد هيكل عبد الناصر بغير حدود . ومن هنا كانت البذور الأولى لثقة عبد الناصر فى هيكل .

فى نفس الوقت اختلف موقف باقى الصحفيين والكتاب .. قبل ذلك كان أحمد أبو الفتح على صفحات المصرى قبل إغلاقها قد كتب سلسلة مقالات « إلى أين » و « قوانين قوانين » .. وقد حدد بهذه المقالات موقفه من الثورة ، وللحقيقة فقد فوجىء عبد الناصر بمقالات أحمد أبو الفتح ، وحددت الثورة موقفها منه بمحاكمة المصرى وإغلاقها ومصادرة أمواله .

أما إحسان عبد القدوس فكتب على صفحات روزاليوسف أخطر مقالاته « العصابة السرية التى تحكم مصر من تحت الأرض » كان ذلك المقال مؤشرا خطيرا لعبد الناصر باعتبار أن إحسان عبد القدوس له دور وطنى مشهود قبل الثورة .

وقيل إن عبد الناصر أعطى الصحافة حريتها فى تلك الفترة كى يتعرف على من معه ومن ضده من أصحاب الأقلام .

ومن هنا يمكن اعتبار أن أزمة مارس كانت نهاية عصر الصحافة الليبرالية ، فقد اقتنع عبد الناصر بعدها وكذلك معه أعضاء مجلس قيادة الثورة أن المسألة لا ينبغى أن تمر هكذا .

● قلت لحلمى سلام : بعد أزمة مارس مباشرة كان قد صدر كتاب « فلسفة الثورة » الذى كتبه عبد الناصر ، والآن نعرف من كتابات هيكل أنه هو الذى كتبه ؟ ماذا تقول ؟!

قال : كان عبد الناصر قارئا ممتازاً وكان عقله وذهنه يموج بعشرات الأفكار التى تحتاج لمن يعيد صياغتها .. ولا أحد يختلف على براعة هيكل وذكائه .. وزادت أزمة مارس من اقترابه بعبد الناصر بينما ابتعد الآخرون وغابوا عن الصورة بشكل ما .. واستطاع هيكل أن يحول هذه الأفكار والخواطر إلى كتاب هو « فلسفة الثورة » .

● قلت : وماذا عن مشوارك الصحفى بعد ذلك ؟ ماذا بعد الأجازة الصحفية المفتوحة ؟

قال : فى منتصف عام ١٩٥٦ .. وكان قد مضى حوالى ١٤ شهرا على الأجازة المفتوحة التى منحها لى جمال عبد الناصر ، عندما أصر المرحوم صلاح سالم على تنحيتى من رئاسة تحرير مجلة التحرير بعد أزمة نشر الصور الخاصة برحلته . اتصل بى السيد عبد اللطيف البغدادى ، وهو صديق قديم ومن أوائل الضباط الأحرار الذين تعرفت عليهم فى عام ١٩٤٩ . وعبر المكالمة التليفونية أبلغنى عبد اللطيف البغدادى أن صلاح سالم ينتظرنى غدا فى مكتبه بوزارة الإرشاد القومى .

علمت بعد ذلك أن البغدادى تدخل لإنهاء ذلك الخلافات وسوء الفهم بين صلاح سالم وبينى والذى تصور بمقتضاه إننى أحاربه بإيعاز من عبد الناصر . وذهبت إلى صلاح سالم فى مكتبه .. وفى لحظة واحدة رأيت الجانب الإنسانى والعاطفى فى صلاح سالم .. أخذنى بالأحضان وعانقنى وبكى .. حاولت أن أفتح معه موضوع الخلاف القديم فقال بمودة ومحبة . خلاص بقى مفيش داعى تحسسنى بالذنب بتاعى ناحيتك . هكذا كان صلاح سالم إنسانا عاطفيا لأبعد الحدود ، وكان من أبرز مشاعره أنه يتحول فى مشاعره من أقصى اليمن لأقصى اليسار ، مثلا يقابل أحد الموظفين فيشكو له كيف أن مرتبه بسيط ويعول ستة أولاد ؛ فيأمر له بعلاوة خمسين جنيها ، وفى اليوم التالى تجده رفت هذا الموظف وليس هناك منطق فى الحالتين : العلاوة المفاجئة أو الرفت المفاجىء !

المهم فاتحنى صلاح سالم فى هذا اليوم أن أتولى رئاسة تحرير مجلة « الإذاعة » التى كانت تتبع فى ملكيتها وزير الإرشاد وكان بدوره هو رئيس مجلس الإذاعة الأعلى . وقلت لصلاح سالم : اعطنى مهلة أفكر فى هذه المسألة . كان هدفى الحقيقى هو الرجوع لجمال عبد الناصر .

فقد كانت العلاقات ممتدة والجسور التى بيننا لم تنسف بعد ! ولكن صلاح سالم حسم العرض قائلاً : لا .. لا .. الحكاية مش عاوزة تفكير أنا عاوز أستفيد من توزيع المجلة الضخم - ١٦٠ ألف نسخة أسبوعيا - ونحولها إلى مجلة عامة لا تكون مقصورة فقط على نشر برامج الإذاعة . وأن تكون البرامج جزءاً من صفحات المجلة .

● قلت : وكيف كان شكل مجلة « الإذاعة » فى تلك الفترة ؟

قال : كانت صفحاتها مقصورة على نشر برامج الإذاعة بالكامل والأخبار التى تدور فى كواليس الإذاعة فقط ، وكان الجمهور يقبل عليها إقبالا رهيبا لأن الجرائد اليومية مثل الأهرام والأخبار والجمهورية كانت لا تنشر هذه البرامج بحكم قانون يحظر نشرها إلا على هذه المجلة وبالتالى لم يكن أمام الجمهور فرصة لمعرفة البرامج والتمثيليات والأغانى إلا إذا اشتروا مجلة الإذاعة .. وطلبت منه إعطائى مهلة للتفكير ووافق

الرجل وقال : وأريد موافقتك فى أقرب وقت .

وبالفعل تحدثت مع عبد الناصر فى هذا الأمر وحكيت له كل ما جرى بين صلاح سالم وبيني وقال لى : على خيرة الله . ولما قلت له إننى متخوف من تجربة العمل مرة اخرى مع صلاح سالم . سألنى عن أسباب تخوفى . فقلت له : النهاردة صلاح سالم يأخذنى بالأحضان ويطلب منى أن أصبح رئيس تحرير مجلة ، وبكره قد يطالبك بقطع رقبتى !

ضحك عبد الناصر وقال ببساطته الآسرة للقلب والعقل : شوف بقى يا حلمى أنت مفيش قدامك فرصة انك ترفض عرض صلاح سالم ، لأنك إذا رفضت سوف يتصور على الفور إننى وراء هذا الرفض .. ولا تنس أنه فى المعركة الأولى الخاصة بمجلة التحرير تصور انك تحاربه لحسابى شخصيا .. وإننى لو لم أكن أشجعك على هذه المواقف لما كنت تستطيع أن تتخذها . وبالفعل بدأت العمل معه !

● قلت له : كم تقاضيت مرتبا ؟

قال : بنفس مرتبى القديم وهو ١٧٥ جنيها وبعد شهور قليلة رفعه صلاح سالم إلى ٢٥٠ جنيها شهريا .

● قلت : هل زادت حدة الرقابة أم كان هناك شيء من التساهل . وخاصة أن مجلة الإذاعة كانت ذات طابع فنى خفيف ؟!

قال لى : فى تلك الفترة كان المسئول عن الرقابة هو « حسن صبرى الخولى » الذى صار فيما بعد الممثل الشخصى لجمال عبد الناصر . وكان - رحمه الله - رجلا دمث الاخلاق ، هادىء الطبع ، واسع الأفق ، على درجة عالية من الثقافة ، وكان دائم التردد على رؤساء التحرير بشكل دورى . وكانت فترة وجوده فى هذا المنصب من أحسن الفترات رقابيا .. أذكر إننى كتبت مقالا عنوانه « ضاع قلمى » لنشره فى مجلة الإذاعة .. كان المقال يروى قصة حقيقية عن قلمى الذى فقدته فى أحد الأيام وكان قلما عزيزاً وغاليا لأننى احتفظ به منذ عشرين عاما .. المهم أن رقيب دار الهلال حيث كنا نطبع وقتها هناك قرأ المقال واعترض على نشره .. وتصور إننى أنعى ضياع قلمى من الناحية المعنوية بسبب الكبت والرقابة وغياب الحرية .. و ... و .. وقررت عدم طبع المجلة بغير هذا المقال ، وحس الرقيب بمدى الورطة . وظل الوضع متوترا حتى الساعة ١٢ ظهرا إلى أن جاء حسن صبرى الخولى وكان قادما من اجتماع مع عبد الناصر وعلم بالمشكلة فقال لى بهدوء شديد : أنا أثق فى صدقك .. فهل ضاع قلمك حقيقة أم تقصد شيئا آخر ؟

وقلت : بشرف إن قلمى ضاع . وما كتبته هو رثاء لهذا القلم الذى لم يفارقنى طيلة ٢٠ سنة .

قال حسن صبرى الخولى للرقيب المقيم فى دار الهلال ، ينشر المقال كاملا !!

وكما سبق أن قلت إن شخصية الرقيب العام كانت تلعب دورا كبيرا فى مدى تقديره للمساحة المتاحة من النشر أو عدمه !!

● عدت لأقول : هل كان عبد الناصر حتى تلك الفترة مهتما بما تكتبه الصحافة ؟ هل كان يبدى ملاحظات على ما ينشر ويثير غضبه أو ينال إعجابه ؟

قال : عندما كنت رئيسا لتحرير مجلة « الإذاعة » (١٩٥٦ ـ ١٩٦٢) كنت أكتب بها بابا أسبوعيا اسمه « ألوان » ـ صدرت مقالاته فى كتاب بنفس الاسم فيما بعد ـ كان شعار هذا الباب بضع كلمات تقول : « فى ميدان القلم لا تستطيع أن تكون إلا واحداً من اثنين .. فإما أن تقول الحق فيحترمك قلمك ويكرهك بعض الناس .. وإما أن تقول الباطل فيحتقرك قلمك ويكرهك كل الناس » .

واستمر شعار الباب لفترة طويلة جداً .. وذات يوم اتصل بى الدكتور عبد القادر حاتم وكان وقتها مدير مصلحة الاستعلامات وقال لى : سيادة الرئيس يطلب منك أن تشيل شعار بابك « ألوان » اذكر إننى سألته مندهشا : ليه يا دكتور حاتم؟

وقال لى بهدوء شديد : أنت عارف إن سيادة الريس مابيقلوش لِيَّه . إنما هو قال لى كلم حلمى سلام .. وقول له يشيل هذا الكلام !

● قلت لحلمى سلام : وهل تتصور حدوث ذلك ؟

قال بدهشة : أنا نفسى أتساءل .. هل جمال عبد الناصر طلب ذلك بالفعل ؟ ربما !! هل قيل ذلك الكلام على لسانه دون أن تكون للرجل يد فيه ؟ ممكن جدا ! فقد كانت هناك أشياء كثيرة تحدث دون علمه على الإطلاق !

● قلت : فى اللحظة التاريخية التى أعلنت فيها الوحدة بين مصر وسوريا فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ . وكان ذلك فى دمشق !

قال : فى تلك الفترة وكنت أيضا عضوا بمجلس نقابة الصحفيين ، قررنا عمل اجتماع لمجلس النقابة المنتخب (مصر وسوريا) فى دمشق تأكيدا لهذه الوحدة . كان النقيب وقتها حسين فهمي ، وسافر معنا إلى سوريا السيدة أمينة السعيد والأستاذ عبد المنعم الصاوى .

● قلت : هل شاهدت أو حضرت جلسات المباحثات ؟ .

قال : لا .. فقد كانت المباحثات مقصورة على القيادات السياسية بين البلدين ، وأذكر أن مصطفى أمين بذكائه المعهود وقدراته الصحفية الكبيرة حاول أن يحضر هذه الاجتماعات دون أن تكون لديه دعوة حضور ، وأخرجه عبد الناصر !

وأذكر أننى كتبت فى مجلة الاذاعة بعض الانطباعات ، وربما أكون قد نجحت فى التلميح إلى ما هو موجود تحت الرماد .. ولكن توالت الأخطاء من الجانبين .. وتوالت الأخطاء من جانب رجال عبد الحكيم عامر للأسف الشديد .

● قلت : حتى تلك الفترة كان عبد الناصر قد بدأ فى اختيار بعض المقربين منه

ليشغلوا منصب مديرى مكتبه ؟ كيف كانت العلاقة معهم ؟!

قال : كانوا يعرفون على الأقل طبيعة علاقتى بجمال عبد الناصر ، فلم تحدث مضايقات أو احتكاكات مع أى منهم ! وأنا لم أعاصر أو أتعامل بشكل مباشر إلا مع اثنين بالتحديد هما « أمين شاكر » و « على صبرى » وكان هذا فى الخمسينيات ، وعلى صبرى كان واحدا من الضباط الأحرار البارزين فى القوات الجوية ، وأذكر أننى سمعت باسمه لأول مرة فى أوائل عام ١٩٥٢ حينما كنت أنشر فى المصور سلسلة تحقيقات عن الفساد فى الجيش وكان عبد اللطيف البغدادى أحد الذين يمدوننى بمعلومات هذه التحقيقات . ولاحظت أن هناك عربة سوداء ترابط أمام منزلى وتراقبنى مراقبة شديدة ، وأبديت هذه الملحوظة لعبد اللطيف البغدادى فقال لى مفيش داعى للقلق ، دى عربية تتبع على صبرى قائد المخابرات فى الطيران وهو واحد منا !!

وعندما أصبح على صبرى مديرا لمكتب عبد الناصر للشئون السياسية فإن عبد الناصر أصدر إليه ما يشبه التعليمات أن أى شىء أريد أن أطلع عليه يسمح به ، وهو نفس الشىء الذى تم تطبيقه بالنسبة للأستاذ هيكل فيما بعد .

أما بالنسبة لأمين شاكر فكانت علاقتى به حميمة للغاية ، وهو شاب ذكى وفى قمة الإخلاص لعبد الناصر ، وكان عبد الناصر يحبه حباً شديداً ..

وعندما كان أمين شاكر مديرا لمكتب عبد الناصر ونتيجة لهذه الثقة المطلقة فيه . فكر عبد الناصر فى إنشاء مجلة أسبوعية على غرار مجلة « شاينا توداى » (الصين اليوم) ويتولى رئاسة تحريرها أمين شاكر . وهدف المجلة هو الدعاية لإنجازات الثورة بشكل صحفى .

كانت هذه المجلة هى « بناء الوطن » ، واستمرت تصدر لسنوات طويلة ، وقد حشد لها كبار الأسماء الصحفية اللامعة ، وكانت تطبع فى دار الهلال ، وكانت تحقق خسائر كبيرة .. وبسبب مشاكلها الكثيرة مع إدارة الهلال ولدت فكرة تأميم الصحافة !!

● **كان وضع الصحافة المصرية قبل صدور قرار تنظيم الصحافة فى ٢٤ مايو ١٩٦٠ كما يلى : اخبار اليوم يملكها الإخوان على ومصطفى امين .. دار الهلال ويملكها آل زيدان .. روزاليوسف ويملكها إحسان عبد القدوس .. الأهرام ويملكها آل تقلا .. ورغم تاييد الصحافة لقرارات الثورة .. كان لعبد الناصر رأى آخر فى وضع الصحافة والمجتمع يتجه نحو الاشتراكية .**

على مقهى إحسان عبد القدوس الكاتب الصحفى الكبير أتوقف وأجلس قليلا أقرأ شهادته حول تأميم الصحافة .. فى مذكراته التى كتبتها الزميلة نعم الباز فى آخر ساعة .. قال :

« فى أبريل ١٩٥٨ ماتت أمى ، وتصدعت كل أحلامى وأحسست تماما بأننى منهار ، وبدأت أفكر فى تأميم الصحافة كعملية إنقاذ لدار روزاليوسف ، وخصوصا أن

هذا الحل كان لا يمكن تنفيذه فى حياة أمى .. كان لا يمكن أن تترك المجلة أبدا للحكومة . فقد كانت هى أسرتها وهى منزلها .. وكنت كلما كتبت قصة أبيعها وأضع ثمنها فى روزاليوسف ، ثم أسست شركة بينى وبين أختى وزوجها كى نبنى دارا للطباعة .. وكل هذا ولا فائدة .. وكتبت مقالا قلت فيه : لماذا لا تؤمم الصحافة .. وقد أممنا كل شىء تقريبا ! ولجأت إلى هذا بعد أن أرهقتنى الرقابة أيضا .

وقلت أيضا فى المقال : إن الصحافة حين تؤمم تصبح تابعة للحزب الحاكم وهو الاتحاد الاشتراكى .

وقرأ عبد الناصر المقال فى أبريل ١٩٦٠ وأخذ منه أربعة سطور بالنص وأصدر بها قانون تنظيم الصحافة فى مايو ١٩٦٠ ، واتصل بى عبد القادر حاتم فى ذلك الوقت وكان على علاقة صداقة بى لأنه كان يعمل قبل الثورة فى روزاليوسف وقال : الرئيس أخذ من مقالك وأمم الصحافة وأنت حتكون رئيس مجلس إدارة روزاليوسف .

وكنت رئيس مجلس الإدارة الوحيد الذى عين من أصحاب الصحف التى دخلت فى قرار التأميم وأنا أعتبر أن روزاليوسف هى الوحيدة التى استفادت من تأميم الصحافة فى مصر كلها .. ولولا التأميم كانت روزاليوسف أفلست .. »

وأصل إلى شاهد الشهود ، محمد حسنين هيكل ، وفى أحدث كتبه « بين الصحافة والسياسة » تقول شهادة هيكل فى فصل جعل عنوانه « تنظيم الصحافة .. وقصة »

كانت بيننا مناقشات طويلة امتدت من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٦٠ حول ملكية الصحافة فى مصر ، لم يكن راضيا عن الملكية الفردية أو العائلية للصحف ، وكنت أرى غير رأيه وأناقشه مطولا ومفصلا ، وفى بعض الأحيان كنت أستطيع أن أفهمه ولكنى لم أكن أتصور فى نفس الوقت أن تتحول الصحف من ملكية الأفراد أو العائلات إلى ملكية الدولة ، فقد بدت لى تلك كارثة الكوارث ، ولم يكن هناك حل وسط .

وأعتقد بأمانة إننى وقفت فى الفترة ما بين سنة ١٩٥٦ إلى ١٩٦٠ وحدى تقريبا فى محاولة الدفاع عن « الواقع الراهن فى الصحافة » حتى لو أدى الأمر إلى بقاء ملكية الأفراد والعائلات .. فقد بدا لى ذلك أهون الضررين وأخف الشرين . وكان للثورة وقائدها والتنظيم السياسى ورجاله رأى آخر .. ثم جاءت ظروف وتحولات .

دعانى جمال عبد الناصر إلى بيته وجلسنا معا لواحدة من أصعب مقابلاتنا . قال لى إنه مهما كانت آرائى فى موضوع الصحافة فهو الآن واصل إلى اقتناع كامل بأنه لا يستطيع أن يترك الأمور كما هى . واستدرك يقول : لا تتصور أننى أريد أن أتخلص من أحد ، لو أردت أن أتخلص من أحد فأنت تعرف أن لدى من الشجاعة ومن السلطة ما يسمح لى بأن أقول له اذهب إلى بيتك ، ثم أنك ترى أن الكل يتسابق إلى التأييد أحيانا بأكثر مما أريد .. لكن القضية أكبر من ذلك .

ثم استطرد : إننا مقبلون على تحولات اجتماعية كبيرة ، وقد بدأت هذه التحولات

بتأميم البنك الأهلى وبنك مصر ، إذا كنا نريد حقا تنفيذ خطة للتنمية وإذا كنا نريد إجراء تحولات اجتماعية عميقة فى مصر فلا بديل عن سيطرة المجتمع على وسائل المال والإنتاج ، ولا أستطيع عقلا ولا عدلا أن أفرض سيطرة المجتمع على الاقتصاد ثم اترك لمجموعة من الأفراد أن يسيطروا على الإعلام . إنهم لا يسيطرون الآن عمليا لأن الثورة قوية وذلك مجرد خوف ، وأنا لا أثق فى خائف خصوصا إذا تغيرت الظروف ، ثم أن المرحلة الجديدة من التحول الاجتماعى تحتاج إلى تعبئة شاملة ، وأعرف أن الموجودين الآن سوف يصفقون لأى قرار لكن المطلوب شىء آخر غير التصفيق !

وقلت : إن خشيتى فى الواقع على المهنة !

وكان رده : فكر فى أية ضمانات تريدها للمهنة ، ولنلتق هنا غداً فى الحادية عشرة صباحا ، وسوف يكون معنا محمد فهمى السيد (المستشار القانونى للرئاسة وقتها) . وفى اليوم التالى حاولت بكل ما أستطيع ، وربحت بعض النقط وخسرت بعضها الآخر .

ربحت فيما أظن .. عندما استطعت أن أستبعد منطق التأميم بحدوده القاطعة ووصلنا إلى صيغة أخرى تسمح بمرونة وهكذا كان « تنظيم الصحافة » وليس « تأميمها » .

وحاولت أن أجعل الملكية مشتركة بين التنظيم السياسى وبين جمعية العاملين فى كل دار صحفية ٥٠٪ لكل فريق ، ولم يقبل عبد الناصر وخرج باقتراح وسط ، وهو انتقال الملكية إلى التنظيم السياسى وليس إلى الدولة واحتفاظ كل صحيفة بأرباحها داخلها ثم توزيع هذه الأرباح مناصفة : نصف للتجديد والإحلال فى دور الصحف ، ونصف لجمعية العاملين فى كل دار صحفية . واعترضت على المذكرة التفصيلية للقانون ، وأشهد أن جمال عبد الناصر كان صبورا فقد قال لى :

« دعك من مذكرة فهمى واكتب أنت واحدة غيرها » .

وكتبت مذكرة كانت فى الواقع إعلانا بتأكيد حرية الصحافة أكثر منها مذكرة تفسيرية لنصوص القانون الذى صدر فعلا يوم ٢٤ مايو ١٩٦٠ ... »

وانتهت شهادة محمد حسنين هيكل .

وتبقى شهادة الصحفى الكبير الأستاذ حلمى سلام .

● قلت : فى ذلك الوقت كنت تشغل منصب رئيس تحرير مجلة « الإذاعة » ما قصة قرار التنظيم ؟!

قال حلمى سلام : عندما صدر قرار تنظيم الصحافة فى ٢٤ مايو ١٩٦٠ كنت فى ذلك الوقت رئيس تحرير مجلة الإذاعة ، وأعترف أننى فوجئت بهذا القرار وعلمت به كأى مواطن عادى تماما .

وفى ذلك الوقت قيلت أسباب كثيرة حول تنظيم الصحافة .

لكن أنا أتصور أن هناك حادثة وقعت قبل ذلك بفترة كانت وراء هذا القرار .. فى تلك الأيام كانت الثورة تصدر ضمن المجلات التى تصدرها مجلة « بناء الوطن » كان رئيس تحريرها أمين شاكر مدير مكتب جمال عبد الناصر فى نفس الوقت . كانت المجلة تطبع فى مؤسسة دار الهلال . وتراكمت عليها ديون الطبع لدى المؤسسة حتى وصلت إلى عشرة آلاف جنيه (بعملة هذه الأيام حوالى مائة الف جنيه) .

وفجأة أصدر الأستاذ المرحوم « أميل زيدان » أحد أصحاب دار الهلال أوامره إلى المطبعة بألا تتسلم أصول المواد والمقالات الخاصة بمجلة « بناء الوطن » إلا بعد أن تسدد المجلة ديونها وقدرها عشرة آلاف جنيه .

وبالفعل عندما حضر رئيس التحرير « أمين شاكر » ليسلم المطبعة مواد العدد الجديد ، فوجىء بامتناع المطبعة عن تسلم هذه المواد تنفيذاً لقرار اميل زيدان . وقيل له يومها : أوامر اميل بيه عدم طبع المجلة إلا بعد تسديد الديون !

عاد أمين شاكر وأخبر عبد الناصر بموقف أميل زيدان فطلب منه أن يحرر له شيكا بخمسة آلاف جنيه ويواصل طبع المجلة .

عاد أمين شاكر إلى مكتبه وحرر شيكا بخمسة آلاف جنيه وأرسله إلى أميل زيدان حتى لا تتعطل المجلة عن الصدور وأن يسدد باقى المبلغ (خمسة آلاف جنيه) فيما بعد ! ورفض أميل زيدان قبول الشيك وصمم على أن يتسلم العشرة آلاف جنيه كاملة لا ينقصها مليم واحد .

فى نفس اليوم روى أمين شاكر القصة كاملة لجمال عبد الناصر . غضب جمال عبد الناصر واعتبر أن تصرف دار الهلال مسألة تحد للنظام أو للثورة .. فالمجلة باختصار أصدرتها الثورة ويرأس تحريرها مدير مكتب عبد الناصر شخصيا !

المهم طلب عبد الناصر منه أن يجهز أمراً بالاستيلاء على دار الهلال ! ويبدو أنه فى ذلك الوقت كان بجواره من نصحه بأن ذلك العمل قد يساء تفسيره وفهمه ، بأن يقال إن قرار استيلاء الدولة على دار الهلال المقصود به هذه الدار فقط لمجرد أن أصحابها لبنانى الأصل .

وكان جواب عبد الناصر : إذن المؤسسات الصحفية كلها .

ومن ناحية أخرى كان جمال عبد الناصر مبهورا بتجربة « تيتو » زعيم يوغسلافيا ككل .. ومن بينها الصحافة طبعا .. وبما أن المجتمع وقتها كان يتحول نحو الاشتراكية فكان من الطبيعي أن تصبح الصحافة تحت يد الدولة . وهذا هو الهدف الحقيقى من وراء قراره .

● قلت له : وبعد خمسة أيام ، وفى مساء الأحد ٢٩ مايو ١٩٦٠ اجتمع عبد الناصر بأعضاء مجالس إدارات المؤسسات الصحفية ورؤساء تحرير الصحف والمجلات . وكنت واحدا من الذين حضروا اللقاء ، واستمعوا لحديث عبد الناصر ؟ ماذا قال لكم ؟

وماذا قلتم ؟ وما لم ينشر فى الصحف ؟ .

كان حلمى سلام قد احضر دوسيها يحوى أوراقا عديدة . مكتوبة بخط يده .. كانت النص الكامل لما دار فى ذلك الاجتماع « الذى استغرق ساعتين ونصف الساعة » .

قال حلمى سلام : حضر هذا اللقاء على صبرى وكمال الدين حسين وعبد القادر حاتم ، وصلاح سالم وفكرى أباظة ، ومحمد التابعى وإحسان عبد القدوس وفتحى غانم ويوسف السباعى وكامل الشناوى ومصطفى وعلى أمين ومحمد حسنين هيكل .

الطريف أن المصورين الصحفيين بعد أن بدأوا فى التقاط الصور الصحفية طلب منهم عبد الناصر سرعة الانتهاء من التصوير حتى يبدأ حديثه . وبعد خروج المصورين بدأ حديث عبد الناصر إلينا .

قال عبد الناصر : « عاوز أتكلم بكل صراحة علشان تعرفوا وجهة نظرى وأريدكم ايضا أن تتكلموا بكل صراحة كى أعرف وجهة نظركم ، وانا باعتبر أن الصحافة يجب أن تكون رسالة أكثر منها سلعة أو تجارة لأنها إذا أصبحت سلعة أو تجارة ستسير فى الطريق الذى تسير فيه التجارة فى أى مجتمع من المجتمعات . هذا هو دور الصحافة الحقيقى » وقال أيضا : « إن الأمر المهم فى رأيى أن نحدد طريقنا . نسأل أنفسنا : إيه هدفنا ؟ ما المجتمع اللى عاوزين نعيش فيه ؟ .. المجتمع الذى نريد أن نبنيه ؟ هذا المجتمع بالقطع مش مجتمع القاهرة ولا النادى الأهلى ولا نادى الزمالك ولا نادى الجزيرة ولا السهرات بتاع الليل ! أبداً مش هو ده اللى إحنا عاوزينه » .

إننا إذا أردنا أن تكون عندنا فعلا صحافة يجب أن تكون فى خدمة مجتمعها الأصيل الطبيعى اللى إحنا جينا منه ! واللى جاء منه كل واحد فينا ، هو ده المجتمع الأصلى ومش الذى تكتبون عنه فى سهرات الهيلتون ، السهر بالليل يمكن لطيف ، والحكايات وسيرة الناس مسلية ، كل واحد حر فى حياته العادية ولكن هل ده دور الصحافة » ؟!

سكت حلمى سلام وعاد بعدها ليقول : ذكر عبد الناصر بالتحديد اسم المرحوم كامل الشناوى ، وكنت أتصور وقتها بعد هذا الهجوم القاسى من عبد الناصر عليه أن كامل الشناوى سيختفى إلى الأبد من الساحة الصحفية ، وكانت المفاجأة عندما ظهرت التشكيلات الصحفية بعد صدور قرار التنظيم ، وعين كامل الشناوى عضوا فى مجلس إدارة التحرير التى تصدر جريدة الجمهورية جريدة عبد الناصر ، وكانت المسألة تدعو للدهشة ، ولكن تزول الدهشة إذا علمت أن « هيكل » كان يحب كامل الشناوى ويعطف عليه ، ومن هنا أن رأى الطريقة المثلى لمداواة الجرح الذى أصابه ؛ هو تعيينه فى هذ المنصب ، ومسألة إقناع هيكل لعبد الناصر بذلك لا تحتاج إلى مجهود .

● قلت لحلمى سلام : قرأت للأستاذ مصطفى أمين حكاية نشرها فى كتابه « لكل مقال أزمة » تقول إنه كتب فى سبتمبر ١٩٥٠ مقالا عنوانه « البحث عن قائد » وقال له جمال

عبد الناصر عقب الثورة إن هذا المقال أثر فيه تأثيراً خطيراً وقرأه أكثر من عشر مرات .. وراح يعلم بالقلم الرصاص تحت فقرات منه .. وحدث أن عقد الرئيس عبد الناصر اجتماعا عقب تأميم الصحافة لرؤساء تحرير الصحف والمجلات وقال لهم إن مقال « البحث عن قائد » أثر فيه كثيراً قبل قيام الثورة .

قال : أنا لا أتذكر هذا أبداً ، ولا أذكر أن عبد الناصر قال شيئا كهذا للأستاذ مصطفى أمين ولك أن تسأل أحد الزملاء الذين كانوا حاضرين ومازالوا أحياء فى هذه الواقعة ! ربما يكون أحدهم قد سمع ما لم أسمع .. اسأل إحسان عبد القدوس ! أو فتحى غانم ! أو حتى « هيكل » !

أما الذى أذكره جيداً وخاصاً بالأستاذ مصطفى أمين ، أن عبد الناصر قال يومها انه سيرفع الرقابة عن الصحف ، ووقف مصطفى أمين وطلب استمرار الرقابة على الصحف ، وكانت وجهة نظره أن وجود الرقيب أدعى إلى الأمان ! وأذكر أن عبد الناصر قال يومها : خلاص طالما أنتم عاوزين الرقابة .. يبقى تفضل !!

فى حديث عبد الناصر إلينا أذكر قوله إنه أعطى تعليمات للرقيب ألا يقرأ : مقالات فكرى أباظة (رئيس تحرير المصور فى ذلك الوقت) أويشطب له حرفا واحداً منها إذا قرأها .. ثم توجه بالسؤال إلى فكرى أباظة قائلا : هل شطب الرقيب لك كلمة يا فكرى ؟!

فى ظنى وتقديرى أن عبد الناصر كان يتوقع من فكرى أباظة أن يقول له : لا ياريس لم يشطب الرقيب لى أى شىء ! وكان المفاجأة لنا جميعا أن فكرى أباظة رد على سؤال عبد الناصر بطريقته الساخرة : ياه .. كتير قوى يا ريس ! دنا بأكتب بدل المقال الواحد اثنين وثلاثة عشان السيد الرقيب يوافق على مقالة منها .. ده أنا زى ما أكون بياع لب !!

وتغير وجه عبد الناصر وامتقع لونه ، وعبر كلمات فكرى أباظة سريعا .. ورغم أنه فى بداية حديث عبد الناصر عندما قال : لقد عشنا فى المجتمع اللى سبق أن كلكم عشتم فيه وعاصرتموه وعلق فكرى أباظة بصوت مسموع : لا يا أفندم أنا ملحقتوش .. كنت لسه صغير !! لحظتها ضحك الجميع وابتسم عبد الناصر ثم عاد ليقول بعدها وهو ينتقد سلبيات الصحافة : كل واحد انتقد ونرجع مثلا إلى عشرات السنين أو « خمسات السنين » علشان محدش يفتكر أنى بأكبّر سنه !!

وربما كان موقف فكرى أباظة من الأشياء التى تسببت فى إحداث فجوة بينه وبين عبد الناصر . فإن ما حدث من فكرى أباظة من الأشياء التى لا تروق لعبد الناصر أن تحدث على مرأى ومسمع من الآخرين .. وأذكر أننى قلت ذلك لفكرى أباظة وقتها ، ولكن عزله كان سببه سطراً كتبه فى مقال وقد فهم من هذا السطر أنه دعوة للاتفاق مع إسرائيل .. ولا أستطيع أن أصور لك حجم الغم الذى أصابنى به هذا القرار .. وأذكر

أنني في صباح اليوم الذي نشر فيه اعتذار فكرى أباظة عما وقع منه بالصفحة الأولى بجريدة الأهرام ، كنت موجوداً بمحل أصواف بشارع قصر النيل ، وتقدم منى صاحب المحل ـ وكانت لى به معرفة سابقة ـ وقد أمسك بالأهرام وأشار إلى اعتذار فكرى أباظة قائلا : هل معقول يا أستاذ حلمى أن يكون فكرى أباظة هو الذى كتب هذا الاعتذار ؟ وسألته مندهشا : عاوز تقول إيه ؟ وأجابنى الرجل بتلقائية شديدة : قصدى أنه مدسوس عليه !

وبعد ذلك بأيام وفى جلسة خاصة مع فكرى أباظة فى مكتبه نقلت إليه رأى الرجل فى اعتذاره الذى حملته الأهرام لمئات الألوف من القراء ، فإذا بفكرى أباظة يتنهد من أعماقه قائلا : الله يسامحه هيكل لولا الضغوط التى مارسها على ، لما كتبت حرفاً واحداً فى هذا الاعتذار الذى إعتبره كل أصدقائى سقطة ما كان لى أن أقع فيها .

واعتقادى الخاص أن معنويات فكرى أباظة ، وإحساسه الكبير بكيانه المستمد من تاريخه الوطنى الطويل قد انهار تماماً منذ ذلك اليوم .

● قلت : أقصد هل اشتكى عبد الناصر من أشياء منشورة بالفعل ؟ هل طلب منكم أن تحدوا من الكتابة فى مجالات معينة وأن تكثروا من الكتابة فى مجالات أخرى ؟!

قال حلمى سلام : أكد عبد الناصر فى هذا الاجتماع « أن الصحافة من حقها بل من واجبها أن تنقده » ، وقال بصراحة « إحنا مش عاوزين التسبيح . النظام كنظام ثابت وقائم ومدعم الأركان تدعيما كاملا ، وعلى هذا الأساس فإن واجبكم إذا وجدتم أى وضع غير مستقيم أن تنقدوه ، ويجب أن يشعر الناس أن فيه نقد وأن فيه عيون مفتوحة ، وإلا كل واحد مسئول يبقى متصور نفسه متغطى ولا أحد يراه ، امسكوا جميع قطاعات الدولة ، إذا كانت فيه حتة خربانة قولوا إن الحتة دى خربانة ، لكن متجيش مثلا تقول إن أسكندرية ميتة زى ما حصل فى جريدة من الجرايد ، طيب إزاى نصحى أسكندرية اللى ماتت ؟ طلع بعد كده أن فيه ناس اجتمعوا وعملوا حفلة وطلعوا عشر ستات متصورين ، والله إذا كان كده نحط فى كل مديرية عشر بنات ونصحى البلد ! هل اسكندرية هى الكام بيت اللى بيسهروا بالليل ويروحوا يرقصوا « الروك آند رول » و « تشاتشا شاه » والكلام ده ، ولا هى الناس اللى بيروحوا يشتغلوا ويشيلوا على أكتافهم ! لازم نشوف مشاكلنا الحقيقية » !

وأشار عبد الناصر إلى الانتقاد البناء ، وقال « فيه مواضيع كثيرة بناءة طلعت على الجمعيات التعاونية ، وعلى أزمة المساكن ، وعلى الوحدات المجمعة ، وعلى الإصلاح الزراعى كلها أظهرت عيوبا وكانت بتعتبر كلها مواضيع بناءة ، كمان حاجات كتير اتقالت على الإدارات الحكومية ، وكانت نقد بناء » .

ولم يترك عبد الناصر صغيرة ولا كبيرة فى شئون الصحافة إلا وكان له عليها عتاب أو ملاحظة ؛ فمثلا كان غاضبا على الموضوعات الصحفية التى تهاجم الفنانين بغير

وجه حق .. وقال « الفنانين لهم رسالة زى الصحافة تمام ، بالأغنية ، باللحن ، بالسينما ، بالصورة ، بالتمثال ، نعتبرهم رأس مال كبير جدا ولهم أثر كبير ، وقال كان فيه فكرة إنهم يمنعوا الأغانى والمغنين بتوعنا من التعامل مع محطة لندن ولكن كونك تفتح لندن وتسمع عبد الحليم حافظ وتسمع عبد الوهاب هو فى رأيى كسب عظيم .. ولابد أن ندعم طبقة الفنانين بحيث نمكنهم أكثر من أداء رسالتهم » .

تركز غضب عبد الناصر حول الاهتمام المبالغ فيه بالجريمة والجنس والخيانة وقال يومها « المجتمع اللى عاوزين نبنيه مش هو مجتمع الجرائم ، يعنى الست اللى طالبة الطلاق لأن قلب جوزها واجعه كلام لا يجوز ، يعنى إيه ده .. يعنى أنا ما أتصورش أن واحدة تطلب الطلاق من جوزها حتى لو قلبه وقف ، لكن لما الحكاية تبقى كده « بالوش المكشوف » أنا بعتبر أيضا أنها مش مجتمعنا ، لكن لا أتصور أن الجنس يبقى باستمرار موضوع مناقشة أمام الأولاد والبنات يبقى إيه الوضع ؟ مستحيل . إيه الفلسفة اللى وراء هذا ؟ والله إذا كانت عميقة يمكن لسه أمامنا مائة سنة عشان نوصل لها » .

ابتسم حلمى سلام فجأة وقال : وفى هذا الاجتماع تحدث عن مجلة صباح الخير وعن الرسوم الكاريكاتورية بها ، وأشار إلى غلاف كان قد رسمه الرسام الكبير حجازى وقال « الصورة الكاريكاتوية اللى بتمثل الزوجة على أنها خاينة لأنها حطت تلاتة فى الدولاب ! ده أيضا مش مجتمعنا أنا معرفش ، أنا مش متصور أن فى مجتمعنا فيه زوجة بتحط تلات رجالة فى الدولاب وعشان كده بتحط لهم تكييف هواء » .

ووجه كلامه ناحية الزميل فتحى غانم الذى كان حاضرا الاجتماع بصفته رئيس تحرير صباح الخير .

● قلت : هل تغيرت أوضاع الصحافة كثيرا بعد التأميم عما كانت قبله ؟

قال : الغريب أن الصحافة استمرت بعد التأميم تخوض فى نفس الأشياء التى أثارها عبد الناصر فى لقائه بنا ، وكتبت فى مجلة الإذاعة وكنت مازلت رئيسا لتحريرها سلسلة مقالات عنوانها « صحافتنا بعد التنظيم » أقول فيها إن من يقرأ صحافتنا يجد فيها نفس الاهتمامات السابقة والتى كانت تستفز مشاعر الناس مثل أخبار الفساتين والموضة والسهرات والطلاق .. و .. .

● قلت : حتى تلك الفترة كثرت زيارات عبد الناصر للخارج .. هل حدث وسافرت معه ؟

قال : مرة واحدة فقط سافرت معه إلى الجزائر عام ١٩٦٢ . سافر عبد الناصر على ظهر الباخرة الحرية ومعه هيكل . أما باقى الصحفيين فقد سافروا بالطائرة وهم مصطفى أمين ، إحسان عبد القدوس ، أحمد بهاء الدين ، لطفى الخولى ، وأنا .. وكان الملفت للنظر هو الاستقبال الخرافى من شعب الجزائر لعبد الناصر . هناك

أحسسنا أن عبد الناصر هو الزعيم الحقيقى لثورة الجزائر وليس « بن بيللا » لدرجة أن عبد الناصر غير سيارته ثلاث مرات أثناء جولته فقد أعاقت الكتل البشرية سير سيارته ..

● قلت : هل اجتمع عبد الناصر بكم هناك فى الجزائر ؟

قال : عبد الناصر اجتمع بهيكل فقط ! ولكن باقى الصحفيين اجتمعوا بزعيم الجزائر بن بيللا ونزل هيكل مع عبد الناصر فى قصر الضيافة . وأقمنا نحن فى أحد الفنادق .

● كيف ولماذا تركت رئاسة تحرير مجلة الإذاعة ؟!

قال لى الأستاذ حلمى سلام : فى تلك الأيام ، لم تكن جسور التفاهم ممتدة بينى وبين د . عبد القادر حاتم الذى كان يشرف على الإذاعة والتليفزيون . وكانت مجلة الإذاعة تتبع كما سبق أن قلت لك وزارة الإرشاد القومى التى يرأسها د . حاتم ، وأذكر حين أنشىء التليفزيون وبدأ إرساله فى يوليو عام ١٩٦٠ أن د . حاتم كان حساسا لكل ما ينشر من نقد عن التليفزيون ، وفى أحد أعداد المجلة نشرنا مقالا مترجما لواحد من أساتذة أمريكا البارزين فى شئون التليفزيون عن مخاطر التليفزيون بالنسبة للأطفال عندما يجلسون ساعات طويلة أمام جهاز التليفزيون .. كان المقال علميا .. وفوجئت بعد نشر المقال أن د . حاتم أمر بمصادرة المجلة بسبب هذا المقال ، وكانت هناك أعداد من المجلة قد سافرت إلى خارج القاهرة تمهيدا لتوزيعها ، وأمر بنزع صفحات المقال الذى يتناول مخاطر التليفزيون .. للأسف فإن د . حاتم تصور أن المقال هجوم شخصى عليه ! وكثر تدخل د . حاتم فى شئون مجلة الإذاعة

وكتبت رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر شرحت له فيها أسباب اللاتفاهم بينى وبين د . حاتم بالنسبة لمجلة الإذاعة ورجوته فى نهاية رسالتى أن يعفينى من رئاسة التحرير ، وأن يعيدنى إلى بيتى القديم دار الهلال وإلى مجلة المصور . وأن يعيننى عضوا فى مجلس الإدارة وكأحد رؤساء تحرير المصور كإشعار للقراء والزملاء الصحفيين أننى لم انقل من الإذاعة إلى المصور فى صورة المغضوب عليه . وللحق والتاريخ فقد استجاب الرئيس عبد الناصر لهذين المطلبين ، عدت إلى دار الهلال عضوا بمجلس الإدارة ، ورئيس تحرير الأعداد الممتازة للمصور .

وعندما صدر قرار جمال عبد الناصر بهذا فوجىء د . حاتم به تماما .

● ألم تكن هناك فرصة لمقابلة عبد الناصر وجها لوجه حتى ذلك الوقت ؟

قال : نعم ، قابلت عبد الناصر ولم تكن هناك فرصة للحوار فى مثل تلك الأمور ، كان لك عام ١٩٦٢ عندما حصلت على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى وتسلمته من عبد الناصر فى عيد العلم العاشر .

● قلت : من أبلغك بخبر حصولك على ذلك الوسام ؟!

قال : فى البداية أبلغنى السيد محمد أحمد السكرتير الخاص لعبد الناصر ثم المرحوم يوسف السباعى الذى كان يشغل السكرتير العام للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . وأبلغنى تليفونيا بذلك قبل يوم واحد فقط من عيد العلم الذى تسلمت فيه الوسام .

الطريف - ياعم رشاد - أن جريدة الأهرام نشرت الأسماء التى حصلت على هذا الوسام وكذلك صورهم فيما عدا اسمى وصورتى . وكان الوسام قد منح إلى كل من إحسان عبد القدوس وأحمد بهاء الدين والسيدة أمينة السعيد ثم حلمى سلام .

وفى يوم الاحتفال الذى جرى فى جامعة القاهرة بقاعة الاحتفالات الكبرى صافحنا عبد الناصر واحدا واحداً ثم سلمنا الوسام ، قال لى عبد الناصر : مبروك يا حلمى . وقلت له .. شكرا ياريس .

وكتب مصطفى أمين فى ١٩٦٢/١٢/١٥ يقول : اليوم ستكرم الدولة الصحافة ، فسوف يسلم الرئيس جمال عبد الناصر فى الاحتفال بعيد العلم أربعة أوسمة إلى أربعة من الصحفيين المعروفين البارزين تقديرا من الدولة لجهودهم فى عالم الصحافة وهم الأساتذة إحسان عبد القدوس وأحمد بهاء الدين وأمينة السعيد وحلمى سلام .

وعرفت حلمى سلام أيام كان يكتب فى مجلة اللواء الجديد مقالات من نار عن الجيش فى العهد الماضى ، وعرفته فى عدد من الصحف والمجلات صحفيا جريئا مؤمنا بحق هذا الشعب فى الحرية والحياة ، ثم عرفته أكثر وهو يكتب فى مجلة الإذاعة ويجاهد بكلمة الحق وهو يعلم أنها لن ترضى كل الناس ، وقد تغضب كل الناس .

● كان معروفا إنه فى تلك الفترة أنشأ عبد الناصر التنظيم الطليعى .. هل انضممت إليه ؟!

قال : لعلك تندهش إذا قلت لك إننى لم أكن عضوا فى أى من التنظيمات السياسية التى ظهرت فى عصر عبد الناصر مثل هيئة التحرير أو الاتحاد القومى أو الاتحاد الاشتراكى ومع ذلك فوجئت بانتخابى أمينا عاما للجنة الاتحاد الاشتراكى فى دار الهلال دون أن أكون عضواً ! أما بالنسبة للتنظيم الطليعى فقد كنت عضوا فيه ، فى الخلية التى كان يرأسها على صبرى وتضم مصطفى المستكاوى رئيس تحرير المساء ود . عبد العزيز السيد وكيل وزارة التربية والتعليم ، وفى ثانى جلسة استبعدت من عضوية التنظيم . وكان ذلك عام ١٩٦٢ والسبب ببساطة أننى استمعت لخطبة لعبد الناصر قال فيها : « إنه لم يكن للاتحاد السوفييتى أى دور فى إيقاف عدوان ١٩٥٦ وإنما أمريكا هى التى لعبت هذا الدور ! » وعلق راديو لندن على الخطبة وأشاد إلى تناقض وقع فيه عبد الناصر الذى سبق أن أشاد بموقف الاتحاد السوفييتى . ورويت ذلك للمستكاوى وكان معى فى التنظيم ، وسألته ماذا نقول للقواعد حول هذا التناقض ؟ وكان رد المستكاوى غريبا جداً : إن راديو لندن لم يقل هذا !! وقلت له ..

إننى سمعته بأذنى ! فقال ولكنى لم أسمعه ! واحتددت عليه قائلا : ليس معنى أنك لم تسمع راديو لندن يبقى التعليق لم يذع ! وعلا صوتى لأننى شعرت أن الرجل يكذبنى فى شيء سمعته بأذنى وأريد إيضاحا لهذا التناقض ، وبعد ذلك علمت أننى نقلت إلى خلية أخرى كان بها أحمد حمروش وسعد كامل . ولكنى لم أدع إلى أى اجتماع فيها على الإطلاق . وانقطعت صلتى بهذا التنظيم تماما بعد جلستين على وجه التحديد .

● كيف وجدت بيتك ـ دار الهلال ـ وقتئذ ؟!

قال : عندما عدت إلى دار الهلال فى عام ١٩٦٢ كان يرأس مجلس الإدارة المرحوم « على أمين » وكان أيضا رئيسا لتحرير المصور يشاركه فى ذلك المنصب المرحوم فكرى أباظة . بعد أن نشر على صفحات الأهرام مقال الاعتذار الشهير .

فى نفس تلك الفترة صدر قرار بتعيين الأستاذ أحمد بهاء الدين رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال . كان ذلك فى أبريل ١٩٦٤ وكان بهاء قبلها رئيسا لتحرير أخبار اليوم . الغريب أن قرار تعيين أحمد بهاء الدين برئاسة مجلس إدارة دار الهلال بدلا من على أمين صدر بينما كان بهاء يزور الجزائر . فى ذلك كان بهاء كاتبا سياسيا مقروءا ومحللا سياسيا له وزنه الكبير مصريا وعربيا وكان توزيع أخبار اليوم لا يقل عن ربع مليون نسخة كل يوم سبت . بينما الأهرام الذى يكتب فيها هيكل مقاله الأسبوعى بصراحة لم يكن يصل إلى هذا الرقم أبداً . وكان هذا يقلق بال هيكل .

● وماذا كان موقف الأستاذ أحمد بهاء الدين من ذلك القرار ؟!

ـ أجابنى حلمى سلام : قرأت الاستياء على وجهه فقد كان القرار فى ظاهره الترقية وفى باطنه القتل المعنوى .. لأن ما كان يهم الأستاذ بهاء وما يهم أى كاتب مقروء وله ثقل هو عدد قرائه .. وكان قراء بهاء حوالى المليون قارئ إذا افترضت أن متوسط قراء النسخة الواحدة من أخبار اليوم هو أربعة أفراد بينما كان توزيع مجلة المصور لا يزيد على ٢٠ ألف نسخة أسبوعيا فى ذلك الوقت .

وأذكر أن هيكل زار بهاء مرتين فى دار الهلال مواسيا ومعزيا بهاء . ورغم استياء بهاء إلا أنه أعطى المصور الكثير مما رفع شأنها وزاد من توزيعها ولكن لم يصل به إلى توزيع أخبار اليوم الراسخ .

إن أحمد بهاء الدين يتميز بالإخلاص الشديد فى عمله .. ولهذا سرعان مانسى تلك الضربة وقفز بالمصور قفزات واسعة ، ولكن بعدها بفترة عهد إليه رئاسة مجلس إدارة روزاليوسف بالإضافة لدار الهلال وكان القرار أيضا فى ظاهره الترقية لبهاء ولكن فى باطنه تبديد طاقاته وجهوده بين المؤسستين . بالقطع فإن ذلك لم يكن تفكير جمال عبد الناصر بصفته الذى يعين ويختار رؤساء مجالس إدارات ورؤساء تحرير الصحف . كان لدى عبد الناصر من الهموم والمهام ما يكفى وزيادة .. ومن هنا فإن

معظم التغييرات الصحفية التي شهدتها المؤسسات الصحفية فى تلك الفترة كان هيكل وراءها !

● هل اكتفى عبد الناصر فى شارع الصحافة « بالأهرام » ومن الصحفيين « بهيكل »

وعلى الجانب الآخر كانت تنمو سلطة عبد الحكيم عامر ويتحول إلى ند يحسب عبد الناصر حسابه ويخشى بأسه . كان الطفل المدلل ـ حسب تعبير عبد الناصر لحسن إبراهيم ـ قد أصبحت له أنياب وأظافر . فإذا كان لعبد الناصر هيكل والأهرام ، فليكن للمشير إذن حلمى سلام والجمهورية « والرواية مصدرها منير حافظ » .

ولم يكن المشير عبد الحكيم عامر غائبا عن هذه التغيرات ـ يقصد الصحافة ـ كان قد فرض حلمى سلام رئيسا لمجلس إدارة دار التحرير ورئيسا لتحرير جريدة الجمهورية فى أغسطس ١٩٦٤ ومنحه دعما ماليا قدره (٣٥٠ ألف جنيه) رغم تعليمات عبد الناصر بعدم دفع أية إعانات للمؤسسات الصحفية « والرواية مصدرها الأستاذ أحمد حمروش » .

وكان الأستاذ حلمى سلام يصغى لما أقول : وعدت لأقول باختصار .. أين الحقيقة؟!

قال : فى أحد أيام شهر أبريل ١٩٦٤ ، اتصل بى تليفونيا د . عبد القادر حاتم ، وطلب منى التوجه لزيارته فى مكتبه . وفى نفس اليوم وكنت فى مكتبه قال لى د . حاتم : سيادة الريس عاوزك تروح تمسك دار التحرير ؟!

تملكتنى دهشة مفاجأة وقلت له بحسم : لو أمرنى الريس أن أرمى نفسى فى النار .. فلن أسأله عن سبب هذا الأمر ! أما حينما يتعلق الأمر بدار التحرير فيمكننى أن أستأذن الريس فى أن أقول له إننى لا أستطيع تنفيذ ذلك الأمر !

اندهش د . حاتم من أجابتى وقال لى : ياساتر أنت شايف أن دار التحرير افظع من النار ؟!

فقلت للدكتور حاتم : أنا لا أقول هذا من فراغ .. لأنى لست غريبا عن دار التحرير ، فقد كنت رئيس تحرير إحدى مجلاتها وهى « التحرير » كما أننى كنت عضوا بمجلس إدارتها عندما كان يرأسه المرحوم صلاح سالم ، وكل ذلك يجعلنى أعرف خبايا دار التحرير ونقاط الضعف والانهيار التى تعانى منها . ولهذا فأنا لا أستطيع أن أذهب إلى دار التحرير مهما كانت الظروف أو المغريات ! يكفى أن صلاح سالم نفسه فشل فى إنقاذها .

اذكر أن د . حاتم ضحك وقال لى : من الطبيعى أن يفشل صلاح سالم لأنه ليس صحفيا . ولكنك صحفى محترف مشهود لك بالكفاءة .

وشكرته على تحيته وقلت : أرجوك تبلغ سيادة الريس ردى بالحرف الواحد ، وأنا سعيد فى دار الهلال ، بيتى الذى عدت إليه بعد غياب ست سنوات فى مجلة الإذاعة ؟

وقبل مغادرتي مكتب د . حاتم فاجأني قائلاً : على أية حال أرجوك أن تنسى تماما كل ما دار بيننا فى هذا الشأن ، وإذا اتصل بك اى شخص من طرف الريس وتحدث معك فى نفس الموضوع اعتبر كأنك تسمع هذا الكلام لأول مرة .

فى تلك اللحظة بالضبط تأكدت أن د . حاتم ليس مكلفا من قبل الريس بأن يدعونى لتولى مسئولية دار التحرير ، ولكن يبدو أنه سمع هذه المعلومة ، فأراد أن يبلغنى بها لأطير من الفرح أو هكذا تصور فيصبح هو صاحب فضل علىَّ ! فقد كانت متعة د . حاتم أن يكون صاحب فضل على كل صحفي فى مصر .

توجهت عقب مقابلتى للدكتور حاتم إلى منزلى . وهناك وجدت إشارة من مكتب نائب رئيس الوزراء أن أتصل به تليفونيا فى هذه النمرة فورا ، فى ذلك الوقت كان هناك أكثر من نائب رئيس وزراء . كان هناك عبد المحسن أبو النور .. عباس رضوان .. الخ .

ادرت قرص التليفون طالبا الرقم الذى أملوه علىَّ من فى المنزل ، وقلت أنا فلان .. فقال لى : أنا مدير مكتب السيد عباس رضوان ـ وكان نائبا لرئيس الوزراء ووزير الحكم المحلى ـ وهو يريدك أن تأتى إليه .. عباس رضوان صديق قديم لى وإنسان ودود جداً وبسيط جدا ، وكان لفترة مديرا لمكتب المشير عبد الحكيم عامر . المهم قال لى عباس رضوان : سيادة الريس اتصل بي منذ قليل من استراحة برج العرب حيث هو موجود وطلب منى الاتصال بك كى تتولى رئاسة دار التحرير ، وإلى أن تتخذ قرارا فى هذه المسألة اعتبر ما قلته لك أمراً فى قمة السرية .

دهشت أيضا وقلت له يومها : مادام الأمر كذلك فاسمح لى بأن أقول لك إننى قادم منذ لحظات من عند د . حاتم وعرض علىَّ نفس الشىء .. وأنا أخبرك بهذا حتى تعلم ، المسألة معروفة لدى غيرى .

أتذكر أن عباس رضوان سأل بدهشة : ومن الذى كلف حاتم حتى يتصل بك ويتحدث معك ؟

وأجبته : هذه ليست مشكلتى .. وتستطيع أن تسأل د . حاتم عمن كلفه ؟ ولكنى أرجوك فعلا أن تساعدنى للإفلات من هذا المأزق .

ووعدنى الصديق عباس رضوان .. وهو حى يرزق .. بأن ينقل اعتذارى للرئيس جمال عبد الناصر .. ومرت أيام .. ثم أسابيع وحمدت الله تماما أن المسألة نامت وأن الريس صرف النظر عن أمر تعيينى .. بعد شهرين بالضبط فى يوليو فوجئت بمكالمة تليفونية من العقيد على شفيق السكرتير الخاص للمشير عامر يخبرنى فيها بضرورة زيارة المشير فى بيته بالحلمية . وذهبت إلى بيت عبد الحكيم عامر .. الذى استقبلنى مرحبا وسألنى ضاحكا : أنت لسه خايف من دار التحرير يا حلمى ؟! وعاد ليقول لى : سيادة الريس كلفنى أنى أبلغك تروح تمسك دار التحرير ؟!

وعدت أشرح للمشير عامر أسباب تخوفى من دار التحرير ورجوته أن يقنع سيادة

الرئيس بالتفكير في أحد غيري .. وفي نهاية المناقشة قال لي : اطمئن يا حلمي ، من ناحيتي سأحاول إقناع الريس ، ولكن ما أضمنش إني ها أنجح في اقتناعه بوجهة نظرك ! وأنت عارف أد إيه هو عنيد .. وأنا مسافر له دلوقتي اسكندرية ، وبعد رجوعي كمان يومين سأتصل بك لأخبرك بقرار الريس !

وبعد يومين عاد عبد الحكيم عامر من الأسكندرية واتصل بي وقال : للأسف يا حلمي .. الريس لم يقبل عذرك !

لحظتها أحسست أن صاعقة وقعت على رأسي ، ثم عاد المشير ليقول لي : للريس طلب محدد أن تتخفف الجمهورية من ٥٠٪ من حجم العمالة بها .. وبالنسبة للديون وهي ٣٦٠ ألف جنيه فهو سيعطيك ٣٥٠ ألف جنيه لتسدد بها ديونك وتتصرف من عندك في باقي الديون وهي عشر آلاف جنيه ، وتبدأ بداية سليمة مع دار التحرير والجمهورية ، وبالنسبة للأسماء التي سوف ترى التخفف منها فإنهم سينقلون إلى المؤسسات الصحفية الأخرى ، هكذا قال لي الريس .

وأتذكر أنني أبديت دهشتي للمشير وقلت له : إن التخفف من ٥٠٪ من حجم العمالة في الدار يعني حوالي ٣٠٠ شخص وأن هذا كارثة ولكن غاية ما يمكن هو إعداد كشف بأسماء ٣٠ أو ٤٠ فقط !!

وطلب عبد الحكيم عامر مني إعداد الكشف بالأسماء المقترحة ، لأنه لا يعرف أسماء الصحفيين وبالتالي لا يعرف من ينقل ومن لا ينقل ! ومن أستطيع التعاون معه ومن لا أستطيع .

وفي نفس الوقت طلب مني ضرورة إغلاق جريدة المساء وهذا رأي عبد الناصر .. وكانت المساء قد بلغت خسائرها عن عام ١٩٦٣ وحده حوالي ١٦١ ألف جنيه و ٤٦٠ جنيها ، ورفضت بالطبع وقلت له إن مثل هذا القرار يعتبر كارثة . وكان رئيس تحريرها في ذلك الوقت مصطفى المستكاوي ـ وأضفت له : وإذا كان غلق المساء شرطا لذهابي إلى دار التحرير فأنا لن أذهب .. وقال لي يومها .. طيب سيب المساء دلوقتي ولتبدأ بإعداد كشف المنقولين !

قال حلمي سلام : أعددت مذكرة أو تقريرا يتضمن الأسماء الصحفية التي تنقل إلى المؤسسات الصحفية الأخرى وكذلك تصوري في شأن إعادة تنظيم مؤسسة دار التحرير والنهوض بجريدة الجمهورية وهذه نسخة التقرير الذي قلت فيه :

« سيدي المشير : قياما بالمسئولية الخطيرة التي حملتموني سيادتكم إياها .. واعتزازا بهذه الثقة الغالية التي أدعو الله أن يوفقني لأن أثبت لكم أنني أهل لها .. وفي ضوء ذلك الاستعداد الثوري والقلبي الصادق الذي تفضلتم سيادتكم فأيديتموه لتقديم كل أسباب التأييد والمعاونة ، وهو الاستعداد الذي كان له الأثر الأول والآخر في إقدامي على قبول هذه المسئولية التي كنت أراها ـ بغير ذلك التأييد القلبي الصادق

الذى أبديتموه لى ـ أخطر من أن أستطيع قبولها .. وكى يعاد تنظيم العمل فى هذه المؤسسة الصحفية الكبيرة على أسس اقتصادية وصحفية سليمة وصحيحة .. تكفل لها النجاة من الأخطار التى تتهددها . ولا يكون بها مجال للشلل ولا للأحزاب ولا لذلك الصراع المدمر الذى لابد أن يتواجد فى أى مكان تتواجد فيه الشلل .

أرجو إصدار قراركم بتوزيع الصحفيين المذكورين بالكشف المرفق على المؤسسات الصحفية الموضحة به اعتبارا من أول أغسطس سنة ١٩٦٤ .

إلى مؤسسة أخبار اليوم : ناصر الدين النشاشيبى ، عبد الحميد سرايا ، محمود عبد العزيز ، وعبد المنعم السويفى . وإلى مؤسسة دار الهلال : سعد الدين وهبة ، ومحسن محمد ، وحورية جلال . وعبد الفتاح الفيشاوى . ومحمد دوارة . ونفيسة حرك . ونفيسة الصريطى . وإلى مؤسسة روزاليوسف : عبد السميع عبد الله ، سامى داود ، فاروق القاضى ، عبد المنعم السباعى ، محمود فهمى حسين ، وعبد الرحمن شاكر . وإلى وكالة أ ـ ش ـ أ : الفريد عبد السيد ومحمود محمد سليم ، عبد السلام وفا ، ايزيس فهمى ، محمد عبد الحافظ فودة ، عبد الوهاب غنايم ، ميشيل جرجس ، أمين عبد المؤمن ، الأمير الطوبجى ، محمد على رفاعى ، سعاد منسى ، وخليل طاهر .

أما الذين طلبت نقلهم إلى الدار القومية للطباعة والنشر وكان يصدر عنها مجلات : الإذاعة ، بناء الوطن ، القصة ، الثقافة ، الرسالة ، الكتاب العربى ، المسرح ؛ فكانوا : إبراهيم الوردانى ، أحمد السعيد والى ، عبد الرحمن الشرقاوى ، عبد الرحمن الخميسى ، سعد مكاوى ، عبد العزيز قسطندى ، أحمد عباس صالح ، نعمان عاشور ، رأفت الخياط ، على الدالى ، وعبد المنعم عبد العزيز .

وفى نفس الوقت فقد طلب الاستعانة ببعض الصحفيين من المؤسسات الصحفية الأخرى أيضا اعتبارا من أول أغسطس ١٩٦٤ وهم محمود المراغى ، عبد الله إمام ، محمد زيدان ، وممدوح رضا من روزاليوسف .. وأحمد زكى عبد الحليم من دار الهلال .. ومحمد مصطفى غنيم وكمال عبد الرءوف من أخبار اليوم .. وعبد الوهاب عبد ربه من مجلة الإذاعة . إننى أسست قائمة للصحفيين المطلوب نقلهم من دار الجمهورية إلى المؤسسات الصحفية الأخرى وهى كما ترون فى أضيق الحدود على أسس ثلاثة :

- أولا : صحفيون يتزعمون أحزابا وشللا .
- ثانيا : صحفيون لا يمكن لأسباب متعددة التعاون معهم .
- ثالثا : صحفيون لا حاجة بالجريدة إليهم ، ويمثلون ـ بالنسبة لها ـ عبئا ماليا باهظا .

• وماذا كان تعليق المشير عبد الحكيم عامر وقتها ؟!

أجابنى حلمى سلام : قال المشير عامر أنا شخصيا موافق عليها ، ولكن لابد أن

أعرضها على الريس ؛ فقد يكون له رأى آخر غير رأيي ورأيك ، وسأعرض القائمة عليه .. وفعلا بعد ثلاثة أيام تقريبا أو أربعة عادت إلى قائمة الأسماء .. ولكن ليس من مكتب عبد الحكيم عامر بل من مكتب عبد الناصر مباشرة ، وافق عبد الناصر على جميع الأسماء التى اقترحتها فيما عدا اسمين فقط لم يوافق على نقلهما وهما المرحوم الأستاذ سامى داود وناصر الدين النشاشيبى . فقد كان الأول يعمل حينئذ رئيسا لتحرير مجلة « الاشتراكى » التى كانت تصدر عن الاتحاد الاشتراكى وقتها ، والثانى كان فلسطينيا ، ومن هنا جاء رفض عبد الناصر لاقتراح نقلهما وبذلك أصبح العدد حوالى ٣٨ بدلا من ٤٠ صحفيا وليس ١٥٠ كما صور وادعى البعض .

ولقد رفض ناصر النشاشيبى التعاون معى بعد أن رفعت اسمه من ترويسة جريدة الجمهورية كواحد من رؤساء تحريرها .. إذ كان من بين مطالبى التى تقدمت بها للقيادة السياسية كى أقبل تلك المهمة الصعبة ألا يكون لجريدة الجمهورية أكثر من ريس واحد حتى لا تغرق المركب . وقد ظل النشاشيبى لأكثر من ثلاثة أشهر يتقاضى من الجمهورية مرتبه كاملا (٣٨٥ جنيها) دون أن يكتب لها حرفا واحداً ، بعدها نجح هيكل بما له من نفوذ فى أن يعينه مندوبا متجولا للجامعة العربية فى أوروبا على أن يكون مقره « جنيف » عاصمة سويسرا .

● ما الذى جرى بعد ذلك بالضبط !؟

أجابنى حلمى سلام : بعد ذلك أعطى عبد الناصر ذلك الكشف إلى د . حاتم لتنفيذ نقل الصحفيين إلى المؤسسات الصحفية . واجتمع د . حاتم برؤساء مجالس إدارات الصحف : هيكل عن الأهرام .. أحمد بهاء الدين عن دار الهلال .. وخالد محيى الدين عن أخبار اليوم .. وأحمد فؤاد عن روزاليوسف .. واعتذروا جميعهم عن قبول أى صحفى فى مؤسساتهم الصحفية لسببين .. الأول : أن مرتبات هؤلاء المنقولين كانت عالية وهذا سوف يسبب متاعب مالية لهذه المؤسسات وصدامات مع زملائهم بنفس المؤسسة .

المهم عاد الكشف مرة أخرى إلى عبد الناصر بهذه المبررات من الرفض ! كان عبد الناصر مقتنعا فى تلك الفترة بأن العلاقات العامة فى مؤسسات القطاع العام فاشلة وبالتالى فإن الرأى العام والناس لا تعرف شيئا عن إنجازات القطاع العام . لأن المسئولين عن العلاقات العامة موظفون وليسوا صحفيين .. ومن هنا قال عبد الناصر : إذن ليذهب هؤلاء الصحفيون إلى العلاقات العامة بالمؤسسات .

ولكن ما حدث أن د . حاتم بعد أن أعطى كشف الأسماء إلى السيد على صبرى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت قام بتوزيع الصحفيين توزيعا عشوائيا ١٠٠٪ ولم يراع فيه خبرة ولا أى شىء .

باختصار نقل هؤلاء الزملاء إلى أماكن لا علاقة لها مطلقا بالصحافة مثل باتا ،

والحقيقة أن عبد الناصر نفسه فوجيء بهذا التوزيع العشوائى للصحفيين . وفوجئت به أنا أيضا . فقد كان الاتفاق منذ البداية أن يذهبوا إلى مؤسسات صحفية وكان ذلك شرطى لتولى مهمة رئاسة دار التحرير . وأذكر أننى ذهبت إلى المشير محتجا على ذلك التوزيع العشوائى ، فقال لى تعبيرا فى غاية الغرابة : يا حلمى أنت مش مغسل وضامن جنة !! أنت كتبت أمام كل صحفى اسم المؤسسة الصحفية التى يذهب إليها وهنا ينتهى دورك تماما ، أين ذهب بعد ذلك هذا لا يعنيك .

● إذا كان المشير عبد الحكيم عامر قد أكد لك فى لقائك به أنه لن ينقل صحفيا واحداً إلى جهة غير صحفية ! كما سبق أن أكد له ذلك جمال عبد الناصر ! وجرى ما جرى وفوجئت بنقل هذه الأسماء الصحفية اللامعة إلى باتا ومؤسسة الدواجن .. و .. لماذا لم تحتج على هذه المذبحة التى التصقت باسمك ؟ لماذا لم تعلن فى مؤتمر صحفى حقيقة ما جرى بالضبط ثم تستقيل ؟!

ابتسم الأستاذ حلمى سلام وقال لى : أولا أنا لست متهورا بطبعى ! والإقدام على مثل هذه الاستقالة كان فى رأيى قمة التهور ! فضلا عن أنه ليس من حقى أن أحتج على (صاحب الأمر) لأنه تصرف فى أمر يخصه تصرفا مخالفا لما اقترحته عليه ، أو لما كان قد وعدنى به ونقله لى المشير نفسه .

وحتى لو كنت قد خرجت عن طبيعتى وأقدمت على مثل هذا التصرف وهو الاحتجاج أو الاستقالة من منصبى فإنها لم تكن لتغير من الأمر شيئا . ولو كنت تعرف عبد الناصر كما أعرفه منذ عام ١٩٤٩ لعلمت أنه من رابع المستحيلات أن يقبل من أى كان أن يعامله بمثل هذا الأسلوب حتى لو كان « هيكل » نفسه .

وعندما قدم الصحفى « أحمد حرك » وكان نائبا بمجلس الأمة وقتها سؤالا فى مجلس الأمة بشأن ما جرى للصحفيين . قال جمال عبد الناصر بالحرف الواحد وهذا ثابت وموجود فى مضبطه البرلمان .

« لم يكن أمامنا إلا أن نخفف « الجمهورية » من عدد من العاملين فيها أو أن نغلقها ، ولست مستعدا لأن اغلقها لأنها جزء من كرامة الثورة . وحلمى سلام ليس مسئولا عن شيء مما حدث . وإنما أنا المسئول » .

● وماذا كان موقف نقابة الصحفيين مما جرى ؟ وكان النقيب وقتها شيخ الصحفيين الأستاذ حافظ محمود ؟

قال : لحسن الحظ فإننى مازلت احتفظ بمحضر الجمعية العمومية العادية للنقابة والذى انعقد فى يوم الجمعة ١٩ فبراير ١٩٦٥ . فى هذا المحضر قال النقيب : كان هذا النقل صدمة لا يكفى فيها الأسف ، بل أذهب إلى أبعد من هذا فأقول إن هذا الذى حدث بكل أسف يحتمل التكرار فضلا عن أن إحدى الصحف العزيزة علينا جميعا وهى جريدة المساء كادت تكون معرضة للتوقف .. لقد كانت صدمة علينا لا بسبب

الأجور فقط كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان وإنما كانت الصدمة هى صدمة التصرف . وقال خليل طاهر وهو أحد المنقولين : أيها الزملاء إن المسئول عن هذه المشكلة هو حلمى سلام .. إننى أطالبكم بتطبيق أحكام القانون ١٨٥ وبتطبيق الفقرة الأخيرة من المادة ٣ للقانون ٢١٦ لسنة ١٩٥٨ لنقابة الصحفيين وتطبيق المادة ٤٢ من اللائحة الجديدة التى وضعها هذا المجلس بإحالة حلمى سلام إلى المحاكمة وشطب اسمه .

وتقدم الأستاذ سامى منصور بالاقتراحات الآتية : الأول شطب اسم حلمى سلام من جدول المشتغلين بنقابة الصحفيين التى يحمل شرف عضويتها ، الاقتراح الثانى مطالبة الاتحاد الاشتراكى بتنحية حلمى سلام عن مقعده فى أمانة الاتحاد باعتبارها سلطة شعبية لها دور قيادى وتخطيطى للعمل الصحفى بعد أن أثبت بتصرفاته ما يتعارض مع هذه المهنة .. والاقتراح الثالث المطالبة بإصدار قرار بتنحية حلمى من منصبه كرئيس مجلس إدارة مؤسسة دار التحرير . وقوبلت الاقتراحات الثلاثة بالموافقة .

أقول لك هنا . إن هذه الاقتراحات الثلاثة التى قدمها د . سامى منصور أقرب محررى الأهرام إلى قلب هيكل كان وراؤها الأستاذ هيكل والذين يعرفون كيف كانت تسير الأمور فى الأهرام فى عهد هيكل يدركون أنه فى مثل هذه المعارك مستحيل أن يُزج واحد من أسرة تحرير الأهرام بنفسه فيها دون إيحاء من هيكل ، أو على الأقل دون مباركته الكاملة لما سوف يقدم عليه .

ولقد تأكد هذا الدليل عندى عندما جاء هيكل إلى اجتماع أمانة الصحافة بالاتحاد الاشتراكى « وتتكون من خالد محيى الدين ، هيكل ، أحمد بهاء الدين ، أحمد فؤاد ، وأنا » وقال هيكل : إن ما جرى بالأمس فى الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين بالنسبة للزميل حلمى سلام أمر لا يمكن تجاهله ، لأن مثل هذا التجاهل يضع أمانة الصحافة فى حرج شديد مع نقابة الصحفيين .

وهنا تساءل خالد محيى الدين ـ وكان وقتها رئيسا لمؤسسة أخبار اليوم وأمينا للصحافة : وماذا بوسعنا أن نفعل لتفادى هذا الحرج ؟!

فأجابه هيكل قائلا : نرفع أمر ما جرى فى نقابة الصحفيين إلى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى لتقرر فى شأنه ما تراه مناسباً !

وعندئذ أمسك خالد بورقة وقلم وقال لهيكل : إذن فلتمليني صيغة الرسالة التى سنرسلها إلى اللجنة التنفيذية العليا !

وأخذ هيكل يملى صيغة الرسالة . وأرسلت فعلا .

● وماذا كان موقفك وقتها بالنسبة للجمهورية ؟!

قال حلمى سلام : فى هدوء شديد كنت أواصل عملى فى دار التحرير وجريدة

الجمهورية ، وأنا صامت تماماً عما يجرى حولى ! كان ما يدور لا يخصنى ، ويبدو أن هيكل رسم خطته بذكاء على اساس أننى حين أسمع كلامه عن الحرج الذى تواجهه أمانة الصحافة بصفتى عضوا بها ، سوف أبادر إنقاذا لها من هذا الحرج بتقديم استقالتى منها ، لكنى قررت الا أستقيل ، وعندئذ لم يكن أمامه إلا اقتراحه برفع الأمر إلى اللجنة التنفيذية العليا التى كان يراسها جمال عبد الناصر .. والباقى بعد ذلك سهل جداً عليه .. لأنه لن يخرج عن كونه مجرد همسة من همساته فى أذن عبد الناصر الذى كان قد منحه ثقته بغير حدود ..

المفاجأة يا سيدى أن الرسالة التى رفعتها أمانة الصحافة إلى عبد الناصر لم يحدث لها أى رد فعلى بالنسبة لى ، على أساس أن كل ما جرى بالكامل فى الجمهورية ـ جريدة عبد الناصر ـ تم بعلمه وبموافقته الكاملة ودليلى على ذلك أنه رفض نقل اسمين من الأسماء التى قدمتها ، وأيضا ما قاله فى مجلس الأمة رداً على الصحفى النائب أحمد حرك .

● عدت لأسأل حلمى سلام : وماذا جرى بالنسبة لاقتراحات د . سامى منصور والتى وافقت عليها الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين .

قال : بعد الموافقة على هذه الاقتراحات تم رفعها إلى مستشار الرأى بوزارة الإعلام بمجلس الدولة وقتها ، حسبما يقضى قانون إنشاء نقابة الصحفيين ، وهنا كانت المفاجأة . إذ أن المستشار رفض الاقتراحات جميعها ، وأقام رفضه على أساس أنه ليس من الجائز ـ قانونا ـ شطب الصحفى من جدول الصحفيين إلا فى حالة من اثنتين : أن يكون قد ارتكب من الأعمال ما يخل بشرف المهنة أو أن يكون قد وقع فى جريمة خيانة الوطن .. وما هو منسوب لحلمى سلام لا يدخل تحت أى بند من البندين المذكورين ، وعلى ذلك يكون القرار الأول بأطلا « أى شطب اسمى من جدول المشتغلين بنقابة الصحفيين » وما ترتب على الباطل فهو باطل .

وبناء عليه بقيت حتى هذه اللحظة عضوا بنقابة الصحفيين بقوة القانون ، ومن المؤكد أن الأكثرية الساحقة من أعضاء الجمعية العمومية التى كانت قد وافقت على تلك القرارات لا تعلم حتى الآن أن هذه القرارات قد تم رفضها ! أو ربما يكون عبد الناصر نفسه قد مات وهو معتقد أننى مشطوب من نقابة الصحفيين وخاصة أنه كان بجواره من يهمه بشكل مباشر إخفاء قرار مستشار الرأى عنه !

● ولكن يبقى أنك اشتركت بالصمت فى أكبر مذبحة صحفية ؟!

قال : غير صحيح أنها كانت أكبر مذبحة صحفية كما تقول أو يقول البعض . ولماذا لم يطلق هذا الوصف عندما قام الأستاذ عبد الرءوف نافع العضو المنتدب لدار التحرير أيام صلاح سالم الذى كان رئيسا لمجلس إدارتها بفصل ١٥٠ صحفيا منها ولم يتكلم أحد .. وكان عبد الرءوف نافع رجلا شريفا ونزيها ومن خيرة الضباط

الأحرار .. وحدث أن فوجىء الرجل بأن صلاح سالم يريد ترشيح نفسه لمنصب نقيب الصحفيين ، فاستأذن من عبد الناصر فى إعادة هؤلاء الصحفيين المفصولين ووافق عبد الناصر .. فقد كان حريصا على أن تظل النقابة تحت سيطرة الثورة . وأحس عبد الرءوف نافع أن المسألة بهذا الشكل أنه رجل غاوى خراب بيوت لأنه فصل الصحفيين لأن دار التحرير غير قادرة على صرف مرتباتهم .. وأن صلاح سالم أعادهم بكافة المزايا التى كانوا يتمتعون بها .. وقرر الرجل تقديم استقالته من منصبه احتجاجا على هذا الوضع ولزم بيته دون أن ينتظر حتى موافقة عبد الناصر

كانت تلك الواقعة قبل ذهابى إلى دار التحرير ولم يتكلم أحد ، وعندما تولى هيكل رئاسة مؤسسة أخبار اليوم إلى جانب الأهرام أوقف حوالى ٢٠ صحفيا ومنعهم من دخول مبنى المؤسسة ، وقد روى الأستاذ أحمد حمروش تفاصيل ذلك فى أحدث كتبه « خريف عبد الناصر » وقال بالحرف الواحد : « دعيت إلى مكتب سامى شرف حيث وجدت هناك الزميل حسن فؤاد ، وعرض علينا سامى قرارا أصدره هيكل بإبعاد عدد من الزملاء عن مؤسسة أخبار اليوم ، وفى مقدمتهم سعد كامل وصلاح حافظ وآخرون جملتهم ٢٠ صحفيا .. ولما طلب سامى الرأى رفضنا مجرد فكرة قبول إبعاد الصحفيين عن العمل الصحفى ، واستجاب سامى لذلك واتصل بعبد الناصر الذى أوقف قرار هيكل الذى كان قد سافر فى نفس اليوم إلى الشرق الأقصى والهند .. » ..

وبعد هيكل أصدر الرئيس السادات قرارا بنقل أكثر من ١٠٠ صحفى وكاتب من مختلف المؤسسات الصحفية إلى هيئة الاستعلامات فى عام ١٩٧٣ ، وكان ذلك قبل الحرب ولم يتكلم أحد .. وكان على رأس المنقولين أسماء لامعة مثل أحمد بهاء الدين ، لويس عوض ، ونجيب محفوظ ، ولم تهتز شعرة واحدة فى رأس نقابة الصحفيين التى عملت « ودن من طين وأخرى من عجين » .. وكأن شيئا لم يحدث ..

حتى هيكل نفسه .. وكانت العلاقة مع السادات وقتها مثل السمن على العسل .. لم يصنع شيئا لهؤلاء الذين أبعدوا .

● لماذا صار هيكل هكذا ؟ وابتعد الآخرون ؟

قال : دعنى أذكرك بما رواه لك الأستاذ صلاح حافظ فى مذكراته التى نشرتها صباح الخير منذ فترة عندما قال له هيكل : « أنا مبدئى أن المنافسة بين الأهرام والأخبار منافسة تصل لحد قطع الرقبة أو منافسة حتى الموت » .. إن هيكل على ذكائه وعلى قدراته التى لا يصح أن يختلف عليها اثنان يعتنق مبدأ لا يقبل « الفصال » ولعله مستعد لأن يقاتل حتى الموت دفاعا عنه .. هذا المبدأ هو أن القمة لا يمكن أن تتسع إلا له وحده ..

ويذكر الصحفيون فى أخبار اليوم فى الفترة التى رأس مجلس إدارتها هيكل إلى جانب الأهرام أنه كان يحجب الأخبار الهامة عن صحف أخبار اليوم لتنفرد بها

الأهرام ، وعندما ناقشوه فى ذلك الأمر قال لهم :

إن الموقع الذى أحتله الآن كان متاحا ذات يوم لأحمد أبو الفتح .. ولإحسان عبد القدوس .. ولمصطفى أمين .. ولحلمى سلام .. ثم انتهى إلىّ أخيراً .. وأنا غير مستعد أن يشاركنى فيه أحد إلا على جثتى !!

أحس هيكل مع بداية ذهابى إلى دار التحرير أننى سوف أستعيد جزءاً كبيراً من الأرض التى فقدتها طوال سنوات .. فى البداية عندما وقفت على الحياد فى أزمة مارس ١٩٥٤ بين نجيب وعبد الناصر ، والتى اندفع فيها هيكل يؤيد عبد الناصر بغير حدود .. و ..

كان هيكل يكتب مقاله الأسبوعى « بصراحة » يوم الجمعة .. وكنت أكتب مقالى الأسبوعى فى الجمهورية يوم الخميس وعنوانه « حصاد الأسبوع » .

اذكر أن الرئيس الأمريكى الأسبق جونسون كان قد أرسل مبعوثا شخصيا لمقابلة عبد الناصر فى عام ١٩٦٥ كان اسمه « فيليب تاليوت » وقبل أن يجتمع بعبد الناصر تقابل مع المرحوم حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى لعبد الناصر ، ودار بينهما حديث طويل بشأن القضية الفلسطينية ، فقد كان صبرى الخولى مدير مكتب شئون فلسطين وقتها .. وقابلت حسن صبرى الخولى ، وكان صديقا حميما لى منذ كان يعمل مديرا لمكتب الرقابة وحكى لى تفاصيل ما دار من حوار .. وكتب مقالا فى الجمهورية ضمنته الكثير مما قاله حسن صبرى الخولى بعنوان « رسالة إلى جونسون » .. وظهر المقال صباح الخميس .. وكان الخولى قد أعد تقريرا عن مقابلته مع مبعوث جونسون رفعه إلى عبد الناصر .. وظهر الخميس اتصل بى الخولى وسألنى : شخص ما سألنى السابعة صباح اليوم إذا كنت قد أعطيتك نسخة من التقرير الذى رفعته إلى عبد الناصر . ونفيت له ذلك فعاد يقول لى : ولكن ما كتبه حلمى سلام فى الجمهورية يكاد يكون نسخة من التقرير الذى رفعته إلى عبد الناصر وجاءتنى نسخة منه .. وقلت لهذا الشخص .. إن ما جرى هو دردشة مع حلمى سلام لا أكثر ولا أقل .

ابتسم حلمى سلام وقال : بالطبع لم أكن محتاجا أن أعرف أن هذا الشخص هو هيكل .. وأيضا كان ذلك مما يضايق هيكل .

وحدث أيضا أن وصلنى ذات يوم تقرير خطير عن سير المعارك فى اليمن من مكتب المشير عامر ولأنى صديق قديم له فقد أرسله لى .. كانت الصفحة الأولى من التقرير مكتوب عليها عبارة « نسخة ثانية » النسخة الأولى أرسلت للرئيس عبد الناصر بالطبع كانت هذه النسخة الأولى أمام هيكل وظهرت مقالتى صباح الخميس وهى تتضمن الكثير من هذا التقرير الذى أعدته المخابرات .

كان معنى ذلك أن أصبح شريكا لهيكل فى نشر كل التقارير والدراسات التى تصل إلى مكتب عبد الناصر حيث كانت نسخة أخرى توجد دائما على مكتب المشير . إذن

المسألة بالنسبة لهيكل لم تعد تحتمل أكثر .

● ألا يؤكد ذلك الانفراد الصحفى بأنك كنت رجل المشير فى دنيا الصحافة ؟ ومن ثم كانت كل الأسرار والمعلومات بين متناول أصابعك ؟

قال : لقد سبق أن قال منير حافظ فى روزاليوسف : « إذا كانت لعبد الناصر هيكل والأهرام فليكن للمشير حلمى سلام والجمهورية » هذا غير حقيقى لسبب بسيط جداً أن المشير عامر يوم استدعانى كى يقول لى إن عبد الناصر عايزك تمسك دار التحرير كان فى استطاعته أن ينسب هذا الفضل إلى نفسه لا إلى عبد الناصر .. إنما وهو النائب الأول لرئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة .. و .. لم يجد أدنى غضاضة أن يقول لى : الريس عاوزك تروح تمسك دار التحرير وهذا نفس ماقاله لى .. حاتم ثم عباس رضوان من بعده .

أيضا عندما أعددت كشفا بأسماء الصحفيين المنقولين وقدمته إلى المشير قال لى : أنا موافق على هذه الأسماء ولكن لابد من عرضها على الرئيس فربما كان له رأى آخر ، وفعلا اعترض عبد الناصر على نقل سامى داود وناصر النشاشيبى .

والأهم من ذلك أننى أعددت مذكرة تتضمن أربعة مطالب لدفع مستوى دار التحرير واتصلت به لتسليمه هذه المذكرة .. وعندما قابلته وقرأ المذكرة قال لى : اتركها لى وسوف أرسلها لك بعد أيام .. كانت المذكرة تتضمن أربعة مطالب هى : حل مجلس إدارة المؤسسة ومنحى جميع سلطاته .. المطلب الثانى حل وحدات الاتحاد الاشتراكى الأربع الموجودة فى المؤسسة ودمجها فى وحدة واحدة .. المطلب الثالث استعارة عدد من العاملين فى دار الهلال للعمل فى الجمهورية فى مرحلة إنقاذها ـ المطلب الرابع نقل بعض الضباط الذين كانوا يعملون بالمؤسسة إلى مؤسسات إنتاجية أخرى .

الغريب فى الأمر أنه بعد أيام عادت لى صورة فوتوغرافية من هذه المذكرة ولكن من مكتب عبد الناصر .. وأمام كل مطلب كتب عبد الناصر بخط يده ملاحظاته .. أمام المطلب الأول كتب : أوافق ، وأمام المطلب الثانى كتب : مستحيل .. وأمام المطلب الثالث كتب : يتفاهم حلمى مع أحمد بهاء الدين فى هذا الموضوع ، وخاصة أن بهاء يشكو من الأوضاع فى دار الهلال . بالنسبة للمطلب الرابع كتب : أوافق .

معنى هذا باختصار أن عبد الناصر كانت له الكلمة الأولى والأخيرة فى عالم الصحافة .. أما المشير فلم يكن له أدنى اهتمام بالصحافة أو الصحفيين . أكثر من هذا أنه طوال فترة وجودى فى دار التحرير لم يتصل بى المشير طالبا نشر خبر عنه أو أننى أجريت حديثا معه .. بالعكس أذكر أن مكتب الصحافة فى الاتحاد الاشتراكى وكان يرأسه البكباشى عبد الفتاح أبو الفضل كتبت تنتقد فى أحد التقارير اليومية أن الجمهورية لم تنشر خبرا عن المشير أنه عمل كذا أو كذا .. بينما الخبر كان منشورا ..

يعنى هناك نقد من بعض الجهات أننى أتجاهل نشر أخبار المشير عامر .

● وما حكاية المباحث الجنائية والعسكرية والشرطة العسكرية التى طلبتها كى ترابط فى دار التحرير ليل نهار ؟ .

قال : لعل البعض لا يذكر أن نشاط المباحث الجنائية والعسكرية فى مجال الحياة العامة بدأ منذ عام ١٩٦٢ حينما قال عبد الناصر فى أحد خطاباته أنه سيوجه المباحث إلى المجمعات الاستهلاكية ثم تدخلت فى مؤسسات القطاع العام مثل المطاحن .. ثم أشرفت على مرفق النقل فى عام ١٩٦٤ .

لدرجة أن بعض أعضاء مجلس الأمة اعترض على تدخل الجيش فى الأعمال المدنية بحجة إصلاح الفساد فى مؤسسات الدولة .

بالنسبة لما حدث فى الجمهورية فقد كانت بها أخطاء كثيرة واختلاسات و .. و .. فكتبت للمشير مذكرة بكل هذه الأشياء .. فقام بتحويلها إلى عبد الناصر .. لم يكن المشير يستطيع أن يأمر بتحريك الشرطة العسكرية أو المباحث إلا بعد موافقة عبد الناصر نفسه .. لأن عبد الناصر أصدر قانون الضبطية القضائية الذى بموجبه تباشر الشرطة العسكرية عملها فى المؤسسات المدنية .. وهل نسى البعض أن عبد الناصر نفسه هو الذى أنعم على الشرطة العسكرية الجنائية بوسام الجمهورية تكريما لدورها فى ضبط الاختلاسات والفساد فى بعض المؤسسات .

● قلت : وهل قرر عبد الناصر فصلك بعد أن نشرت محضرا لجلسة سرية عقدها فى مجلس الأمة ودعا إليها عدداً محدوداً من قادة القوات المسلحة والمحافظين ورؤساء تحرير الصحف يوم ١٧ مايو ١٩٦٥ ودخل ذلك فى دائرة الصراع الخفى بين الرئيس والمشير .. (حسبما تقول رواية أحمد حمروش فى كتابه مجتمع عبد الناصر !) .

أما لأنك نشرت نص ما جرى فى تلك الجلسة لأن التوجيهات كانت تأتى إليك من مكان آخر غير رئاسة الدولة .. بل من الرئاسة الثانية مكتب المشير عامر ، وهذا ما جعل عبد الناصر يقول : « قريت الكلام .. لقيته ناقل محضر الجلسة بالكامل وفيه أخطاء كثيرة فى النقل ، والجرايد التانية مافيهاش حاجة .. لسه طبعا مستنية التعليمات .. رفعت السماعة وطلبت حاتم ، وقلت له : قول لحلمى سلام يقعد فى بيته » .

حسبما تقول رواية منير حافظ الرجل الثانى بعد سامى شرف فى مكتب معلومات عبد الناصر .

قال لى حلمى سلام : كان ذلك يوم الأحد ١٦ مايو عام ١٩٦٥ .. وكان أنور السادات هو رئيس مجلس الأمة وقتها وقد دعا ضمن الذين دعاهم لحضور هذه الجلسة السرية لمجلس الأمة القيادات الصحفية فى ذلك الوقت وهم : هيكل « الأهرام » خالد محيى الدين « أخبار اليوم » أحمد بهاء الدين « دار الهلال » أحمد

فؤاد « روزاليوسف » وحلمى سلام « دار التحرير » .

كان المفروض أن يتحدث عبد الناصر ساعتين ، فتحدث حوالى خمس ساعات كاملة .. كان متعبا وحزينا .. فمصر على أبواب أزمة اقتصادية .. أمريكا تحاول الضغط على مصر .. و .. وقواتنا فى اليمن تواجه موقفا صعبا .

قال لنا عبد الناصر : « لقد دعوتكم إلى هذه الجلسة التى أردتها سرية لتكونوا على بينة بما يجرى حولنا من أمور ، ولتكونوا أيضا على معرفة بحقيقة المؤامرات التى تدبر لنا ، وبحقيقة الأرض التى نقف عليها وما سوف أقوله فى هذه الجلسة ليس كله للنشر ، لكن ما ينشر منه متروك لتقديركم الخاص ـ كان عبد الناصر لحظتها ينظر ناحية القيادات الصحفية ـ وواجب الجميع هنا أن يوصلوا ما سوف أقوله إلى قواعدهم » .

هذا ما قاله عبد الناصر فى بداية الجلسة السرية .. ثم قال عبد الناصر أشياء خطيرة بالفعل .. عقب انتهاء الاجتماع توجهت إلى الجريدة وكتبت تقريرا ـ فى إطار تقديرى الشخصى لما ينشر ولما لا ينشر من حديث الريس ـ وأشرت إلى أشياء كان تقديرى أنه يجب على القواعد أى القراء أن يحاطوا علما بها .. واستبعدت أشياء .

فى اليوم التالى ١٧ مايو عقد اجتماع آخر كان مخصصا للإجابة عن أسئلة أعضاء مجلس الأمة .. ولم أحضر تلك الجلسة ـ للأسف الشديد ـ ففى نهايتها عاد عبد الناصر وقرر بألا ينشر شىء عما دار فى الجلستين إلا ما سوف يذيعه رئيس مجلس الأمة وهو أنور السادات ، وأصدر مكتب الصحافة تعليمات إلى كل الصحف بحظر نشر ما دار فى الجلستين .. هذه التعليمات أخفيت عنى تماما فى الجمهورية . ولم أعلم بصدورها ، وبالتالى اعتبرت أن قرار عبد الناصر هو النشر فى حدود التقدير الشخصى .

كان هناك هاجس يسيطر على أن شيئا ما حدث فى تلك الجلسة الثانية .. اتصلت بمكتب المشير عامر فقيل لى غير موجود .. اتصلت بمنزله قالوا لى إنه بمنزل عبد الناصر .. اتصلت بمحمود فهيم سكرتير عبد الناصر وأبلغته بضرورة الاتصال بالمشير فقال لى .. مستحيل الآن لأنه فى اجتماع مع الرئيس فأبلغت الرجل بأن يبلغ المشير أننى أريده فى أمر هام لا يحتمل التأجيل .

وظلت منتظرا بمكتبى حتى الساعة الواحدة صباحا .. ووصلت إلى ساعة الصفر .. إما أن نطبع الجريدة الآن حتى تصدر فى موعدها أو لا تصدر فى الغد بالمرة .. وتوكلت على الله وأمرت بالطبع .. وكان التقرير الذى كتبته عما دار فى جلسة امس الأول يغطى مساحة خمسة صفحات وكانت عناوينه الرئيسية تقول : عبد الناصر ماذا قال لمجلس الأمة ؟!

● الرئيس يستعرض فى صراحة كل التحديات التى تواجهنا فى الداخل والخارج .

● أمريكا تضغط علينا عن طريق القمح ولكننا سنستغنى عن القمح الأمريكى

ونعتمد على أنفسنا .

● الثورات والانفجارات فى ليبيا وعدن والبحرين تحركها العناصر الثورية فى هذه البلاد .

● العمل السياسى وحده هو القادر على حل جميع المتناقضات . تناول عبد الناصر أيضا ـ وكان من بين ما نشرته ـ الجوانب الإيجابية والسلبية فى تجربتنا الثورية ، والقطاع العام ، وطرح الرئيس فكرة للبحث تقول : هل تتكون مجموعة للمعارضة داخل مجلس الأمة .. وقال إن العمل السياسى وحده هو الذى يحل جميع المتناقضات .

فى حوالى الثامنة والنصف صباحا .. وبينما أن مستعد للتوجه إلى الجريدة رن جرس التليفون .. كان المتحدث هو د . حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام ، وقال لى بالحرف الواحد : سيادة الرئيس بيطلب منك أن تعتبر نفسك فى أجازة مفتوحة ابتداء من اليوم .. وسوف يتولى رئاسة مؤسسة دار التحرير بدلا منك الأستاذ مصطفى بهجت بدوى !

صعقت وسألته : لماذا يا دكتور حاتم :

جملة واحدة حاسمة كانت رده .. أنت عارف أن سيادة الرئيس مش بيقول عادة ليه !

أعدت تقليب صفحات الجمهورية لعلنى أجد سبباً واحداً يفسر لى ذلك القرار فلم أجد .. اتصلت بالمشير عامر فى منزله .. كان لا يزال نائما وكنت أعرف أن من عاداته أنه لا يستيقظ إلا مع الظهر .. اتصلت بمكتبه ورد على شمس بدران مدير مكتبه ، ورويت له تليفون حاتم وطلبت منه إبلاغ ذلك للمشير ثم يقول لى أسباب قرار عبد الناصر .. وقال لى شمس بدران : هل حضرت الجلسة السرية الثانية التى عقدها الرئيس ؟ فقلت : لا .. فقال .. فى هذه الجلسة عاد عبد الناصر وألغى موافقة النشر على كل ما قاله .. وأن هناك تعليمات صدرت للصحف بذلك فعلا .. ألم تصلك هذه التعليمات ؟

قلت له : لم تصلنى أية تعليمات .. وأتحدى أى مسئول فى الدولة أن يثبت أنه كلمنى بشأن عدم النشر ..

وقال الرجل : إذن اكتب مذكرة توضح فيها موقفك .. وأرسلها لى وسأتوجه بها « لمقابلة الريس » ليزول سوء فهم الذى حدث .. لاحظ أنه قال الريس ولم يقل المشير عبد الحكيم عامر

كتبت مذكرة فعلا وتسلمها شمس بدران .. وبعد حوالى ساعتين اتصل بى قائلا :

شوف يا عم حلمى هناك شخص أيقظ عبد الناصر فى حوالى الخامسة فجرا وأخبره أنك نشرت تفاصيل الجلسة بالكامل .. وأن وكالات الأنباء ترسل بتلك المعلومات إلى

صحفها فى الخارج .. فهل نصادر الجمهورية أم ماذا نفعل ؟ وقال عبد الناصر للشخص : نسيب كل حاجة ماشية وبلغوا حلمى سلام إنه يقعد فى البيت !

أما الآن فالريس قد قرأ مذكرتك وفهم كل شىء وبيقول لك : هاردلك .. وكل شىء بيتصلح .. ثم نصحنى شمس بدران بأن أظل فى بيتى حتى لا أدع لأحد الفرصة أن يقول على لسانى كلاما يزيد من غضب الرئيس .

ولعله مما يضع امامك الف علامة استفهام وتعجب أن تعلم أن « هيكل » اتصل بى تليفونيا فى نفس اليوم مواسيا ومشجعا ، فإذا علمت أنه على مدى عشرين سنة كاملة من الزمالة مع هيكل حدثت لى خلالها أحداث كثيرة مفرحة ومحزنة دون أن يفكر مرة فى الاتصال بى مهنئا أو معزيا .. إذا علمت ذلك كان لك أن تتوقف وتسأل :

ماذا كان يقصد هيكل من وراء هذا الاتصال ؟ وماذا كان يريد أن يقول .. كان يريد أن يقول أنا هنا !

وانا الآن اتساءل هل كان الشخص الذى أيقظ عبد الناصر فى الساعة الخامسة فجرا وابلغه بما نشر هو د . حاتم أم كان « هيكل » . انا شخصيا استبعد تماما أن يكون حاتم لأنه لا يستطيع إيقاظ عبد الناصر فى مثل تلك الساعة .. أما هيكل فقد كان يستطيع أن يكلمه فى أى وقت يشاء وأن يقابله حتى دون موعد مسبق ..

وفى تلك الأيام كان هناك صراع على القمة بين الرجلين .. وفى الحقيقة أن الصراع كان بين رجال الصف الثانى : سامى شرف .. محمد فوزى .. على صبرى وآخرون .. واحسست اننى دخلت شوارع الصراع خطأ وغضب عنى .. فالتزمت الصمت

وكان بجوار عبد الناصر من يحاول إقناعه دائما بأن المشير ورجاله تحولوا إلى مركز قوة ضخم .. وإننى رجل المشير فى الصحافة .. وهكذا .

● قلت : ألم يحدث وقابلت عبد الناصر أبداً بعد ذلك ؟

قال : لا .. ولكن بعد ذلك بأربع سنوات ـ فى عام ١٩٦٩ .. مرضت ابنتى نادية وكانت طالبة بكلية الاقتصاد مرضا خطيرا .. صرفت عليها كل ما أملك .. وصار لدى المستشفى ديونا علىَّ قدرها ثلاثة آلاف جنيه .. ولم أكن أملك منها مليما واحدا .. وكان من المستحيل خروج ابنتى من المستشفى قبل تسديد هذا الدين .. فجأة خطر ببالى أن أكتب خطابا لعبد الناصر أشرح له عذابى وحيرتى .. وكتبت الخطاب وسلمته إلى سامى شرف مدير مكتبه ورويت له ما بداخله وضرورة أن يطلع عليه الرئيس بسرعة .. وغدت إلى منزلى .. وعند الظهر تقريبا اتصل بى تليفونيا سامى شرف وقال : الريس قرأ جوابك ويتمنى لنادية الشفاء .. وأنه أمر بأن تتحمل رئاسة الجمهورية كل نفقات العلاج والإقامة فى المستشفى وأن قراراً بهذا صدر وتم إرساله فعلا إلى مدير المستشفى .

• ردود على حلمى سلام

على مدى ثمانية اسابيع نشرت ذكريات « حلمى سلام » فى مجلة صباح الخير خريف عام ١٩٨٥ ثم تلقت المجلة ردوداً وإيضاحات فى غاية الأهمية .

لم يتوان الأستاذ الكبير « لويس جريس » رئيس التحرير فى نشرها كاملة ، وافرد لها صفحات وصفحات .

وفيما يلى جميع الردود والتعليقات التى اثارتها ذكريات حلمى سلام .

١ ممدوح رضا : أبلغنى المشير عامر بقرار تعيينى !!

كتب ممدوح رضا رئيس مجلس إدارة دار التعاون :

الاخ الزميل لويس جريس .

اطلعت فى العدد الماضى من صباح الخير على ذكريات للأستاذ حلمى سلام ، تضمنت معلومات ، لى عليها تعليقات وتحفظات كثيرة .

كذلك ، فقد تضمنت هذه الذكريات ، واقعة عرفتها من « صباح الخير » لأول مرة ، وهى : انه رشحنى للعمل فى الجمهورية مع غيرى من الزملاء ، فى نفس المذكرة التى رشح فيها زملاء آخرين من الكتاب والصحفيين للنقل من الجمهورية إلى مؤسسات أخرى .

واود ان اوضح تعليقا على ما ذكره الأستاذ سلام ، انه عندما تقرر تعيينى فى الجمهورية ـ قبل ما يزيد على العشرين عاما ـ كنت اتولى رئاسة الشئون السياسية بروزاليوسف بالإضافة إلى عضويتى بمجلس إدارة المؤسسة ـ كما كنت عضوا بلجنة الاتحاد الاشتراكى لمنطقة قصر النيل ومسئولا عن المنطقة فى لجنة محافظة القاهرة .

وبسبب هذه المسئوليات ، لم يكن فى استطاعتى أو فى استطاعة الأستاذ سلام المطالبة بنقلى من روزاليوسف وبالتالى من منطقة قصر النيل ، للعمل فى الجمهورية أو أى جريدة أخرى !

وقد تم تعيينى فى الجمهورية ، مديرا لتحريرها ، ثم رئيسا لتحرير العدد الاسبوعى ـ فى نفس العام ـ بقرار من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، أبلغنى به المغفور له المشير عبد الحكيم عامر ـ وذلك بسبب الفراغ الضخم الذى أحدثه نقل مجموعة من أكبر واهم كتاب وصحفيى الجمهورية فى ذلك الوقت ، إلى مؤسسات غير صحفية .

ويشهد بصحة ذلك ملف عملى ، وكل من السيد الدكتور عبد القادر حاتم والمهندس حسن عامر .

والأمر الآخر الذى أود ان اوضحه انتى لم أعرف الأستاذ سلام عن قرب .. وبالتالى لم اعمل معه ، إلا عند تعيينى فى الجمهورية ، وقد انتهت علاقاتنا بإنهاء عمل سيادته بالجمهورية .

رجاء نشر هذا الإيضاح ، إلى أن تسمح ظروف العمل ، بالرد على بعض ما تضمنته هذه الذكريات .

٢ حلمى سلام : أنا الذى رشحت ممدوح رضا للجمهورية !

وكتب حلمى سلام يرد على ممدوح رضا يقول :

قرات ما كتبه الأستاذ ممدوح رضا ، فى العدد الماضى من « صباح الخير » تعليقا على وجود

اسمه بين أسماء الزملاء الصحفيين الذين كنت قد رشحتهم للعمل معى فى جريدة (الجمهورية) نقلا من المؤسسات الصحفية الأخرى . ولى على ذلك التعليق والملاحظات التالية التى أرجو أن تأذن بنشرها :

● أولا : ثابت من « الوثيقة الرسمية » التى نشرت (صباح الخير) بضعة من سطورها ، إننى أنا الذى رشحت الأستاذ رضا للنقل إلى (الجمهورية) .. وقد تم نقله إليها بناء على هذا الترشيح . ولم يتم - تأكيداً - بناء أى (قرار فوقى) . وقد رشحت الأستاذ رضا للنقل إلى (الجمهورية) ليكون (مخبرا سياسيا) لها . إذا كان هذا (العنصر الصحفى) واحدا من العناصر التى كانت الجريدة تفتقدها .

● ثانيا : لم أعلم ، قبل اليوم ، أن تعيين مديرى التحرير فى الصحف والمجلات .. وكذلك رؤساء تحرير الأعداد الأسبوعية من الصحف اليومية ، كان يتم بقرارات يصدرها عبد الناصر . فلقد كان هذا - واعتقد أنه ما يزال - أمراً من اختصاص وسلطات رؤساء مجالس إدارات الصحف وحدهم .. وإذا كان الأستاذ رضا قد صدر له - استثناء من كل الصحفيين .. فى كل المؤسسات الصحفية - قرار من عبد الناصر بأن يكون مديرا لتحرير (الجمهورية) اليومية ، وقرار آخر بأن يكون رئيسا لتحرير العدد الأسبوعى منها . فإننى سوف أكون أسعد الناس بأن أرى صورة من أى من هذين القرارين الذين لابد أن يكون محتفظا بهما ، منشورة على صفحات (صباح الخير) . فذلك يتيح لى أن أعلم شيئا لم يتح لى من قبل ، أن أعلمه .

● ثالثا : عن نفسى - كرئيس لمجلس إدارة المؤسسة - فإننى لم أصدر قرارا بتعيينه مديرا لتحرير (الجمهورية) اليومية . فلقد كان لها مدير تحريرها الذى احتفظت به من بين زملاء أربعة كانوا يشغلون هذه الوظيفة ، قبل أن أتولى رئاسة المؤسسة . وهو الأستاذ عبد العزيز عبد الله الذى ظل يقوم بمسئولية هذا العمل .. منذ اللحظة التى ذهبت فيها إلى (الجمهورية) .. حتى اللحظة التى تركتها فيها .

● رابعا : أستطيع أن أؤكد إننى - بوصفى رئيسا لمجلس إدارة المؤسسة - لم أصدر قراراً بتعيينه رئيسا لتحرير العدد الأسبوعى من (الجمهورية) . فلم يكن مما أسيغه من نفسى .. ولا مما يسيغه منى انضباط العمل نفسه .. أن أصدر قرارا كهذا فى وجود كتاب وصحفيين أكفاء مثل : يوسف إدريس .. ومحمد عودة .. ومحمد محبوب .. وفيليب جلاب . وسامى داود . ومحمد العزبى . وإبراهيم نوار الذى كان أحد رؤساء تحرير العدد اليومى الذين أعفوا من مسئولياتهم كرؤساء للتحرير بمقتضى صدور قرار عبد الناصر بتعيينى رئيسا لمجلس إدارة المؤسسة ، ورئيسا لتحرير الجمهورية . هذا فضلا عن أننى كنت محتفظا لنفسى - وبالكامل - بكل مسئوليات رئيس التحرير للعددين اليومى والأسبوعى . وما كان ممكنا - فى ظل تلك الظروف غير الطبيعية التى كانت تحيط بى فى الجمهورية .. والتى بسببها طلبت من الرئيس عبد الناصر ، بعد فترة من العمل ، حل مجلس إدارة المؤسسة ومنحى جميع سلطاته . وقد أجابنى الرئيس الراحل إلى طلبى .. أقول إنه ما كان ممكنا ، فى ظل تلك الظروف ، أن أتنازل عن شىء من مسئولياتى لأحد مهما بلغت درجة معرفتى به . فما بالك بالأستاذ رضا الذى بدا حريصا فى تعليقه الذى بعث به إليكم ، على أن يؤكد أنه لم تكن له معرفة بى قبل أن يأتى إلى (الجمهورية) .. وأنه لم تعد له معرفة بى بعد أن تركها .. وهذه حقيقة : فعلا لم أكن أعرفه قبل (الجمهورية) . ولم أعد أعرفه بعدها .

٣ ميشيل جرجس : أسرار مذبحة الصحفيين ..

انتشرت الشائعات داخل دار التحرير وخارجها عن بعض الأسماء المرشحة لمنصب رئيس مجلس الإدارة إلى أن وصل ذكر حلمى سلام بين المرشحين .

وفى جلسة مع بعض الزملاء فى الجريدة ذكر اسم حلمى سلام عدة مرات . فطلب أحد الزملاء منى الاتصال تليفونيا للتأكد من الخبر ، وفعلا اتصلت به تليفونيا وكانت المكالمة على النحو الآتى :

قلت : فيه خبر انك ستعين رئيس مجلس الإدارة .

حلمى سلام : هذا المنصب يطاردنى من عام ..

قلت : انا سمعته الآن فقط .

حلمى سلام : ما رأيك ؟

قلت : المنصب كبير عليك ..

فانهى حلمى المكالمة .

وبعد أيام صدر قرار من الرئيس جمال عبد الناصر بتعيين حلمى سلام رئيس مجلس إدارة دار التحرير ، وكان فى ذاك الوقت فى المصيف ببورسعيد ، وذات مساء اتصلت بى السكرتيرة وطلبت منى الحضور لمقابلة حلمى سلام فاعتذرت على أن تكون المقابلة صباح اليوم التالى ، وفى اليوم التالى توجهت إلى مكتبه فوجدته واضعا صورة المشير عامر فوق رأسه والرئيس الراحل على الحائط المقابل لمكتبه فاندهشت إلا اننى تذكرت كلمة احد الزملاء عندما صدر قرار تعيينه بأن قال : لى إن حلمى سلام يريد أن تكون الجمهورية خاصة بالجيش !

وفى هذه المقابلة ، قال حلمى سلام : انا عايزك تكتب لى تقريرا عن كل صحفى فى المؤسسة باعتبارك امين اللجنة الآن .

قلت : أسف لم اكتب تقارير لأحد فى حياتى .

قال : إذن انت غير متجاوب .

قلت : إذا كان الامتناع عن كتابة التقارير فى نظرك يعنى عدم تجاوب فأنا ارحب بذلك وانصرفت من مكتبه .

وبعد أيام بدات الشائعات حول نقل بعض الصحفيين والكتاب من الجمهورية إلى اعمال غير صحفية .. وخلال هذه الأيام كانت الاتصالات مستمرة بين موسى صبرى ومحمد على بشير لترشيح هذه الأسماء للتخلص من العناصر الجريئة التى تقاوم الفساد فى المؤسسة .

وهنا برزت المصالح المشتركة .. حلمى سلام يريد التخلص من هذه العناصر عن طريق قرارات من رئيس الوزراء على صبرى ، ومحمد على بشير على اتصال برئيس الوزراء ويريد أن يحصل على منصب ، وفعلا صدر قرار من حلمى سلام بتعيين محمد بشير مديراً عاما للمؤسسة بعد أن كان مديرا عاما لشركة الإعلانات المصرية التابعة للمؤسسة .. وخاصة بعد إعلان عن انتخابات لمجلس إدارة المؤسسة .

ومن هذا الموقع .. طلب محمد على بشير مقابلتى مقابلة خاصة ، وفى هذه المقابلة طلب منى باعتبارى امينا للجنة إبلاغ المرشحين لمجلس الإدارة أن المجلس الجديد سيعين ولن تجرى

انتخابات إلا داخل الشركات التابعة للمؤسسة ، وانه سيعمل على تعييني عضواً في مجلس الإدارة الجديد لدار الجمهورية للصحافة بشرط إعلان انسحابي من الانتخابات فرفضت .

وبعد أيام قليلة صدر قرار من حلمي سلام بتعيين محمد على بشير عضواً منتدبا للمؤسسة تمهيدا لتنفيذ المذبحة ، وقد جاء على لسان حلمي سلام في حديثه بانه كتب قائمة بأسماء الصحفيين المطلوب نقلهم من دار الجمهورية إلى المؤسسات الصحفية الأخرى في أضيق الحدود على أسس ثلاثة هي :

- أولا : صحفيون يتزعمون احزابا وشللا .
- ثانيا : صحفيون لا يمكن لأسباب متعددة التعاون معهم .
- ثالثا : صحفيون لا حاجة للجريدة إليهم ويمثلون بالنسبة لها عبئا ماليا باهظا .

والحقيقة تخالف هذه المعلومات هو رشح هذه الأسماء لأنه يخشى كفاءة البعض ، وعدم التعاون مع أسماء معينة تعمل على مقاومة الفساد ، كما ان أغلب هؤلاء الصحفيين عينوا في دار الجمهورية بعد إغلاق صحف القاهرة والشعب والمصرى ، ولا ذنب لهم في هذه التصرفات ، أما الأعباء المالية فقد كانت بسبب التغييرات المستمرة لرؤساء مجالس الإدارات وكل رئيس يعين شلة خاصة به .

وكان اهتمام حلمي سلام بعد تعيينه ينحصر في نقاط هامة هي : صورة المشير في حجرته وسيارة من المؤسسة تسير خلف سيارته من منزله إلى المؤسسة حتى داخل الفناء المقابل للمصعد ، وجرس خاص لنزول المصعد بمجرد وصوله وتعيين بعض الصحفيين من الإذاعة ، ومنهم عبد الوهاب عبد ربه ، ورشيد الليثي المدرس الذى كان يعطى أولاده الدروس الخصوصية . والأهم من هذا كله شطب أسماء رؤساء التحرير من الترويسة ووضع اسمه وحده على الجريدة ونقل الصحفيين خارج الجمهورية .

والمعروف أن الجريمة تتم على ثلاث مراحل : المرحلة الأولى التفكير .. والثانية التدبير ، والثالثة التنفيذ ، فالتفكير في ذهن حلمي سلام والتدبير كان بالمشاركة مع محمد على بشير لترشيح الأسماء المطلوب نقلها ، والتنفيذ كان بواسطة محمد على بشير العضو المنتدب بقرارات من رئيس الوزراء على صبرى .

فقد بدأت الفكرة بعقد عدة اجتماعات في مكتب شمس بدران لاستعراض الموقف في جريدة الجمهورية حول العناصر التى لا يستطيع حلمي سلام التعاون معها ، وخلال هذه الاجتماعات أعلن حلمي سلام صراحة انه يطلب إبعاد بعض الصحفيين والكتاب من جريدة الجمهورية بأى ثمن ، فبحث الموضوع على أساس توزيعهم على المؤسسات الصحفية الأخرى فاعتذر رؤساء مجلس إدارات الصحف . ثم عرض الموضوع على رئيس الوزراء على صبرى فاقترح تعيينهم كمديرين للعلاقات العامة بالمؤسسات والشركات التابعة لهم ، وتمت المذبحة الأولى في سبتمبر ١٩٦٤ بخطابات إلى الصحفيين والكتاب موقعا عليها من محمد على بشير باعتباره عضواً منتدبا للمؤسسة وبالاتفاق مع حلمي سلام الذى خشى التوقيع على هذه الخطابات !

وبعد عدة أشهر تمت المذبحة الثانية في مارس ١٩٦٥ باستبعاد العناصر التى كانت تنتقد هذا الأسلوب ، وخشية أن يواجه حلمي سلام بمتاعب أخرى ، فقد استخدم أسلوب الإرهاب بأن طلب بعض وحدات الشرطة العسكرية من البوليس الحربى بملابسهم الرسمية داخل المؤسسة للإرهاب ، وقد تمت عمليات إرهاب واعتقالات لبعض الزملاء !!

وخلال هذه العمليات ، قمنا بنشاط مكثف ضد حلمي سلام مع المسئولين في الدولة ولجأنا إلى القضاء ، إلى أن اكتشف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ضعف حلمي سلام في المؤسسة من جميع النواحي وخاصة العمل الصحفي لأنه لم يسبق له العمل في الصحف اليومية على الإطلاق وكل خبرته الكتابة في مجلة المصور ومجلة الإذاعة ، وعلى اثر ذلك بدأ التفكير في دعم الناحية الفنية الصحفية لعلاج هذه المشكلة في جريدة الجمهورية ، وقد رؤى الاستعانة بالأخ ممدوح رضا من مؤسسة روزاليوسف كمدير لتحرير الجمهورية ، غير أن هذا التعيين صادف عقبة وهي أن الزميل ممدوح رضا كان عضوا في مجلس إدارة مؤسسة روزاليوسف في ذاك الوقت ويتطلب الأمر من القيادة السياسية صدور قرار بنقله إلى الجمهورية وفعلا صدر هذا القرار .

وكان حلمي سلام لا يحضر إلى مكتبه في المؤسسة سوى ساعة واحدة فقط في النهار ، وفي المساء يتصل تليفونيا من منزله لمعرفة المانشيت قبل الطبع !

ولجأت إلى القضاء .. بعد أن امتنع مكتب العمل عن إرسال التحقيق إلى القضاء لنظر الدعوى - وكان وزير العمل في ذلك الوقت قد طلب التحقيق واحتفظ به في مكتبه إلا أن القضاء في أول جلسة للقضية أمر بضم هذا التحقيق إلى القضية وفعلا نفذ قرار المحكمة بإرسال التحقيق من مكتب الوزير للمحكمة ..

ومع الأسف الشديد .. توجه الزملاء إلى عملهم الجديد في المؤسسات والشركات ما عدا خمسة كنت واحدا منهم وقد فصلت من العمل الجديد بعد ١٥ يوما ، وصممت على الاستمرار في الدعوى ضد العدوان على القانون وتنظيم الصحافة وفي الوقت نفسه قمنا بجمع توقيعات من الصحفيين في جميع المؤسسات الصحفية لعقد جمعية عمومية غير عادية لمناقشة هذه المذبحة ، وقد اجتمعت الجمعية العمومية في أول اجتماع بعدد كبير لم يسبق له مثيل وبعد المناقشة قررت فصل حلمي سلام من عضوية النقابة وأبلغ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بهذا القرار في أسوان .

وقصة إغلاق جريدة المساء .. هي في الحقيقة أنه حدث أن وقّع حلمي سلام منشورا تم توزيعه داخل المؤسسة يفيد أن الدكتور محمد عبد القادر حاتم قرر إغلاق جريدة المساء ، وعلى أثر هذا أرسل عدد كبير من الصحفيين العاملين بجريدة المساء برقيات إلى الدكتور حاتم احتجاجا على هذا القرار .

وبعد أيام من هذه الواقعة ، أعلن عن انعقاد هيئة برلمانية برئاسة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وقبل انعقاد الهيئة بأيام قدم بعض النواب عدة أسئلة للرئيس الراحل للإجابة عنها ، وكان بين هؤلاء النواب الزميل أحمد حرك الصحفي بالجمهورية ، ويتلخص السؤال عن أسباب نقل الصحفيين . وإغلاق جريدة المساء . •

وقد تحدث الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أمام الهيئة البرلمانية عن هاتين المشكلتين فقال : « إذا كان هناك خطأ في تنفيذ النقل فأنا غير مسئول ، لأن النقل كان باتفاق على أساس أعمال صحفية . وبالنسبة لموضوع جريدة المساء .. فقد قررنا إعادة النظر في هذا الموضوع ، والحقيقة أن حلمي سلام قال إن جريدة المساء بتخسر ولا حل لها إلا الإغلاق فأنا وافقت على طلبه ولما طلبت من الدكتور حاتم تنفيذ القرار زارني في منزلي وطلب مني استمرار الجريدة في الصدور على مسئوليته وإزاء هذا الرجاء وافقت على طلب الدكتور حاتم

وعلى اثر تصريحات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر توجه الزميل احمد حرك عضو مجلس الأمة السابق إلى الزملاء فى جريدة المساء وسرد لهم ما حدث من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وتوجهوا جميعا إلى الدكتور حاتم معتذرين عن سوء الفهم وشاكرين لمجهوداته لاستمرار الجريدة فى الصدور .

وبعد عدة أيام .. طلب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عقد اجتماع لرؤساء تحرير الصحف لشرح مشكلة القمح مع أمريكا . وطلب منهم الكتابة فى هذا الموضوع . وكتب الجميع ما يقصده الرئيس الراحل عبد الناصر ما عدا حلمى سلام الذى كتب كلاما مخالفا تماما بل وضع اسمه على الموضوع . وعلى اثر صدور الجريدة اتصل الرئيس الراحل عبد الناصر بالدكتور حاتم فى السادسة صباحا وطلب منه الاتصال بحلمى سلام لإبلاغه بفصله من مؤسسة دار التحرير ، ولما كان حلمى سلام محبوبا من الصحفيين والعمال بالمؤسسة فقد ذهبوا بالموسيقى إلى منزله للتهنئة .

٤ أحمد حرك : لولا د. حاتم لأغلق عبد الناصر « المساء » !

وكتب احمد حرك « رئيس تحرير جريدة العمال » :

تابعت مع قراء المجلة ذكريات الأستاذ حلمى سلام وكنت اتمنى ان يقف بهذه الذكريات حتى يوم تعيينه فى دار التحرير ولا يروى شيئا عن مذبحة الصحفيين وذلك إشفاقا على الرجل فى شيخوخته ولكنه روى فى مذكراته وخاصة العددين الأخيرين بعض الوقائع التى لابد من التصدى لها وتصحيحها لأنها تاريخ .. والأمانة الصحفية تقتضى أن تصحح هذه الوقائع وخاصة أن أغلب شهودها والحمد لله أحياء حتى الآن .

قال الأستاذ حلمى سلام : إننى بوضعى عضواً فى مجلس الأمة قدمت سؤالا للرئيس الراحل جمال عبد الناصر بشأن ما جرى للصحفيين .. وقال سيادته إن الرئيس عبد الناصر قال لى إنه هو المسئول وان حلمى سلام ليس مسئولا .

واحب أن اذكر الوقائع كاملة .. إنه قد اعلن قبل هذه الجلسة بشهر عن لقاء الرئيس عبد الناصر باعضاء مجلس الأمة فى جلسة للهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى وهى جلسة لا يحضرها سوى الاعضاء والمسئولين ومن يوجه لهم دعوة خاصة ولا يحضرها مندوبو الصحف فى البرلمان .. وعدد قليل من موظفى المجلس وطلب الرئيس انور السادات وكان رئيسا للمجلس أن من يرغب فى توجيه أسئلة للرئيس عبد الناصر يكتبها ويقدمها لرئاسة المجلس .

وقدمت سؤالين أحدهما : عن سبب نقل الصحفيين من جريدة الجمهورية إلى مؤسسات غير صحفية . والثانى : عن قرار إغلاق جريدة المساء .

وكان الأستاذ حلمى سلام قد اصدر منشورا فى المؤسسة بأن الدكتور عبد القادر حاتم أمر بإغلاق جريدة المساء وحدد لذلك فترة زمنية كى يتم نقل محرريها اسوة بما اتبع مع الزملاء الصحفيين من جريدة الجمهورية ، وثار محررو المساء وكتبوا برقيات شديدة اللهجة للدكتور حاتم على قراره .

ورفعت الأسئلة من رئاسة مجلس الأمة إلى الرئيس عبد الناصر الذى حدد موعداً لاجتماع الهيئة البرلمانية .

وقبل هذا الاجتماع عقدت جلسة سرية في المجلس شهدها المرحوم المشير عبد الحكيم عامر لشرح حرب اليمن ، وبعد الجلسة السرية قابلته ومعه المرحوم الرئيس السادات وناقشته في الموضوعين اللذين كتبت سؤالين بشأنهما للرئيس عبد الناصر ويشهد على هذا اللقاء المثير الزميل الصحفي المصور طاهر حفني رئيس قسم التصوير بالجمهورية وقد سجله بعدسته وسمع كل الحديث وقال المشير عامر رحمه الله هذه القضية ورطني فيها حلمي سلام وهو الذي اقترح الأسماء واشترط عدم قبوله رئاسة المؤسسة إلا بنقل هؤلاء .. ولقد وضحت الصورة الآن لي واعطيني فرصة من الوقت لأصحح هذا الخطأ .. وقد بشرت زملائي الذين نقلوا بهذا الحديث وهذا الوعد من المشير الذي قطعه على نفسه امام عدد من المسئولين بعد نقاش طويل وحاد .. وبعدها بعدة ايام عقدت جلسة الهيئة البرلمانية .. وبدأ الرئيس جمال عبد الناصر يتلو السؤال ويجاوب ..

وعندما وصل إلى اسئلتي كان غاضبا جداً وايضا المشير كان غاضبا لأنه اتفق معي على حل القضية ولماذا أسأل فيها الرئيس عبد الناصر ، والحقيقة انني قدمت الأسئلة قبل لقاء المشير عامر . واما ما اغضب الرئيس هو تقرير شعرت انه من المباحث الجنائية العسكرية والتي استخدمها حلمي سلام في دار التحرير وقامت بالاعتداء على الأربعة المصورين وعلى الأستاذ إسماعيل شوقي مدير عام المطابع وهو رجل فاضل وعلى طبيب المؤسسة والممرضين واشاعت الرعب في المؤسسة .. فقد كتبت تقريراً للرئيس عبد الناصر إنني في اجتماع الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين قد هاجمت الرئيس والمشير ، واوضحت للرئيس ان هذا لم يحدث إطلاقا ولهذا استشهد بتقرير المباحث العامة ، وقال الرئيس عبد الناصر إنني لم اتطوع بنقل الصحفيين ولكن الأستاذ حلمي سلام اشترط لرئاسة المؤسسة نقل هؤلاء وأنه لا يوجد بين الرئيس وبين اى صحفي أى موقف ولكنه طلب ان ينقلوا بنفس مرتباتهم في وظائف العلاقات العامة وأن حلمي سلام كتب أن هذا هو الحل الوحيد لإنقاذ الجمهورية من الإغلاق وهي جريدة الثورة .. وليس هذا مجالا لنشر الحديث بالكامل بيني وبين عبد الناصر ولكن في النهاية بعد أن قدمت للرئيس تقريرا عن حالة الجريدة بعد إبعاد هذه الصفوة الممتازة من كبار الصحفيين والمفكرين في مصر . فقد وصل توزيعها إلى ٣٨ الف نسخة وأن حلمي سلام قد عين صحفيين آخرين وبمرتبات اعلى من زملائهم بالمؤسسة وان سياسته قد حرمت الجريدة من إعلانات كثيرة وهي مورد اساسي وأنه برغم نقل الصحفيين فإن الأحوال الاقتصادية في المؤسسة اصبحت سيئة للغاية لسوء تصرفاته . وقال الرئيس إن البيانات عندي من حلمي سلام تقول عكس ذلك وقال فليحكم بيني وبينك الدكتور حاتم يراجع كل التقارير ويقيم الوضع في المؤسسة ويقول رأيه ، وقبلت ذلك وللحقيقة فإن الزميل رشاد الشبراخومي رحمه الله قد دخل في الحديث واثار عبد الناصر حينما قال له إن الصحفيين نقلوا ليبيعوا « بيض وفراخ » .

وفي أثناء شرحه الذي استمر طويلا تلقى الرئيس من وزير الداخلية تقريراً أعتقدت انه عما دار في الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين ثبت بها كذب تقرير المباحث الجنائية .. فلقد شعرت بأنه استراح في الحديث بعد ذلك .. ثم قال عن سؤال جريدة المساء .. قال الرئيس بالحرف الواحد : إن حلمي سلام كتب يطلب إغلاق جريدة المساء لأنه لا أمل فيها .. وأن الرئيس امر الدكتور حاتم بإغلاق المساء ولكن الدكتور حاتم ذهب للرئيس ورجاه أن يرجع في هذا القرار وأنه (اى حاتم) مسئول عن استمرار صدورها وتمويلها ولا يمكن أن تغلق المساء .

وقال الرئيس عبد الناصر : لولا الدكتور حاتم لاغلقت المساء ، وعلشان خاطره أعطيت له فرصة .. وعقب الجلسة اجتمعت بالزملاء المحررين بالمساء ونقلت لهم الحديث وان منشور حلمى سلام كاذب واننا ظلمنا الدكتور حاتم وذهبت مع عدد منهم إلى الدكتور حاتم فى مكتبه نعتذر له عما بدر من بعضنا فى حقه لأننا صدقنا منشور حلمى سلام ضده ، ولكن بعد حديث عبد الناصر اننا نشكره على هذا الموقف .. وسجلت له هذا الموقف فى أكثر من مقال .

وحرصا على مساحة المجلة ووقت القراء وتخفيفا على الرجل فى شيخوخته لن استرسل فى موقف حلمى سلام ودوره فى مذبحة الصحفيين .

والدكتور حاتم حينما ابلغه الرئيس عبد الناصر بإبعاد حلمى سلام وترشيح مصطفى بهجت بدوى رئيسا لمجلس الإدارة ابلغنى الدكتور حاتم فى السابعة صباحا بالقرار تليفونيا وقال : إن الرئيس عبد الناصر أبلغه ان يبلغنى بذلك قبل أن يذاع الخبر وذلك حينما تبين له صدق كل ما قلناه وما قدمناه من مستندات . وللحقيقة والتاريخ فإننى كنت انسق جهودى مع استاذنا وشيخ الصحافة الأستاذ حافظ محمود نقيب الصحفيين-فى ذلك الوقت-وأن الدكتور حاتم كان متعاطفا جداً مع الصحفيين وهذه شهادة للتاريخ .

٥ د. سامى منصور: جريمة فى حق النقابة !

كلمة عتاب بعد سنوات طويلة لم نختلف فيها يوما او حتى نتعاتب . وعتابى شخصى بصفتكم المهنية وعام باعتباركم واحداً من أبناء روزاليوسف التى كانت رغم صغر عدد الأبناء قلعة متقدمة تدافع عن المهنة والصحفيين فإذا بها اليوم تفتح صفحات فى « صباح الخير » للذين ارتكبوا اكبر الجرائم فى حق المهنة لتبرير جريمتهم . وهو أمر لا يمكن ان يكون حرية صحافة ولا هو حرية رأى . فالقضية يا عزيزى ليست خلافا على راى ولكن حول ان رئيس مجلس إدارة مؤسسة صحفية ينقل او يصمت على نقل ٦٤ من ألمع كتاب وصحفيي مصر إلى باتا للأحذية وبسكو وغيرهما فى سنة ١٩٦٤ من جريدة الجمهورية .

وقد ظلت النقابة بجهد متواصل لسنوات تزيد على الخمس تعالج آثار هذا القرار البشع . وقد وضع واحد من الرعيل الأول لأفضل مصورى الصحف الأستاذ عبده خليل مع عدد من المصورين الصحفيين فى السجن الحربى .

هذه الجريمة يا أستاذ لويس فى نظر حلمى سلام لا تكفى لثورة الدم فى عروق اى صحفى بل لابد أن يكون الأستاذ هيكل وراء رد الفعل . وهو لفرط الغباء اتخذ قراره قبل عقد الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين بثلاثة ايام فقط ثم يتصور أن تمر أكبر جريمة فى حق النقابة دون ثورة إلا بموافقة الأستاذ هيكل .

ويبدو أن الأيام ودروس الزمن لم تعلم الأستاذ حلمى سلام الدرس فهو إذا كان قد اتخذ قرارا ليس له مثيل بنقل ألمع صحفيى وكتاب مصر إلى شركة باتا للأحذية فقد طبق عليه القرار بإرادة إلهية-ونقل إلى مؤسسة الأسماك ولكن أحداً لا يتعظ .

الوقائع.هى اننى وكنت شابا أحسست بإهانة حرمتنى النوم يومها وظللت احاول عملا مضادا يعبر عن ثورتى . واستقر فكرى على استغلال اجتماع الجمعية العمومية واستغلال اننى لم أكن معروفا بالنشاط النقابى مما يتيح لى تجاوز عدم وجود اسمى على قائمة المتحدثين وخاصة انه كانت لى مكانة بين الزملاء تتسم بالاحترام ، واخفيت المذكرة عن كل الزملاء حتى قبيل انعقاد الجمعية وفاجأت الكل بطلبى .

وصدر القرار بالإجماع . وبعد ساعة جاء من يبلغنى أن الأهرام يطلبنى وعرفت أن الأستاذ هيكل يريدنى فورا .. وقبل أن اقابله عرفت أن الأستاذ حلمى سلام أبلغ المشير أننى هتفت فى النقابة « يسقط حلمى سلام وحامى حلمى سلام » أى المشير .

وابلغ المشير ذلك لعبد الناصر . وسالنى الأستاذ هيكل بعد ثورة غضب على قيامى بنشاط نقابى وخصوصا انه كان يتصور انشغالى بالبحث العلمى والكتابة . وشاء حسن حظى أنه فى ثورة غضبه حضر الأستاذ على حمدى الجمال رحمة الله عليه وكان حاضراً جلسة الجمعية العمومية وشاهدنى لحظة تقديم طلبى . وأخبر الأستاذ هيكل بالوقائع وأننى لم أهتف إطلاقا .

وبقيت مشكلة إثارتى للمتاعب وحسمها إحساسه بما كنت مع زملاء لى نشعر به من مرارة وثورة غضب .

هذه هى القصة ولم يكن الأستاذ هيكل يعرف عنها شيئا حتى وافقت الجمعية العمومية وأبلغه عبد الناصر تليفونيا بها وتبقى رواية الأستاذ حلمى سلام وعليها عدة ملاحظات هى :

١ ـ كيف يستقيم انه مرتكب هذه الجريمة الكبرى ويقول « لست مقهورا وليس من حقى أنه احتج على صاحب الأمر لأنه تصرف فى أمر يخصه تصرفا مخالفا لما اقترحته » .

هل هذا القول لا يستحق عقد لجنة التاديب فى النقابة لمحاسبة رئيس مجلس إدارة سابق يرى أن فصل الصحفيين مسألة تخص فردا مهما كانت مكانته على رأس الدولة .

ثم هو يرفض على الدفاع ولو بالاستقالة ويعتبر ذلك تهورا ، أى مهانة هذه التى وصلت إليها قيادات احتلت مراكز صحفية هامة .

والأهم انه يقول إنه قدم اقتراحات أخرى ولكن النظام أخذ بغيرها . فهو لجا إلى السلطة للتخفيف عن الجمهورية بإبقاء صغار الصحفيين وفصل المع كتاب الدار بدلا من الصحفيين أن يعمل على زيادة التوزيع لتعويض الخسارة .

٢ ـ كيف يستقيم أن يكون عبد الناصر صاحب القرار وحواره كله كان مع المشير ، ثم والأهم إذا كان عبد الناصر صاحب القرار فهل من المعقول أن يتحدى الأستاذ هيكل القرار بعد صدوره وعن طريق شاب بالجريدة ؟!

٦ حلمى سلام : سهل أن تكذب .. صعب أن تقول الحقيقة !

الأخ العزيز الأستاذ لويس جريس :

قرأت فى العدد قبل الماضى من (صباح الخير) الرسائل الثلاث التى بعث بها إليكم السيدان ميشيل جرجس وأحمد حرك والدكتور سامى منصور ، تعقيبا على بعض ما جاء فى ذكرياتى التى نشرتها (صباح الخير) على مدى شهرين كاملين . ولى على ما جاء فى تلك الرسائل ، عدة ردود أرى من واجبى نحو الحقيقة . ونحو (صباح الخير) وقرائها .. أن أثبتها فيما يلى :

وأبدأ برسالة السيد ميشيل جرجس التى شحنها صاحبها بقصص وحكايات من اختراعه تشهد بأن له على تلفيق الحكايات قدرة لا تدانيها قدرة بعض كتاب القصص الخيالية التى تسخر من عقول الناس ، وتستخف بها .. ولو أن صاحب

هذه الرسالة وجه نشاطه إلى هذه الناحية ، لأفاد نفسه .. ولأفاد الصحافة التى ينتسب إليها ، فائدة لا يحلم بها كلاهما .

● فمن هذه الحكايات التى جاد بها خياله ، والتى جاءت كلها ـ للأسف الشديد ـ مقززة للغاية .. قوله :

« فى جلسة مع بعض الزملاء فى الجريدة . ذكر اسم حلمى سلام عدة مرات كمرشح لرئاسة مجلس إدارة دار التحرير : فطلب منى احد الزملاء الاتصال به تليفونيا للتاكد من الخبر . وفعلا اتصلت به ودارت المكالمة على النحو الآتى :

قلت : فيه خبر انك ستعين رئيس مجلس الإدارة ؟

حلمى سلام : هذا المنصب يطاردنى منذ عام .

قلت : انا سمعته الآن فقط .

حلمى سلام : ما رايك ..؟ قلت : المنصب كبير عليك .

فأنهى حلمى سلام المكالمة . (ولا ادرى لماذا لم يقل إننى قلت له : انا شايف كده برضه) !

ودعنى اقول لك إنه لم تكن لى ـ قبل ذهابى إلى دار التحرير رئيسا لمجلس إدارتها ـ ادنى صلة من صداقة ، او زمالة ، او حتى معرفة بصاحب هذه « الحدوتة » فهل مما يدخل فى عقل عاقل ـ او حتى مجنون ـ اننى يمكن ان آخذ راى شخص لا تربطنى به ادنى صلة من صداقة ، او زمالة ، أو حتى معرفة .. فى عمل كبير كذلك العمل الذى كنت مرشحا له ؟ إن الوحيد الذى استأنست برايه فى هذه المهمة التى كنت مرشحا لها .. وهل اقبلها ام اصر على رفضها .. كان اخى وصديقى المناضل الوطنى الكبير فتحى رضوان : فعقب آخر مرة قابلت فيها المشير عامر ـ وهى المرة التى ابلغنى فيها بتصميم عبد الناصر على ذهابى إلى دار التحرير ـ خرجت من عنده متوجها ، مباشرة ، إلى منزل فتحى رضوان لأسأله النصيحة . فقال لى بالحرف : « إن عبد الناصر لن يتقبل منك أن ترفض له تكليفا كهذا ، وتأكد انك إذا اصررت على الرفض ، فلن تبقى طويلا فى « المصور » فهاتها بجميلة منك واذهب غدا إلى المشير عامر وابلغه انك قبلت هذا التكليف » . وهو ما فعلته .. والرجل ـ أمد الله فى عمره ـ لا يزال موجودا بيننا .. وهو معروف بانه ليس ممن يكتمون قولة الحق . ولو كلفه قولها عمره .

● أيضا : من الحكايات المقززة التى شحن بها ميشيل جرجس رسالته .. قوله : « .... وذات مساء اتصلت بى السكرتيرة وطلبت منى الحضور لمقابلة حلمى سلام . فاعتذرت على أن تكون المقابلة فى اليوم التالى .. وفى اليوم التالى توجهت إلى مكتبه فوجدته واضعا صورة المشير عامر فوق راسه .. وصورة الرئيس الراحل على الحائط المواجه لمكتبه . فاندهشت » .

ولا ادرى .. لماذا لم يسالنى الرجل الذى زعم أنه كان لديه من الشجاعة ما جعله يقول لى . فى وجهى . « إن المنصب كبير علىّ » عن السبب الذى جعلنى اضع الصورتين هكذا ؟! الم يكن هذا أسهل من ذلك القول الذى زعم انه قاله ، وجاء خاليا من الف باء الذوق .. والأدب ؟ هذا فضلا عن انه كان احد الذين نقلوا من المؤسسة . ولم يكن هناك سبب واحد يجعلنى استدعيه إلى مكتبى .

واحسبنى لست محتاجا إلى القول بأننى لم اكن ساذجا .. ولا أبله .. حتى افعل شيئا كهذا الذى نسب لى إننى فعلته .. ثم .. ما السبب المباشر ، أو غير المباشر ، الذى يجعلنى اضع صورة المشير عامر فوق رأسى .. هل لأنه كان وسيطا فى أمر التكليف الذى اعتبرته ـ ومنذ

اللحظة الأولى ـ مصيبة حلت بى .. ؟!

لقد كان يتردد على مكتبى فى تلك الفترة التى زعم انه راى فيها صورة المشير عامر معلقة فوق راسى ، كتاب وصحفيون أشراف كثيرون .. اذكر منهم الزملاء : محمد عودة .. وفيليب جلاب ، وحسين عبد الرازق . وفؤاد دوارة ، ومحمد العزبى ، وبهيج نصار .. ووحيد غازى ، وغيرهم .. وغيرهم . فإذا قال واحد من كل هؤلاء الصحفيين الأشراف انه رأى ـ فى أى جانب من جوانب مكتبى ـ صورة للمشير عامر ، فساعتها سوف اسلم بانني كنت اضع هذه الصورة فوق راسى .

● أيضا : من الأشياء المقززة التى اخترعها خياله .. قوله : « وفى هذه المقابلة نفسها ، قال لى حلمى سلام : أنا عايزك تكتب لى تقريرا عن كل صحفى فى المؤسسة » .

لقد شاء ميشيل جرجس ان ينسى تماما .. تماما .. انه كان احد المنقولين من المؤسسة .. فكيف بالله عليك اطلب من أحد المنقولين منها تقارير عن الباقين فيها ؟! وحتى لو كان ممن بقوا فى المؤسسة ، فقد كان مستحيلا أن يصدر منى مثل هذا الطلب . لسبب بسيط جداً .. وهو انني كنت ، وما أزال ، ولسوف اظل ، احمل داخل نفسى كل مشاعر الاحتقار لكتاب التقارير . ولن يغير من احتقارى لشانهم ان يكون أحدهم .. أو بعضهم .. قد وصلوا من خلال تقاريرهم ضد زملائهم ، وأساتذتهم ، وأصحاب الفضل عليهم ، إلى مناصب لم تكن لتحدثهم بها أحلامهم . ولو انني كنت احمل فى نفسى ذرة من (التقبل) ـ ولا أقول (الاحترام) ـ لهذا الصنف من البشر .. لما امرت ، فى أول أيام رئاستى لدار التحرير . بنقل وخصم خمسة أيام من مرتب أحد موظفى التليفونات بجريدة الجمهورية لأنه قدم له تقريرا ضمنه أن المحرر الرياضى للجريدة طلب منه مكالمة عاجلة مع احد محافظى الوجه البحرى . لكنه ـ أى موظف التليفونات ـ اكتشف ، من خلال تسمعه للمكالمة ، انها دارت مع حرم المحافظ وليس مع المحافظ نفسه .. وكانت حول مسائل عائلية لا علاقة لها بعمل المحرر .

إن الأخلاق لا تتجزأ . فإذا كنت ـ من منطلق اخلاقى محض ـ قد رفضت تصرف موظف التليفونات وأمرت بمجازاته وبنقله بعيداً عن دار الجمهورية ، فكيف يتأتى ـ وانا هذا الرجل نفسه ـ أن طلب من آخر .. حتى لو لم يكن ممن نقلوا من المؤسسة .. أن يكتب لى تقريراً عن كل واحد من زملائه ؟!

● أيضا ـ من الأشياء المقززة التى قالها: « اكتشف الرئيس الراحل ضعف حلمى سلام من جميع النواحى . وخاصة العمل الصحفى . لأنه لم يكن قد سبق له العمل فى الصحف اليومية على الإطلاق . وكل خبرته كانت الكتابة فى مجلة المصور .. ومجلة الإذاعة » !

وكان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يجب أن ينتظر ١٥ عاما كاملة .. من سنة ١٩٤٩ ، تاريخ تعرفه بى ، إلى سنة ١٩٦٤ ، تاريخ تعيينه لى رئيسا لدار التحرير ، كى يكتشف نقاط الضعف والقوة فى شخصى !! وكأنه حين أمر ، بحل مجلس إدارة المؤسسة ، ومنحى جميع سلطاته ، لم يكن يعرف عنى شيئاً ، وكأنه حين امر قبل ذلك بسنوات عشر ، بتعيينى رئيسا لتحرير مجلة (التحرير) .. أيضا لم يكن يعرفنى .. وكان أصحاب (دار الهلال) الذين تدرجت فى سلم العمل الصحفى لديهم من محرر بالقطعة .. إلى سكرتير التحرير .. إلى مدير لتحرير أكبر مجلة مصورة فى الشرق العربى . فى ظرف سبع سنوات فقط ، كانوا يفتقرون إلى القدرة على اكتشاف نقاط القوة والضعف فى أشخاص من يعهدون إليهم بأدق مسئوليات العمل

الصحفى .. وكان لجنة مسابقة فاروق الأول للصحافة الشرقية التى كان يراسها شيخ الصحفيين (فكرى اباظة) .. والتى منحتنى جائزتها الأولى مرتين على التوالى فى عامى ١٩٤٩ و ١٩٥٠ – وهو ما لم يتحقق لأحد غيرى من أبناء جيلى – أقول كان هذه اللجنة كانت فاقدة الوعى .. فلم تفطن ، حين منحتنى الجائزة الأولى ، مرتين على التوالى ، إلى نقاط الضعف فى إنتاجى الصحفى ..

ولو أن ميشيل جرجس كان قد فرغ نفسه ، ولو قليلا ، لتامل مسار نجوم الصحافة .. لما كتب حرفا واحداً من ذلك الذى كتبه ، ولعرف اننى لم اكن أول صحفى بدا حياته العملية فى الصحافة الأسبوعية ثم انتقل منها إلى الصحافة اليومية . فلقد سبقنى إلى ذلك الزميل محمد حسنين هيكل الذى امضى الحقبة الأولى من عمره الصحفى محرراً بمجلة آخر ساعة .. ثم رئيسا لتحريرها قبل ان ينتقل منها إلى رئاسة تحرير (الأهرام) . وايضا الزميل احمد بهاء الدين الذى امضى .. هو الآخر ، الحقبة الأولى من عمره الصحفى محررا بروزاليوسف ، ثم رئيسا لتحرير (صباح الخير) .. قبل ان يعين رئيسا لتحرير عدة صحف يومية هى (الشعب) .. (اخبار اليوم) .. (والأهرام) .. وايضا الزميل إحسان عبد القدوس الذى امضى شبابه الصحفى كله محررا بروزاليوسف ثم رئيسا لتحريرها ، قبل ان يصبح رئيساً لتحرير (اخبار اليوم) .. و(الأهرام) .

واحسب انها ليست صدفة اننى احمل الوسام الذى يحمله هؤلاء الزملاء الثلاثة .. وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى الذى جاء فى براءته المذيلة بتوقيع (جمال عبد الناصر) – الرجل الذى اكتشف ضعفى فى جميع النواحى – إننا منحناه « من اجل الخدمات الجليلة التى قدمها كل منا للصحافة » !

● ايضا – من الأشياء المقززة التى احتشدت بها رسالته .. قوله : « .. وكان حلمى سلام لا يحضر إلى مكتبه فى المؤسسة سوى ساعة واحدة فقط فى النهار . وفى المساء كان يتصل بالتليفون من منزله ليعرف المانشيت قبل الطبع » !!

واظن اننى لو كنت عفريتا من الجن ، لما استطعت ، فى ظرف ساعة واحدة من النهار ، أن انجز جزءاً من مائة من مسئوليات مؤسسة بها اربع شركات كبرى هى : شركة الإعلانات المصرية .. وشركة الإعلانات الشرقية .. ودار الجمهورية للصحافة .. وشركة الجمهورية للتوزيع .

ولو سالت أيا من اولئك الزملاء الأشراف الذين ذكرتهم فيما سبق من سطور – ومعظمهم يعمل معك فى روزاليوسف – وإننى لواثق من انهم جميعا سوف يقولون لك الحقيقة .. والحقيقة هنا هى أننى كنت اذهب إلى مكتبى فى المؤسسة مرتين فى اليوم . المرة الأولى من الساعة التاسعة صباحا لأبقى به حتى الثالثة بعد الظهر . والمرة الثانية من السابعة مساء وحتى منتصف الليل .. ولو اننى كنت ممن يرتضون من انفسهم بأن لا يبقوا فى مكاتبهم سوى ساعة من نهار ، لكانت أعمدة جريدة (الجمهورية) قد حملت لى – على مدى الشهور العشرة التى امضيتها رئيسا لتحريرها – بدل الكارثة الواحدة عشرات الكوارث التى كان المجردون من كل خلق ، ومن كل ضمير ، قادرين على دسها فى تلك الأعمدة .

● أيضا – من الأشياء المقززة التى احتوتها رسالة ميشيل جرجس .. قوله : « ... وحدث أن وقع حلمى سلام منشورا تم توزيعه فى المؤسسة يفيد بأن الدكتور عبد القادر حاتم قرر إغلاق

جريدة المساء وعلى اثر هذا . ارسل عدد كبير من العاملين فى جريدة المساء برقيات احتجاج للدكتور حاتم على هذا القرار » . وقد كرر السيد احمد حرك . للاسف الشديد . هذه الفرية نفسها فى رسالته إليكم !

كيف .. كيف يمكن أن اصدر منشورا يقول إن الدكتور حاتم قرر إغلاق جريدة المساء ، بينما انا اعلم ، علم اليقين ، انه لا يملك .. ولا يستطيع .. ان يصدر قراراً بإغلاق جريدة .. سواء كانت هذه الجريدة هى المساء او اى جريدة اخرى غيرها ؟!

إن حقيقة هذه القصة ، كما وقعت . هى كالتالي :

فى المساء المتاخر من احد ايام الخميس ، اتصل بى واحد من ابنائى المحررين فى مجلة (الإذاعة) وابلغنى إن المجلة ـ فى عددها الذى سوف يصدر صباح يوم السبت ـ خبرا مؤداه : إن المسئولين عن مؤسسة دار التحرير قرروا إغلاق جريدة المساء وتوزيع محرريها على المؤسسات العامة . فطلبت منه ان يقرا لى نص الخبر . فلما قراه ، احسست بأن المراد منه أن يكون بمثابة (قنبلة) تنفجر تحت قدمىّ . فلم يكن فى دار التحرير ، وقتها ، مسئول غيرى .. بعد ان كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد امر ـ بناء على طلبى ـ بحل مجلس إدارة المؤسسة ، ومنحى جميع سلطاته ، ولم اكن ، بوصفى المسئول الوحيد عن المؤسسة ، قد قررت شيئا من هذا .. ولا فكرت فيه . وكى ابطل مفعول هذا الخبر (القنبلة) توجهت فى الصباح الباكر من يوم الجمعة ، وكتبت برقية إلى الدكتور حاتم باعتباره الوزير الذى تتبعه مجلة (الإذاعة) .. وباعتبار ان الأستاذ سعيد عثمان رئيس تحرير المجلة ، وقتئذ ، كان ـ فى ذات الوقت ـ أحد مديرى مكتبه . هذا نصها :

« السيد الدكتور عبد القادر حاتم . وزير الإرشاد القومى .

« تنشر مجلة (الإذاعة » فى عددها الذى يصدر غدا ـ السبت ـ خبرا مؤداه ان المسئولين عن دار التحرير قرروا إغلاق جريدة المساء وتوزيع محرريها على المؤسسات العامة . ولما كنت ، باعتبارى المسئول الوحيد عن دار التحرير الآن ، لم اقرر شيئا كهذا ، بل لم افكر فيه مجرد تفكير .. فإننى ارجو توجيه نظر المسئولين عن تحرير المجلة إلى تحرى الأمانة والدقة والصدق فيما ينشرونه من اخبار . بخاصة إذا كانت هذه الأخبار تمس مصائر طائفة من الناس » .

ثم امرت ـ فى نفس اليوم ـ بوضع صورة من هذه البرقية فى لوحة المنشورات الإدارية الموجودة بمدخل المؤسسة ، حتى يقراها كل العاملين فى جريدة المساء ، قبل ان ياتى صباح السبت وتصدر مجلة « الإذاعة » حاملة إليهم ذلك الخبر المسموم الذى اريد له ان يكون (قنبلة) تنفجر تحت قدمىّ !

لقد تحولت هذه البرقية ، بقدرة قادر ، فاصبحت فى خيال ميشيل جرجس واحمد حرك (منشورا مزعوما) اصدرته ، وذيلته بتوقيعى ، وضمنته القول بأن الدكتور حاتم ـ بسلطة لا يملكها ـ قرر إغلاق جريدة المساء !!

أى كذب هذا .. وأى افتئات على الحقيقة ، وعلى الأمانة والشرف !! ثم .. اين هو هذا المنشور ؟! إننى اتمنى أن يطلعك احدهما على صورة منه . هذا عما جاء فى رسالة ميشيل جرجس التى حشدها كاتبها بسيل من الأكاذيب التى لا وجود لها إلا فى خياله . ولكن .. وعلى الرغم من كل هذه الأكاذيب ، فقد استطاع الحق ـ بقوته التى لا يقدر قاهر أن يقهرها ـ أن يطل علينا من بين سطورها . فاعترف كاتبها بأن دار التحرير كان بها فساد . وانها كانت ترزح تحت

اعباء مالية باهظة . وانها كانت مثقلة (بقوة عمل) تمثل ثلاث صحف كانت قد اغلقت ، من قبل ، أبوابها هى (المصرى) .. و(القاهرة) .. و(الشعب) تضم محرريها جميعا إلى دار التحرير . كل هذا ـ باعترافه كتابة ـ كان موجوداً ومعششاً بدار التحرير . فلما ان تصديت بمحاولة مخلصة لإنقاذها من بعضه ، على الاقل ، اصبحت فى نظر الفاسدين .. والمخربين .. والمشائين بالأكاذيب .. ديكتاتورا ، ومدمرا ، بل مجرما ايضا !!

● أما ما جاء فى رسالة السيد أحمد حرك ، فلم أجد فيه سطرا واحدا يستحق التوقف عنده ، او الرد عليه . وكيف انزلق إلى الرد على شخص امضى فى العمل الصحفى ما يقرب من ثلاثين سنة ، ومع ذلك يبلغ به الجهل بشخصية عبد الناصر حدا يجعله يزعم انه قال له فى مجلس الأمة ، اننى امليت عليه شروطى . إذ قال بالحرف : « وقال الرئيس عبد الناصر إننى لم اتطوع بنقل الصحفيين . ولكن حلمى سلام أشترط ـ لرئاسة المؤسسة ـ نقل هؤلاء » !

عبد الناصر بقوته .. وبشخصيته ، وجبروته ، يقول : « حلمى سلام اشترط » .. اى قوة جبارة هذه التى كنت املكها .. وحملت عبد الناصر على أن يحنى لها راسه ؟! اكانت مصر ، ايامها ، قد عقمت .. ولم يعد فيها غير صحفى وحيد يستطيع إنقاذ دار التحرير من امراضها هو حلمى سلام الذى استغل فرصة انه لا يوجد فى الكون سواه ، ففرض شروطه علىّ .. على من ؟! على عبد الناصر !!

هل يستحق صاحب مثل هذا القول الغريب .. العجيب .. ان يتوقف مثلى عند اى شىء آخر قاله . أو زعمه .. أو ردده ؟!

● أما رد الدكتور سامى منصور .. فبغض النظر عن الشتائم وعبارات التجريح التى تضمنها ذلك الرد ، والتى اعتب عليك يا اخى لويس ـ وانت الرجل العف القلم واللسان ـ انك سمحت لها بأن تمر ، من خلالك ، إلى قراء (صباح الخير) ـ اقول بغض النظر عن هذه الشتائم ، وذلك التجريح ، فقد تضمن الرد ثلاثة اشياء ، يهمنى ـ من أجل الحقيقة .. والحقيقة وحدها ـ أن اثبت ردى عليها :

● الشىء الأول هو قوله : « ويبدو أن الايام ودروس الزمن لم تعلم الأستاذ حلمى سلام الدرس . فهو إذا كان قد اتخذ قرارا ليس له مثيل بنقل المع صحفيى وكتاب مصر إلى شركة باتا للأحذية ، فقد طبق عليه القرار بإرادة إلهية ، ونقل إلى مؤسسة الأسماك . ولكن أحداً لا يتعظ » .

فضلا عن اننى لم أصدر قرارا ـ لا املكه ـ بل لم اقترح ، مجرد اقتراح ، بنقل اى زميل صحفى إلى اى مؤسسة غير صحفية . وهذا امر ثابت وثائقيا ، وإن كان الثلاثى : جرجس وحرك ومنصور يصممون على تجاهله ، فإنه لم يصدر فى شأنى قرار بنقلى إلى مؤسسة الأسماك ولا إلى غيرها من المؤسسات . وإنما كان القرار الوحيد الذى صدر فى شأنى من الرئيس الراحل هو : (إحالتى الى المعاش .. ومنحى معاشا استثنائيا يعادل اقصى معاش فى الدولة) . وقد ابلغ الدكتور حاتم هذا القرار إلى الزميل الصديق الأستاذ مصطفى بهجت بدوى الذى تولى رئاسة المؤسسة بدلا منى . وقد اثبته ، بما عرف عنه من صدق وأمانة ، وبنصه الذى ابلغ به ، وفى ملف خدمتى . والرجل موجود . والقرار موجود والحقيقة ايضا موجودة .. ولن يلغى وجودها أن تكون بعض البصائر .. او بعض الأبصار .. قد عميت عن رؤيتها !!

● الشىء الثانى فى رسالة سامى منصور هو قوله : « كيف يستقيم انه مرتكب هذه الجريمة

الكبرى ، ويقول « لست متهوراً .. وليس من حقى أن احتج على صاحب الأمر لأنه تصرف فى امر يخصه تصرفا مخالفا لما اقترحته » .. هل هذا القول لا يستحق عقد لجنة التاديب فى النقابة لمحاسبة رئيس مجلس إدارة سابق يرى أن فصل الصحفيين يخص فردا واحداً مهما علت مكانته فى الدولة » .

واقول للدكتور منصور ، اولا : إن عبد الناصر لم يفصل صحفيا واحدا فى هذه القضية ، وثانيا : انها ـ اى هذه القضية ـ لم تكن تخص عبد الناصر بوصفه رئيسا للدولة ، وإنما كانت تخصه بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكى الذى كان قد امتلك كل المؤسسات الصحفية بمقتضى قانون تنظيم الصحافة .. ومن هذا الموقع ـ موقع رئيس الاتحاد الاشتراكى .. صاحب الصحف ـ تصرف عبد الناصر فى أمور الصحافة ، وفى أمور الصحفيين .. كما شاء ، كيفما شاء . فعزل ، فى وقت ما ، شيخ الصحفيين (فكرى أباظة) من جميع مناصبه الصحفية ، واوقف ، فى وقت آخر ، الزملاء موسى صبرى وانيس منصور وإبراهيم نوار عن ممارس العمل الصحفى .. ونقل مصطفى امين . وعلى أمين . وإحسان عبد القدوس .. وأحمد بهاء الدين من هذه المؤسسة إلى تلك .. ومن تلك إلى غيرها .. دون ان يجرؤ مخلوق فى النقابة أو فى غير النقابة ، على أن يرفع صوته ضد إجراءاته .. لا بالاستقالة ، ولا بالاحتجاج ، ولا بالاعتراض !

هل نسيت هذا كله يا دكتور .. ؟ وهل نسيت ايضا انه فى أعقاب إعادة تنظيم نقابة الصحفيين ، كان مطلوبا من كل صحفى مقيد بالنقابة ان ياخذ « ترخيصا » بممارسة المهنة من الاتحاد القومى الذى هو نفسه الاتحاد الاشتراكى ؟! إذا كنت قد نسيت . فحاول أن تنشط ذاكرتك ، فإن راس مال الصحفى ـ بعد الصدق .. وبعد الأمانة والشرف ـ هو ذاكرته .

ثم يضيف الدكتور منصور : « والأهم أنه يقول إنه قدم اقتراحات أخرى ، ولكن النظام أخذ بغيرها . فهو لجأ إلى السلطة للتخفيف عن الجمهورية بفصل الصحفيين بدلا من أن يعمل على زيادة التوزيع لتعويض الخسائر » !

هل سمعت يا أخى لويس ، أو علمت ـ وقد كنت عضوا منتدبا لمؤسسة روزاليوسف ـ أن زيادة التوزيع ، مهما بلغت الأوج ، يمكن أن تعوض خسائر صحيفة ما ؟!

إن الذى يعوض الخسائر فى اية صحيفة ، ويحق التوزان بين إيراداتها ومصروفاتها .. إنما هو حجم الإعلانات يا دكتور .. وبغير حجم إعلانات ضخم كالموجود حاليا بالأهرام وبالأخبار مثلا ، فإن زيادة التوزيع لا تعني شيئا سوى زيادة الخسائر .

وغريبة جدا يا دكتور أن تكون قد أمضيت فى ساحة العمل الصحفى كل هذه السنين . ومازلت ، برغم هذا ، تجهل مثل هذه الحقيقة الأولية من حقائق عالم الصحافة !!

● أما الشىء الثالث والأخير فى رسالة سامى منصور ، فهو قوله : « كيف يستقيم أن يكون عبد الناصر هو صاحب القرار ، بينما حوار حلمى سلام كله كان مع المشير عامر ؟ » .

وأقول له مؤكداً : نعم .. كان عبد الناصر هو صاحب القرار . فهو الذى قرر تعييني رئيسا لمجلس إدارة المؤسسة . وهو الذى قرر حل مجلس الإدارة ومنحى جميع سلطاته . وهو الذى قرر نقل عدد من الضباط الذين كانت ظروف مختلفة قد فرضتهم على دار التحرير . وهو الذى قرر نقل الزملاء الصحفيين إلى المؤسسات العامة كبديل للمؤسسات الصحفية التى كنت قد اقترحت نقلهم إليها ، واعتذر رؤساؤها عن قبولهم بها . وهو ـ أخيرا ـ الذى قرر عزلى من منصبى ، دون أن يكون عند المشير عامر اى علم مسبق بهذا القرار . اما ان حوارى كله كان مع

المشير عامر . فهذا صحيح مائة بالمائة . ويرجع ذلك إلى أن الرئيس الراحل كان قد عهد إليه بالإشراف المباشر على دار التحرير في المرحلة التي بدأت بذهابي إليها . ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يعهد فيها الرئيس الراحل إلى المشير عامر بالإشراف على مؤسسات وأعمال عامة لا تدخل في دائرة اختصاصه كقائد عام للقوات المسلحة ، فقد عهد إليه ، قبل ذلك ، بالإشراف على هيئة النقل العام في أعقاب اضطراب أمورها . كما عهد إليه برئاسة لجنة تصفية الإقطاع .

نعم يا دكتور منصور .. كان (الحوار) كله مع المشير عامر .. ولكن (القرار) كله ، في نهاية الأمر ، كان بيد صاحب القرار .. كان بيد عبد الناصر .

ولم يبق عندي ما يمكن أن أضيفه إلى هذا الرد على ما جاء في تلك الرسائل الثلاث ، سوى دعاء إلى الله بأن يحمي الصحافة ـ وهي التي يفترض فيها أنها حامية الحق .. والحقيقة ـ من بعض المنتسبين لها .. والمحسوبين عليها .

٧ جمال سليم : مذبحة الصحفيين والثورة المضادة !!

ليس على المستوى المهني وحساب الأرباح والخسارة ينبغي أن تجرى مناقشة مذبحة الصحفيين التي تمت على يد حلمي سلام باعتباره من رجال المشير عامر عامي ٦٤ ـ ١٩٦٥ .. بل المستوى الصحيح للمناقشة هو المستوى السياسي .. فمن خلال هذا المستوى سوف يتضح لنا أن عناصر الثورة المضادة كانت تعمل في كل مكان وتضرب في كل اتجاه .. وليس غريبا أن يمسك حلمي سلام سيف المشير ودرعه ويعصف بالصحفيين والكتاب .. وكي يكون الأمر مفهوما ينبغي عدم خلط الأوراق .. والدوران في الحلقة المفرغة : لماذا كانت المذبحة .. وهل كانت بسبب العمالة الزائدة .. أم الديون المتراكمة .. إن هذا تبسيط غير مقبول للأمور .. وخاصة أنه يجرى في وسط كله مثقفون وكتاب يقودون الرأى العام ويوجهون خطاه .

على مدى عدة أسابيع انفرد حلمي سلام بمجلة صباح الخير ليقول على صفحاتها ذكرياته بإثارة متعمدة من الصحفي اللامع رشاد كامل الذى كان يريد أن يرسم صورة شبه حقيقية لشكل من أشكال الصراع بين السلطة والصحافة في الستينيات .

والواقع أن الزميل الكبير محمد حسنين هيكل سبق وقدم صورة أخرى في كتابه الذى نشر بالخارج ثم ترجمه إلى العربية ، وكان بين يدى القراء في شهر يوليو ١٩٨٤ بعنوان «بين الصحافة والسياسة» .

فالصحافة وإن كانت مهنة مثل سائر المهن تمتاز بأنها مهنة الحكم .. يرقبها الحاكم بحذره المعهود ، وينظر إليها المحكوم بأمله الذى بلا حدود .. والحاكم يريدها لنفسه ، تنطق باسمه ، وتنشر رسمه ، والمحكوم يريدها سيفا يحميه ويدافع به عن نفسه .. وبين الحاكم والمحكوم يقف الصحفي ويسير على حبل مشدود .

ومن هنا ، فأى إخلال بالتوازن ينقل الصحفي إلى حضن السلطة أو إلى قلب الجماهير ، والإخلال بالتوازن لا يأتى نتيجة فشل الصحفي في السير على الحبل المشدود .. إنما نتيجة الجذب المتواصل بين السلطة والجماهير .. وأيضا نتيجة جرثومة مرض عضال تصيب القلب والضمير والبصر والبصيرة .

ولذا فلا يمكن النظر إلى مذبحة الصحفيين بجريدة الجمهورية التي تمت خلال عامي ٦٤ ـ ١٩٦٥ على عدة دفعات ، وكان السيد حلمي سلام أداة لها ، لا يمكن النظر إليها بمعزل عن الثورة المضادة التي كانت تعمل داخل الثورة نفسها ، والتي كان بعض زملاء عبد الناصر أنفسهم أدوات فيها ، ولهم أدوات وأدوات ، بوعي أو بغير وعي ، وكان المشير عامر نفسه ، بتركيبه القبلي ، وشلته ، مركزا من مراكز

الثورة المضادة التي تمكن عبد الناصر من ضربها نهائيا ، ولكن بثمن فادح : هزيمة يونيو !

النظر إلى هذه المذبحة على مستوى المهنة الصحفية وديون الجمهورية والعمالة فيها ، والظروف المهنية تسطيح وتبسيط إرادة حلمى سلام ان يقر فى الأذهان ليبرىء ساحته بعد اكثر من عشرين عاما .

فالمستوى الوحيد الذى يجب عرض قضية الصحفيين ومذبحتهم من خلاله هو المستوى السياسى .. وهو بالتحديد مستوى الثورة والثورة المضادة .

ومن طبيعة الثورة المضادة الا تعمل خارج الثورة ، إنما تعمل من داخلها ، تستخدم اسلحتها ، ولغتها ، وهى لا تنشىء تياراً خاصا بها إنما تركب بسفينتها نفس التيار ونفس الموجه الثورية إلى ان تقوى ويشتد عودها وعندئذ تندفع لتغرق أسوار المدينة !

وقد كنت قريبا من المذبحة بدرجة تسمح لى بالمشاهدة ، وكنت واحدا من الذين عصف بهم حلمى سلام فى الموجة الأخيرة من المذبحة (مايو ١٩٦٥) ، وكنت من المشاركين فى التحضير لأول مؤتمر للصحفيين المصريين يعقد بنقابة الصحفيين ، وكان البند الأول فى جدول أعماله ضمانات الصحفى ضد النقل والتجميد والفصل المقنع ، كما كنت من المشاركين - أيضا - فى التحضير النشط لعقد الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين العادية وغير العادية لإدانة المذبحة ! وكل هذا اتاح لى رؤية هذا الشكل من الصراع بين السلطة والصحافة ، خاصة ان عناصر السلطة فى هذا الصراع كانت تبدو متفقة وهى فى واقع الأمر مختلفة ، واعنى بها الرئيس عبد الناصر والمشير عامر .. وكانت جذور هذا الخلاف بدأت فى أعقاب انهيار الوحدة مع سوريا ثم اتسعت هوة الخلاف بين الرجلين عند إنشاء مجلس الرئاسة وعرض فيه عبد الناصر اقتراحا بأن تكون له سلطة التوقيع على الترقى فى الجيش بعد رتبة العقيد .. واحس المشير ان هذا انتقاصا من سلطاته .. إلخ. ثم عندما بدأ الاتحاد الاشتراكى يقام على أساس من مبادىء الميثاق الوطنى ، وبناء التنظيم الطليعى .. احس المشير أن عبد الناصر يسحب كل التنظيمات السياسية ويبقيها تحت سيطرته .. فعدل عن القفز على مؤسسات مدنية حساسة ليستخدمها فى ضرب الثورة أو الحد من نفوذ عبد الناصر وفكره المتمثل فى الميثاق الوطنى وكان من هذه المؤسسات : مؤسسة النقل العام .. ومؤسسة دار التحرير للطبع والنشر التى كانت تصدر جريدتى الجمهورية والمساء ، بالإضافة إلى جريدتين واحدة انجليزية هى الإجيبشيان والثانية فرنسية هى البروجرية .

كانت الحياة السياسية فى مصر تعج بالحركة والنشاط ففى الأسكندرية يجرى التحضير لمؤتمر القمة العربى لبحث تحويل نهر الأردن ، وفى القاهرة والمحافظات تتجمع القوى الوطنية والاشتراكية لترجمة ما جاء فى الميثاق الوطنى إلى حقائق .. فتجرى انتخابات الوحدات الأساسية للاتحاد الاشتراكى وينشأ أول معهد عال للدراسات الاشتراكية ، ويصل مجموع أعضاء منظمة الشباب الذين قضوا فترة التدريب الأولى والثانية فى خمسة معاهد إلى حوالى ١٠٠ ألف شاب وشابة ، وتصدر مجلة « الاشتراكى » أول جريدة تنطق وتعبر عن التيار الاشتراكى داخل منظمات الاتحاد الاشتراكى وتشكيلاته المختلفة ، وتقترب الخطة الخمسية الأولى من اكتمالها .. وهى أول خطة للتنمية فى مصر .. ويشعر المشير وبطانته أن المجتمع يتحرك نحو آفاق لا يستطيعها ولا يقدر عليها .. فيبدأ بالقفز على مرفق النقل العام .. ثم يشعر أنه لابد أن يخضع صحيفة ما .. ولتكن الجمهورية التى كان توزيعها قد فاق توزيع كثير من الصحف المصرية .. وتضم أشد العناصر وأصلبها فى الكفاح الوطنى .. وتخوض المعارك الواحدة تلو الأخرى وتخرج منتصرة ، ولا شك أن الزملاء العاملين فى الصحف المصرية والقراء بصفة عامة يذكرون تلك الحملة التى قادتها الجمهورية لإعادة كتابة التاريخ المصرى وتنقيته وبلورته .. وركزت على أبطال مصر ، ووضعت تلك الحملة ثورتى عرابى و ١٩ فى مكانها الصحيح .. الخ وكان التنظيم الطليعى داخل الجمهورية له كيان ووجود .. واستطعنا

ضرب التيار الإخبارى الذى كان يهتم بالإثارة ويرى فى عض الرجل لكلب خبرا مثيرا .. وبدانا فى الجمهورية مناقشة قضايا الجماهير ومشاكلها بصراحة ووضوح ، ورفعنا شعار النقد والنقد الذاتى الذى جاء فى الميثاق الوطنى واستخدمناه لصالح بناء تنظيم ديمقراطى اشتراكى قوى وقادر .. وكان هذا ما يقلق قوى الثورة المضادة .. فانقضت على الجمهورية بليل ووضعت على راسها رجلا من رجالاتها يتمتع بثقة المشير وحبه وعطفه .. ولم يكن المشير ـ فى الواقع ـ يريد اصدقاء .. ولا زعماء .. ولا رجال ثورة .. إنما كان يريد اتباعا يسيرون ، وكان حلمى سلام اصلح الناس للقيام بهذا الدور ، دور التابع .. ومن هنا اصبح بوعى أو بلا وعى أداة من ادوات الثورة المضادة ..

● لقد ذكر حلمى سلام أنه فى الفترة من ٤٨ ـ ١٩٥٢ حول المصور بالكامل إلى مقالات وتحقيقات عن بطولات حرب فلسطين ، وهو قول ينقصه دليل ، ودليلنا المناقض هو صفحات المصور نفسه عن هذه الفترة !

● يذكر ـ أيضا ـ أنه لما قامت الثورة « انفردنا بنشر قصة الثورة كاملة من المهد إلى المجد حتى طلب عبد الناصر إيقافها » . صباح الخير ص ٢٠ العدد ١٤٩٣ ـ فلماذا طلب عبد الناصر إيقافها ؟ .. هل طلب عبد الناصر إيقافها لأنها عظيمة جدا (!) وأنها تعبر بحق وصدق عن الثورة ؟ أم طلب إيقافها بإيعاز من هيكل لينفرد وحده بهذا المجد ؟

● وكعادة الذين يقومون بادوار مرسومة لهم سلفا يؤكدون ـ دائما ـ على ذواتهم ، وعلى الشكل والمظهر .. رغم ان هذه الأدوار تتفق وملكاتهم ومواهبهم المصابة بالعجز والجدب ، لذا نرى السيد حلمى سلام عندما خرج من مجلة التحرير التى ذهب إليها بناء على طلب عبد الناصر ـ كما يدعى ـ ثم تخلصوا منه بان طلبوا ان يلزم بيته فى أجازة مفتوحة (!) برضه (!!) لكن حلمى سلام لا يهتم بعملية الخلاص ـ ولا بالمذلة والإهانة ، فهذا مقرر ومرسوم ومكتوب على اى تابع أو ممثل لدور معين ـ إنما يهتم بالشكل والمظهرية فيبحث عن الذى ابلغه القرار ، وهل المبلغ يرقى إلى المركز الذى يتيح له أن يصدر امراً لحلمى سلام أم لا ، فيجد أن اليوزباشى حسن نايل سكرتير السادات ـ السادات كان مديرا عاما لدار التحرير للطبع والنشر عندئذ ـ هو الذى ابلغه ، فذهب إلى المشير وروى له كيف ابلغنى حسن نايل بالقرار .. وفجاة انتفض عبد الحكيم عامر وقال سكرتير السادات هو الذى ابلغك وليس السادات (ص ٢٣ صباح الخير العدد ١٤٩٣) .

وتسيطر على حلمى سلام الشكليات ـ لأنه لا يوجد لديه شىء آخر ـ إلى درجة الهوس ، فما يكاد يذهب رئيسا لتحرير مجلة الإذاعة حتى يعمل بالوقيعة بين د . حاتم وعبد الناصر ، فيكون الجزاء النقل إلى دار الهلال فلا يحتج على النقل فى حد ذاته إنما الذى يعنيه طريقة إعلان هذا النقل .. وأن يعيننى عضواً فى مجلس الإدارة وكاحد رؤساء تحرير المصور .

ـ ماذا يعنى بكلمة « كا » هذه ؟ هل يعنى أنه رئيس لتحرير المصور .. فما الذى أعجز صاحب الأمر عن استبدالها بحيث يصبح رئيسا لتحرير المصور ؟ لكنها الشكليات ـ كإشعار للقراء والزملاء الصحفيين إننى لم أنقل من الإذاعة إلى المصور فى صورة المغضوب عليه (ص ٢١ صباح الخير العدد ١٤٩٨) .

● هل من الهدف إذن أن ياتى ثوار يوليو بحلمى سلام ويضعونه فى منصب ما ثم يطردونه منه .. إن مسالة الطرد هذه تتكرر كثيرا .. لماذا .. ؟ لا يمكن أن يحدث لشخص ما إلا إذا كان له

دور في لعبة أكبر . وهو دور التابع - الباهت الشخصية - المجرد من الكرامة والكبرياء .. الذي يقبل الفتات . وبقايا الموائد .. ولا يخجل - بعد ذلك - أن يذل وأن يهان فهذا دوره .. وعلى قدر حجمه . وعندما ذهب إلى الجمهورية مسلحا بشرطة المشير وسيفه ودرعه لم يعد منها إلى بيته - آخر الأمر - مكللا بالغار . بل طرد منها شر طردة ومنع من الذهاب إليها .. وقد شيع عندئذ بما يستحقه .. هل هذا صدفة ؟!

● كذلك ، وحتى لا ننسى . لا يمكن الاعتداد بما يقوله مرسلا دون دليل أو برهان فيما يختص .. يقول الرئيس ناصر إن حلمي سلام لا يتحمل مسئولية مذبحة الجمهورية . فقد جرت العادة أن يأخذ السيد على عاتقه مسئولية ما يرتكبه التابع .. فما بالك بتابع التابع !

لقد أخذ عبد الناصر على نفسه مسئولية هزيمة يونيو . ولكن قائد هذه الهزيمة ومهندسها هو المشير عامر وجماعته - السيف والدرع لحلمي سلام - والشعب كله يعرف ذلك ، ولكن منطق القانون ومنطق السياسة أن يتحمل المتبوع مسئولية خطأ التابع .. فما بالك بقضية الصحفيين ومسئولية حلمي سلام وإدراك عبد الناصر لأبعادها .. وأنها كانت تصرفا أحمق قام به تابع للمشير عامر يعمل ككومبارس حانة الثورة المضادة !! هل كان مطلوبا من عبد الناصر أن يعلن خطأ المشير وخطأ تابعه حلمي سلام .. لقد كان الجمل يختزن ما يراه إلى أن تجيء الأيام ويصفى الحساب .

وعلى الرغم من هذا ، فلم يقدم حلمي سلام ، وهو المولع بالأدلة دائما ، دليلا واحداً يثبت أن الرئيس ناصر رفع عنه مسئولية المذبحة .

يقول حلمي سلام : إن الرئيس ناصر نفى مسئوليته في مضابط (!!) مجلس الأمة .. ما تاريخ هذه المضبطة .. ما رقمها ؟

وقد أصيب - بالطبع - بسكتة مفاجئة عندما أثبت له الزميل أحمد حرك عضو مجلس الأمة وقتذاك أن الرئيس ناصر لم يعلن براءته !

نحن بالطبع لا نحاسب حلمي سلام الآن .. إنما نضع الأشياء في موضعها السليم . واثقين تماما أن عملية خلط الأوراق وبحث القضية على غير مستواها يجعلها تسقط في كمين ضبابي .

● يذكر حلمي سلام أنه كان عضوا بالتنظيم الطليعي وفي الخلية التي كان يرأسها على صبري وتضم مصطفى المستكاوي - رئيس تحرير جريدة المساء التي حاول حلمي سلام إغلاقها وفشلت محاولته - ود . عبد العزيز السيد ، ويذكر أنه استبعد ثم نقل إلى خلية أخرى كان بها أحمد حمروش وسعد كامل (ص ٢٢ صباح الخير العدد ١٤٩٨) .. والحقيقة أن على صبري لم يكن يرأس خلية في التنظيم الطليعي إنما كان في قيادة التنظيم الطليعي .. أما النقل إلى خلية أحمد حمروش وسعد كامل ففرية تحتاج إلى الاستبعاد تماما (!!) ذلك لأننا كنا ضمن هذه الخلية الأخيرة وكان من الطبيعي أن نعرف !

وفي الواقع ، لا يمكن - عملا - استبعاد هذا الاحتمال إذا ما كان يستهدف اختراق التنظيم الطليعي في الصحافة من قبل المشير عامر بواسطة حلمي سلام .. ونعتقد أن محاولة الاختراق هذه قد فشلت بدليل ما ادعاه حلمي سلام بأنه انقطعت صلته بالتنظيم تماما بعد جلستين (ص ٢٢ صباح الخير العدد ١٤٩٨) .. فلماذا حدث هذا الانقطاع ؟ إن اختيار عضو التنظيم الطليعي لم يكن يتم عشوائيا ، وكان شرفا أن ينتسب الشخص إلى ذلك التنظيم الذي يقوده عبد الناصر داخل الاتحاد الاشتراكي .. ولم يحدث الانقطاع عن الحضور .. أو التسيب إلا

بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ وإصرار مجموعات التنظيم على معرفة كل شيء ومعاقبة المسئولين عن الكارثة وتنحية القيادات الفاسدة وإعادة النظر في كل شيء من جديد .. قبل يونيو ١٩٦٧ لم يكن شخص في موقع المسئولية ـ كما كان حلمي سلام أو تابع لمجموعة قوية كمجموعة المشير ـ يتجرأ ويدعي بانقطاع صلته إلا لأسباب موضوعية منها إفشاء أسرار التنظيم ، استغلال التنظيم ، الانتهازية ، عدم الالتزام .. وعندئذ يدعى العضو إلى مناقشة سياسية ثم إلى محاكمة سياسية يقول فيها رأيه ويوضح وجهة نظره . ثم يتقرر بعد ذلك تجميد عضويته إذا ما ثبتت إدانته .. أو طرده من التنظيم إذا ما ظهر من المحاكمة السياسية انه لا أمل في إصلاحه أو تورطه فيما قد يتورط فيه أي إنسان ..

فماذا حدث بالضبط بالنسبة لحلمي سلام ؟

لا أريد أن أتبرع بأية معلومات .. ولكن الزميلين أحمد حمروش وسعد كامل يستطيعان أن يذكرا الحقيقة في هذا الشأن ! هل كان حلمي سلام في مجموعتهما ؟ هل انقطع عنها إذا كان عضواً بها .. ما الأسباب التي أدت إلى استبعاده ؟!

● كانت الجمهورية قبل مجيء حلمي سلام إليها يتولى رئاسة مجلس إدارتها كمال الدين الحناوي وكان ضابطا من الذين خرجوا في ٢٣ يوليو ، وكان مدرسا في كلية أركان حرب ، كما كان من المتمكنين في اللغة الانجليزية وترجم وعرض الحرب الأهلية الأمريكية ، وله عدة كتب وأبحاث بين الثقافة والعسكرية .. كان الحناوي في ذاك الوقت وزيرا في وزارة الوحدة الثلاثية ـ مصر ، العراق ، سوريا ـ وكان يؤمن إيمانا لا يتزعزع بحرية الكلمة ، وقوتها .. وسحرها أيضا .. وفي ظل قيادته للجمهورية كانت كل الأزهار تتفتح ، فأعيد تنظيم كتاب اليوميات والأعمدة .. وجرى تدعيم قسم التحقيقات الصحفية بحيث ضُم محققين ثقافيين وسياسيين .. واجتماعيين .. واستعان بعدد من الأساتذة الجامعيين الذى لهم وزن وثقل في الكتابة في القضايا الثقافية والحضارية ، وأذكر منهم د . محمد أنيس ، د . عبد الرحيم مصطفى ، د . حراز د . جمال المسدي ، كما اتسع هذا القسم وفتح ذراعيه للزملاء الذين خرجوا من المعتقلات مثل : بهيج نصار ، أمير أسكندر ، فتحي عبد الفتاح ، عدلي برسوم .. و .. الخ .. وكنت أتولى رئاسة هذا القسم .. ووضعت خطة لمسح بلاد الجمهورية مدنها وقراها .. المشكلات والقضايا والآراء .. وأذكر أن د . حاتم وزير الإرشاد والثقافة كان لا يغمض له جفن إلا بعد أن يقرأ الطبعة الأولى من الجمهورية .. وكان كمال الحناوي يقول لنا إنه لو نشأت معارضة فإن الجمهورية سوف تكون من صحف المعارضة .. فقد كان شعار النقد والنقد الذاتي هاديا لنا في طريقنا .. ومع تطوير الجمهورية ونجاحها وارتباطها بالجماهير .. فقد تطورت التنظيمات السياسية بها ، كما نمت خلايا التنظيم الطليعي وامتدت فروعه من التحرير إلى المطبعة .. إلى شركة الإعلانات المصرية والشرقية .. إلى الصحف الأجنبية التي تصدرها دار التحرير .. وكان كمال الحناوي قائداً لسفينة الجمهورية ، وسط عواصف السياسة ، مدافعا عنها ضد الذين يريدون كسر شوكتها لتركع مع الراكعين .. وكان كمال الحناوي يتلقى كل يوم ملاحظة من د . « حاتم » باسم الرئيس ناصر .. ولصلتي بهذا الموضوع فقد نقل له د . حاتم ذات صباح طلبا من الرئيس ناصر بفصلي ، وكان كمال الحناوي أذكى وأوعى من أن ينخدع ، فطلب من د . حاتم إرسال كتاب إليه يتضمن هذا الأمر ومصدره إن كان الرئيس ناصر أو علي صبري أو أي مسئول آخر .. ولم يصل كتاب د . حاتم أبداً .. وقد دافع عن نفسه فيما بعد وقال لي : هو الريس كان بيبعت ورق يبقى أنا أبعث ورق ليه ؟!

● وبدأ المشير عامر يحلم بان يرى على مائدته خريطة الصحافة المصرية ويلتهم طبقه المفضل منها : الجمهورية ، وليكسر شوكتها ويقضى على كل من فيها ويسكت صوتها .. ثم يدفعها للغناء له .. والتحدث بمناقبه وكراماته .. وتمس صباح الخير فى ص ٢٣ العدد ١٤٩٨ هذه النقطة بقولها وهى تعرض ذكريات حلمى سلام وكارثته الصحفية بقولها : وعلى الجانب الآخر كانت تنمو سلطة المشير عامر ويتحول إلى ند يحسب عبد الناصر حسابه ويخشى بأسه .. فإذا كان لعبد الناصر هيكل والأهرام فليكن للمشير إذن حلمى سلام والجمهورية والرواية مصدرها منير حافظ .

● جاء حلمى سلام إلى الجمهورية فى اغسطس سنة ١٩٦٤ وسط انباء وشائعات بانه جاء لتصفية التيار الاشتراكى فى الجمهورية ، وتاديب المحررين ، وشل السنة السياسيين ، وقصف اقلام الكتاب .. وقلنا هذا طبيعى إذا خرج كمال الحناوى وجاء بدلاً منه حلمى سلام .. فلابد أن تكون هذه الأنباء صادقة .. وقد كانت صادقة بالفعل !

● وإذا ما تمعنا فيما قاله منير حافظ ، ومنير حافظ لا يكتب آراء ، ولا يقدم وجهة نظر إنما يذكر معلومات .. إن المشير تحول إلى ند لعبد الناصر ، فماذا تعنى هذه المعلومة فى لغة السياسة ؟ .. إنها تعنى أن المشير تحول إلى مركز من مراكز الثورة المضادة ، وبالتالى فإن من يستخدمه ومن يسير فى ركابه ، ومن يتبعه لابد أن يكون عاملاً فى هذا المركز : الثورة المضادة !

هذا هو المستوى الذى يجب أن تبحث عنه مذبحة الصحفيين ، إن بحث هذه المذبحة على مستوى مهنة الصحافة وعلى المستوى التجار وكيف تربح وكيف تخسر .. وكيف تسدد الديون ، تسطيح وتبسيط كما سبق القول .. ويؤسفنى أن كل الزملاء الذين تصدوا للدفاع قد وقعوا فى الكمين الذى نصبه لهم ـ بذكاء شديد ـ حلمى سلام ، وهو كمين خلط الأوراق بحيث لا يعرف المرء اى مستوى جرت فيه المذبحة ، ولمصلحة من يخرج من جريدة الجمهورية خيرة كتابها وصحفييها . والمع محرريها .. ومن المستفيد من كسر الأقلام وتكميم الأفواه .. ولماذا ماتت القضايا الحيوية على صفحات الجمهورية .. وتحولت أعمدتها .. وسطورها وكلماتها إلى تألية فرد وعبادة فرد وتقديس فرد هو : المشير عامر ؟!

● ويغرقنا حلمى سلام بحكايات طويلة لا قيمة لها ولا وزن عن مقابلاته ورسائله للمشير ولغير المشير ولسنا بصدد مناقشة صحتها أو عدم صحتها .. لكنها تؤدى جميعها إلى نتيجة واحدة وتشير إلى اتجاه واحد هو : أن المشير عامر هو الأمل والنجاة ، هو المنقذ ..

وبالفعل كان المشير عامر عند حسن ظن تابعه حلمى سلام ، فقد اثبتت بقيادته وحكمته وشجاعته فى يونيو ١٩٦٧ أن الثورة المضادة تؤتى ثمارها سريعا .. كما يثبت أيضا أن مقتل عبد الناصر ومقتل اى ثورة وقائدها وموت شعارها وصمت نشيدها .. لا يحدث فى ميدان القتال قبل أن يقع فى بؤرة الثورة المضادة !!

● يتناقض حلمى سلام ـ وهذا طبيعى ـ فالحقيقة لها وجه واحد . اما الاكاذيب فلها الف وجه ووجه ، يتناقض بين أمرين .. أولهما : أن المذبحة جرت بسبب الرغبة فى تخفيف اعباء العمالة الزائدة ، وتخفيف الديون ، ومعالجة الموقف المالى .. والأمر الثانى : هو العقاب !

فأيهما يستند إليه حلمى سلام فى مذبحة الصحفيين ؟

إذا كان الأمر الأول ؛ فهذا لا شأن له به .. لأن الدولة تتولى عنه هذا الأمر .. ومع ذلك فإذا كان حلمى سلام قد تولى مسئولية الجمهورية وهى مدينة بـ ٣٦٠ الف جنيه فقد تركها وهى

ترزخ تحت دين مقداره ٨٦٠ الف جنيه .

وإذا كان يستند فى فصل الصحفيين ونقلهم - والأمر سواء - إلى عقابهم لأنهم يتزعمون احزابا وشللا .. فهذا ايضا لا شان له به ، لأن القوانين تنظم هذا الأمر والمحاكم تفصل فيه .

ايهما إذن كان الدافع لحلمي سلام لإخراج هذا العدد الكبير من الصحفيين من جريدة الجمهورية ؟

ليس هناك سوى تفسير واحد هو انه كان يدور فى حلقة الثورة المضادة التى كانت لا تدرى إلى اين تتجه واين تسير .. وكانت كثرة الدوران تصيبه بالإغماء فلا يدرى ماذا يفعل وماذا يقول .. لكنه على اية حال كان يتلقى الأوامر وكان ينفذها بدقة ، وهذا هو المطلوب !

● ومن الأمور المدهشة فى ذكريات حلمي سلام التوقف بين الحين والآخر عند تعبير « التنظيم الطليعي » وهذا ما يقودنا إلى ما اكتنف هذه المذبحة من ظروف اكسبتنا خبرة جيدة فى التعامل مع العناصر القيادية فى التنظيم الطليعي ، ومع الأسف ، فإن القيادات العسكرية التى كانت فى هذه القيادة كانت تخشى من العمل الجماهيرى ، وانتقلت عدوى هذا الطاعون إلى العناصر المدنية المرتبطة مع العناصر العسكرية بحكم العمل المشترك .. ومن امثلة ذلك انه كان من الطبيعى مناقشة مجيء حلمي سلام إلى الجمهورية فى خلايا التنظيم الطليعي ومناقشة ما تردد عن المهمة المكلف بها من المشير عامر وهى تصفية التيار الاشتراكي وضرب التنظيم الطليعى فى الجمهورية .. وطلبنا اختيار شخصية اخرى بدلا من حلمي سلام لكننا لم نتلق ردا ، وعندما جاء موعد الاجتماع التالى كان حلمي سلام قد وصل وبدا العد التنازلى لتنفيذ المذبحة ، فتحركت أجمع توقيعات من الزملاء الصحفيين على عريضة موجهة للرئيس ناصر نطالبه فيها بإيقاف المذبحة قبل وقوعها .. وعلم حسن فؤاد واحمد حمروش بما كنت اقوم به وكنت قد جمعت حوالى ١٦٠ توقيعا ، وفوجئت بالزميل احمد فوزى - يرحمه الله - وكان سكرتيرا لتحرير الجمهورية يطلب منى العريضة باسم حسن فؤاد لجمع توقيعات صحفيي روزاليوسف عليها ، وسلمت لأحمد فوزى العريضة .. وفى المساء ، مساء اليوم نفسه كلمنى احمد حمروش من الأسكندرية وقال لى : إيه اللى انت بتعمله ده ، انت بتجمع توقيعات ضد قرار اصدرته السلطة .. والقرار لم يصدر بعد ، بلاش توقيعات ، وخلى احمد فوزى يجيلى بكرة بالعريضة

وبعد عدة أيام طلب احمد حمروش أن يجتمع بمجموعتنا - بناء على طلبنا - وابلغنا ان عبد الناصر اوقف العملية كلها ولن ينقل اى صحفى من الجمهورية .

ومرت عدة ايام اخرى ، وصدرت قرارات النقل ، واختفى احمد حمروش ، وعرفنا ان هناك كذبة كبرى ضائعة بين قيادات التنظيم الطليعى وبين الزعيم عبد الناصر .. ولم تكن على استعداد لأن نشك - مجرد شك فى الزعيم - وادركنا ان هذا الموضوع قد مر من وراء ظهره .. وهنا كان يجب على قيادة التنظيم أن تدعنا نواجه هذا الظلم الواقع علينا .

● وفى الناحية الأخرى كان حلمي سلام تحت تاثير نجاحه فى إصدار قرارات النقل ، قد انتقل إلى مرحلة اخرى ، مرحلة استقدام محررين كانوا يعملون معه فى مجلة الإذاعة ، وكان الواحد منهم يتقاضى ضعف مرتب ثلاثة من الكتاب الكبار ، ولم يكتف بذلك ، فاغرق عليهم المناصب والمكافآت والمزايا .. بل تمادى وخصص لأحدهم سيارة لاستعماله فى تنقلاته .. فالأمر إذن لم يكن عمالة زائدة لأنه جاء بعمالة جديدة .. ولم تكن ديونا اثقلت كاهل الميزانية لأنه حمل الميزانية - بما جاء به من عمالة - ديونا اكثر ..

● ولما لم يرد اسمي ضمن المنقولين في الدفعة الأولى من الصحفيين ، فقد اعتقدت ـ وكنت صادقا ـ ان اسمي وارد لا محالة ، إن لم يكن اليوم فغدا ، وبالطبع لم اعبأ لأنني كنت على ثقة بان عبد الناصر كفيل بتصحيح كل شيء ، وانني لو كنت ضمن المجموعة التي نقلت فإن البث حتى اعود إلى مكاني انا وزملائي معززا مكرما .

● لكننا ادركنا ـ ايضا ـ ان النضال يجب ان يبدأ في النقابة بقوة وعنف ، واعتبرنا التنظيم الطليعي مازال هو الآخر ضمن التنظيمات الأخرى التي تكتظ بها مصر في حاجة إلى تطهير .. وأن من المستحيل إقامة تنظيم قوي من مواقع السلطة لأنه عندئذ لن يستطيع مواجهة السلطة .. بل إنه سيتحول من التنديد بأخطاء السلطة إلى تبرير هذه الأخطاء .

● على كل حال لم يستمر الأمر طويلا ، فقد بدأ حلمي سلام في الاستفزاز ، وكان لديه تقرير يومي عن نشاطي في نقابة الصحفيين وكذلك نشاط زملائي .. وكانت نسخة من هذا التقرير ترسل إلى مكتب المشير .. واذكر في هذا المجال واقعتين :

● الواقعة الأولى

في اجتماع لقسم التحقيقات الصحفية حضره حلمي سلام وكنت أناقش اقتراحا لزميلي لعمل تحقيق عن المشاكل والأخطاء في مرفق النقل العام كانت سلطة المشير قد امتدت إليه كما سبق القول ، فقلت للزميل المحرر أن يبحث أسباب المشاكل ويدرسها ويضع يده على السلبيات التي تقف في وجه انطلاق هذا المرفق الهام .

علق حلمي سلام بأن هذا ضروري ، وعلى المحرر أن يقدم كل هذا لرفعه للمشير عامر ، فاعترضت وقلت إن هذا ليس عملنا ، عملنا هو مخاطبة الرأى العام .

● الواقعة الثانية

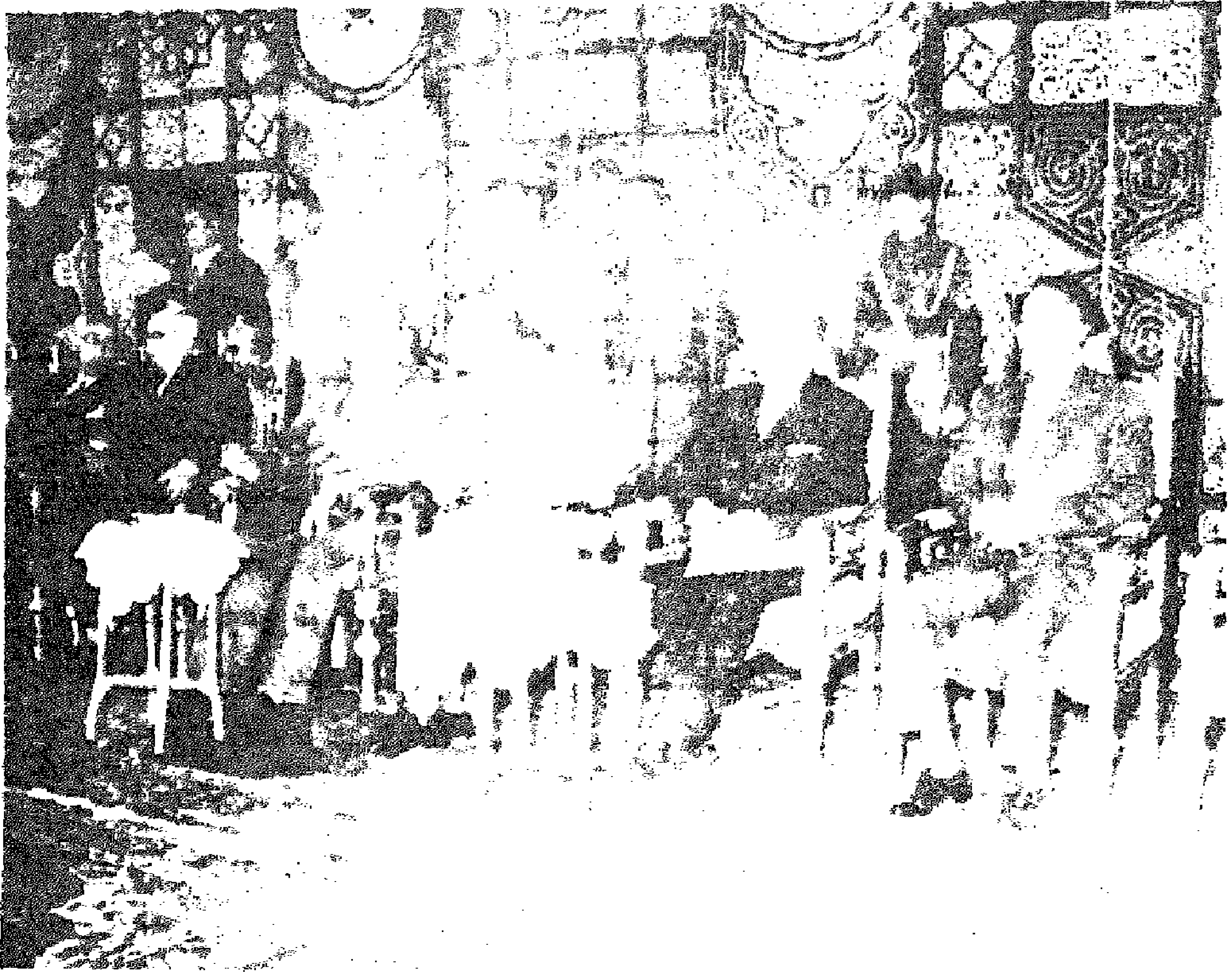
كان الزميل الصديق وحيد غازي رئيس تحرير الأحرار محررا بالتحقيقات الصحفية ، وكان قد اجرى تحقيقا هاما ، فقدمته للنشر في صفحة التحقيقات .. لكن عندما عدت في المساء لأراجع أعمال قسم التحقيقات وإلقاء نظرة عليها باعتباري رئيس القسم فوجئت برفع اسم وحيد غازي من الموضوع .. فوضعته عليه ، وفي مكان مناسب .. وببنط يليق بأهمية الموضوع .. واعتبرت الأمر منتهيا ..

وفي الصباح فوجئت باسمي على لوحة الإعلانات بانني نقلت محررا في قسم الأخبار تحت رئاسة الزميل العزيز الأستاذ محمود سليمة الذي فوجيء هو الآخر بالقرار فترك لي مكتبه وقال لي .. نحن زملاء .. مكاني ومكتبي هو مكانك ومكتبك ولا تزعل .

وعرفت بعد ذلك ان بعض الزملاء قال لحلمي سلام إن سبب دفاع جمال سليم عن وحيد غازي انه من شلته في النقابة . والحقيقة انني كنت ارى ان من حق اى صحفي او كاتب ان يضع اسمه على ما يكتبه باعتباره مسئولا عنه ومن حقه .

وقد طلبني حلمي سلام لكنني رفضت مقابلته ، وكنت ارى انه من الأفضل التحرر من العمل معه ، فالعمل معه كان قد أصبح وصمة وعار ، وقد فشل ثلاثة من الوسطاء في عملي على الاعتذار للعودة إلى منصبي وزيادة مرتبي إلى الضعف إلا انني رفضت .. فقد كان قبولي يعني خيانة لزملائي .

وهكذا تجمع لدى حلمي سلام ما يكفي لكتابة مذكرة مسمومة للمشير بنقلي إلى وزارة الثقافة



تحت رئاسة د . حاتم الذي كنت على خلاف سياسي معه ، ووافق المشير - بالطبع - وحول المذكرة للسيد على صبرى رئيس الوزراء الذى أصدر القرار رقم ٦٦٤ فى ٣٠ يناير سنة ١٩٦٥ بنقلى من الجمهورية إلى وزارة الثقافة والإرشاد .

وما أن تلقى حلمي سلام القرار حتى وضعه في ثلاجته لمساومتى خاصة بعد صدور قرار من الرئيس عبد الناصر باختيارى مع اثنين من زملائى هما سامى داود والفنان ابو العنين لإصدار مجلة الاشتراكى مع تفرغنا سياسيا لنصف الوقت ومنحنا ٢٥٪ من مرتباتنا .

ورغم استجابتى لهذا القرار واعتزازى به فقد واصلت هجومى على حلمى سلام فى النقابة وفى المؤتمر الأول للصحفيين المصريين وفى الجمعية العادية وغير العادية لنقابة الصحفيين ، لأننى كنت أدرك تماما انه تعبير غير ناضج عن الثورة المضادة ويجب مقاومته .. ولهذا لم يجد مفرا من التخلص منى فأعلننى بالنقل فى ٣ مارس سنة ١٩٦٥ ولم يمر سوى ستة أسابيع حتى تلقى أمراً بالتليفون بأن يلزم بيته كالعادة ، ولم يكن طرد حلمى سلام من الجمهورية إيذانا بفشل الثورة المضادة ، وانتصارا للثورة .. إنما كان حلقة من سلسلة الصراع الذى لم يتوقف بين الثورة والثورة المضادة وهذا هو المستوى الصحيح لفهم ابعاد مذبحة الصحفيين عامى ١٩٦٥/٦٤ .

١٩٨٩/٤/١٤

« جمال سليم »

□ المحتويـــات الصفحـــة

رقم الايداع	٨٩/٣٢٤٢
رقم دولـــي	٢ ـ ٧١ ـ ١٢ ـ ٩٧٧

الطبعة الأولى

مارس ١٩٨٩ م

● الناشـــر :

محمود الجداوي ☎ ٣٥٤٢٩٢٣

طبعت بمطابع روز اليوسف



هــذا الكتــاب
وهــذا المؤلف

استيقظ الناس فى مصر ليجدوا الملك فاروق وقد أصبح على صفحات الجرائد : المؤمن الأول .. والعامل الأول .. والقارىء الأول .. والمحسن الأول ..!!

وعادت نفس الصحف والمجلات لتروى بإسهاب فضائح وليالى فاروق ومباذله وشذوذه .. وفساده وانحلاله !!

واستيقظ الناس صباح ٢٣ يوليو ليجدوا صور اللواء محمد نجيب تملأ الصحف والمجلات باعتباره محرر مصر .. ومنقذها .. وأعظم رجل فى العالم كما وصفه أنور السادات !!

وبعد عامين اثنين خرج نجيب ولم يعد ثانية .. وعادت الأقلام تنهال عليه بأغرب التهم وأعجبها .. وربما كان أخفها : أنه لم يكن سوى خيال مآتة وواجهة للثورة !!

وطوال ١٨ عاماً لم يفارق جمال عبد الناصر صفحات حياتنا .. مفجر الثورة وعقلها المدبر .. وبانى مصرنا الحديثة .. و.. و.. وفجأة وبعد رحيله ـ وعلى نفس الصفحات فوجىء القراء بعبد الناصر الآخر : الذى كان عصره : سنوات هوان .. وضياع .. ونكسة .. وخراب .. وفساد ذمم !!

ثم يأتى السادات .. بطل الحرب وبطل السلام .. بطل ثورة ١٥ مايو .. بطل الديمقراطية هكذا رأيناه فى المقالات والكتابات والتحليلات .. وبعد المنصة تكتشف الأقلام فجأة أنه نازى سابق .. تعاون مع الحرس الحديدى .. ضحك على عبد الناصر !!

وهذا الكتاب ليس محاكمة لزعماء مصر ، ولكنه محاكمة للصحافة المصرية نفسها ومحاكمة يشارك فيها بالشهادة والوثيقة نجوم صاحبة الجلالة ، ويكشفون ما الذى جرى لصحافة مصر؟! وكيف جرى .. ولماذا جرى ؟!

الشهادات يقدمها : محمد حسنين هيكل . مصطفى أمين . أحمد بهاء الدين فتحى غانم . أحمد حمروش . موسى صبرى . د . يوسف إدريس . د . محسن عبد الخالق .. وحلمى سلام .

والمؤلف هو الصحفى الشاب « رشاد كامل » صاحب كتاب « لغز السادات »

« الناشــر »

طبع هذا الكتاب بمطابع مؤسسة روز اليوسف